اَلْـقَـوْلُ الْـمُـفَـيْد

شَرْحِ الجَوْهَرِ الفَرَيْد

فِيْ خُلَاْصَةِ التَّوْحِيْد

الطبعة الأولى

١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م

عنوان الكتاب: اَلْقَوْلُ المُفَيْد شَرْحُ الجَوْهَرِ الفَرَيْد فِيْ خُلَاصَةِ التَّوْحِيْد

تأليف: السَّيِّدِ عَلَوِي بْنِ عَبْدِالله بْنِ حُسَيْنِ العَيْدَرُوْسِ

عدد الصفحات: 450

قياس القطع: 17 × 24

التنفيد الطباعي:

مكتبة تريم الحديثة

للطباعة والنشر والتوزيع

حضرموت – تريم

هاتف: 417130 5 967 + E.M: tmbs417130@hotmail.com

فاكس: 418130 5 967 + O.R: mab418130@hotmail.com

جوال: 777418130 967 + **مكتبة تريم الحديثة** (مجموعة) Facebook:

رقم الإيداع

بالهيئة العامة للكتاب

(   ) لعام 2015م

الجمهورية اليمنية

م/ حضرموت



الكتب والدراسات التي تصدرها المكتبة لاتعني بالضرورة تبنِّي الأفكار الواردة فيها؛ وهي تعبر عن آراء واجتهادات أصحابها

اَلْقَوْلُ المُفِيْد

شَرْحُ الجَوْهَرِ الفَرِيْد

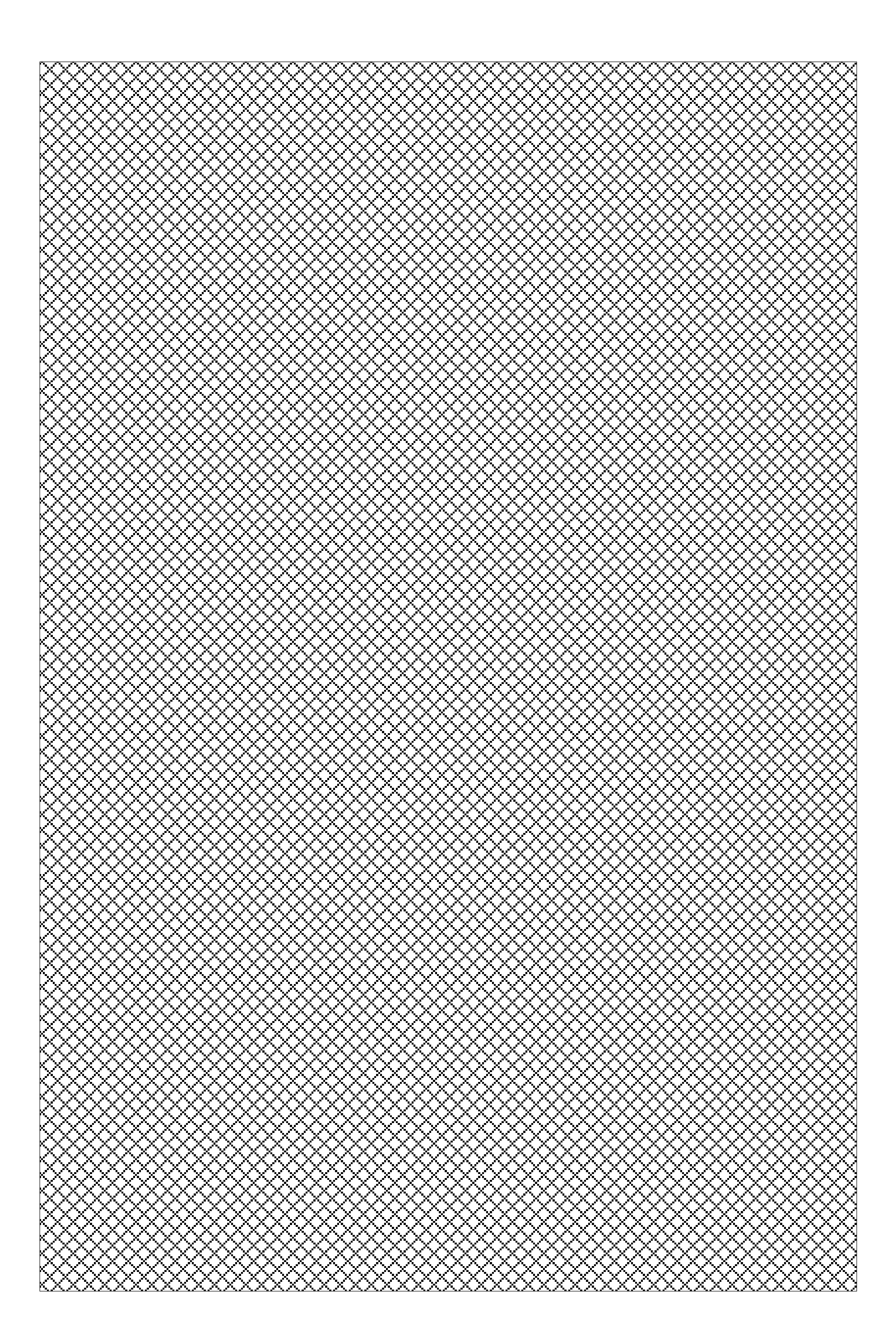
فِي خُلاصَةِ التَّوْحِيْد

تأليف

السيد علوي بن عبدالله بن حسين العيدروس



تقريظات العلماء



تقــريظ
مدير رباط تريم العلامة
سالم بن عبد الله بن عمر الشاطري

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى على جميع النعما، وأصلي وأسلم على خير من أظلته الخضراء، وعلى آله وصحبه ومن على الدرب مشى، أما بعد...

فقد اطّلعت على هذا الكتاب المبارك المسمى (**القول المفيد شرح الجوهر الفريد في خلاصة التوحيد**) للطالب المبارك إن شاء الله علوي بن عبدالله بن حسين العيدروس، واستدللت على كله بمطالعة جزئه، فوجدته كتاباً مفيداً في علم التوحيد، يشتمل على فوائد شتَّى زيادة على ما في متنه للحبيب العلامة عبدالله بن عبدالرحمن بن الشيخ ابي بكر بن سالم مؤسس رباط الشحر، والمتخرِّج من رباط تريم، فجزا اللهُ الطالبَ المباركَ المؤلِّفَ على ذلك خير الجزاء، وبارك فيه وفي كتابه هذا.

وأسأل الله أن ينفع به الأمة، ويجعله في ظلمات العقائد الفاسدة سراجاً منيراً يمزِّق ظلام كل غُمَّةٍ وظلمة، وينوِّر قلب من ابْتُلِيَ بشيءٍ من تلك الظلمة، ويبدِّلُ ذلك بنو رساطع ينفع الله به هذه الأمة، إنه على كل شيء قدير، وبالإجابة جدير .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، والحمد لله رب العالمين.

كتبه الفقير إلى الله

سالم بن عبدالله بن عمر الشاطري

مدير رباط تريم

عفا الله عنه

١٨/١٠/١٤٣٤هـ

٢٥/٨/٢٠١٣م

تقــريظ

عميد دار المصطفى للدراسات الإسلامية

العلامة عمر بن محمد بن سالم بن حفيظ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الواحد الأحد، الفرد الصمد، وصلى الله وسلم وبارك وكرَّم على عبده الأمجد، وحبيبه المصطفى سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه وآبائه وإخوانه من النبيين والمرسلين، وآلهم وأصحابهم وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد..

فقد قام السيِّد الموفق علوي بن عبدالله بن حسين العيدروس بشرحٍ لكتاب سيدنا الإمام عبدالله بن عبدالرحمن بن محمد ابن الشيخ أبي بكر بن سالم المسمى (**الجوهر الفريد في خلاصة التوحيد**)، وسماه (**القول المفيد**)، وقد جمع فيه من كلام أهل العلم المُعْتَبَرِين، وأئمة أهل الفن المُعْتَمَدِين فوائدَ كثيرة، وصحة الإعتقاد على ما حرره أئمة التوحيد من أهل السنة والجماعة.. أساس في العبادة والسير إلى الله، ومفتاحٌ لتحصيل علم اليقين بواسطة العمل بمقتضى ذلك، وتطهير القلب عن الرذائل والالتفات إلى غير الله تبارك وتعالى، وبعلم اليقين وعين اليقين والرسوخ فيهما..

تحصل إشراقات حق اليقين، وهناك حقيقة التوحيد لأهل القرب المخصوص من الحميد المجيد.

وإنما يَصِل إلى تلك المراتب من هذه الأسس.. ألتي يقوم عليها صحة السير إلى الحي القيوم جلَّ جلاله، وذلك معنوي لا اتصال له بمسافات حسيِّات، ولا صور جسمانيات، ولا شيء من توابع ذلك.

فبارك الله فيما كتب السيد علوي بن عبدالله بن حسين العيدروس، وكتب به النفع، وأعلى درجات سيدنا الإمام عبدالله بن عبدالرحمن بن محمد ابن الشيخ أبي بكر بن سالم، وقد جعل في مقدمة الكتاب ترجمةً للمؤلِف، ذلك الإمام العظيم رضي الله عنه وأعلى درجاته وجمعنا به في أعلى جناته، وبالله التوفيق، وهو ولي الهداية المُنَوِّرُ قلبَ من يشاء بأنوار المعرفة الخاصة، والمحبة الخالصة،جعلنا الله منهم.

وصلى الله وسلم على إمامهم، وسيدهم، وواسطتهم في نيل كل ما نالوا من بديع الفضل الإلهي، والوهب الرحماني، والجود الصمداني، سيدنا محمد صاحب الشرف العدناني، وعلى آله وصحبه، وأهل محبته وقربه، وآبائه وإخوانه من النبيين والمرسلين، وآلهم وصحبهم، وعلى الملائكة المقربين، وجميع الصالحين، وعلينا معهم وفيهم.

والحمد لله رب العالمين

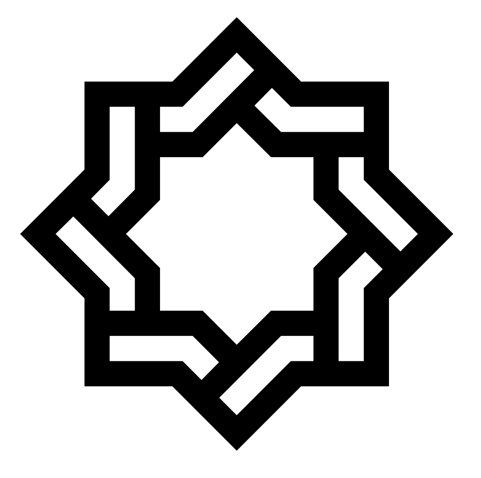
قاله

عمر بن محمد بن سالم بن حفيظ

ابن الشيخ أبي بكر بن سالم

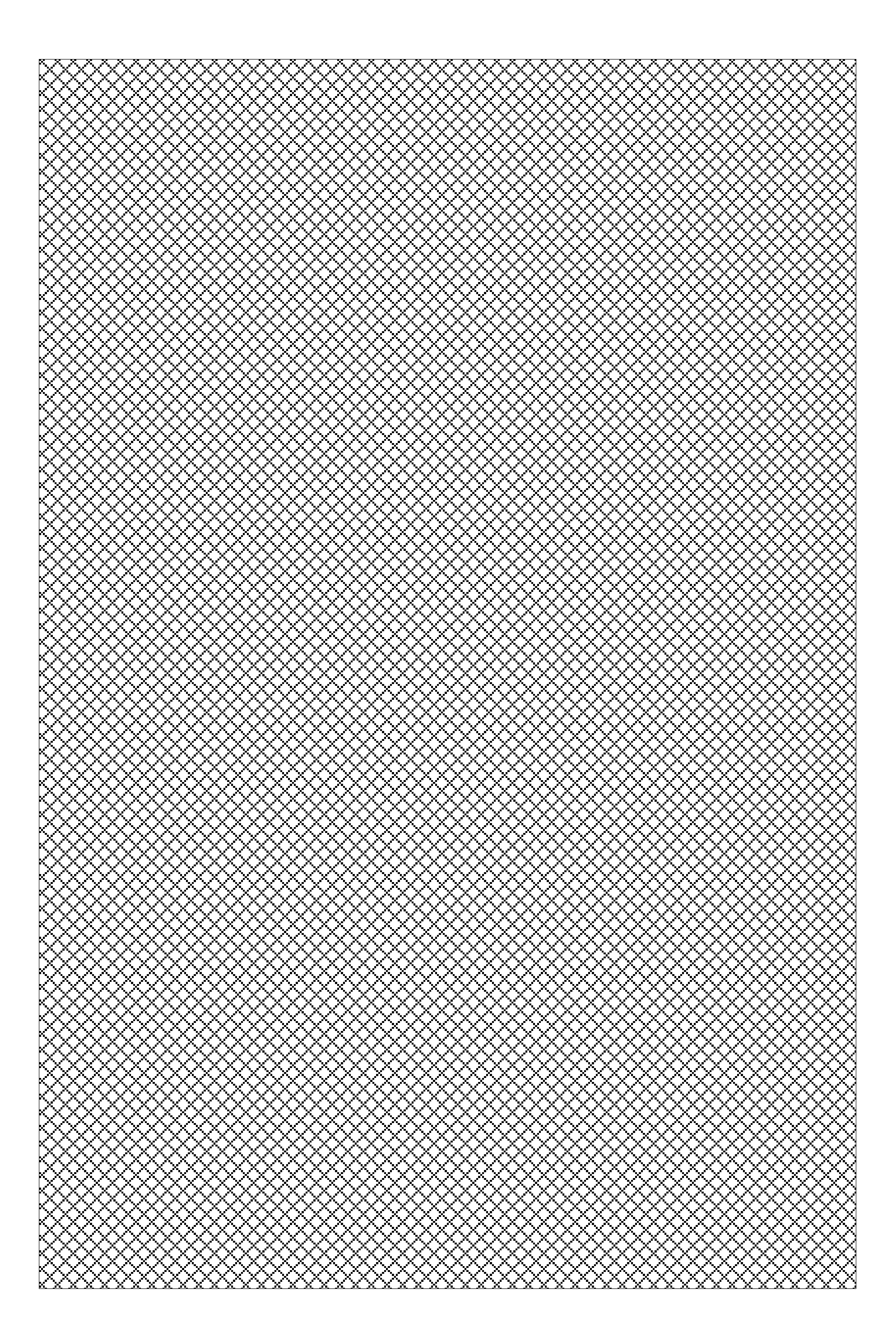
ليلة الأحد ١ صفر ١٤٣٦هـ

٢٣/١١/٢٠١٤م





ترجمة مؤلف الجوهر الفريد



تعريف بمؤلف الجوهر الفريد

الإمام الحبيب العلامة والحبر الفهامة السيِّد عبدالله بن عبدالرحمن بن الشيخ أبي بكر بن سالم

هو الإمام العلامة العارف بالله الورع الزاهد، من اجتمعت فيه خصال المحامد، المتفنن في صنوف العلوم، المنطوق منها والمفهوم، المتواضع المنكسر، المظهر من آثار أهله وأسلافه كل مندثر، من رقى في مقام العبودية، حتى حاز من الله الرتبة العلية ومقام المحبوبية، فما دعى قوماً إلى الله إلّا وأجابوه؛ لأن الله إذا أحب عبداً أمر أهل السماء والأرض فأحبوه، من تعجز الألسن عن وصفه، فما بلغ الواصف له عشر الوصف ولا نصفه، المتبتِّل العابد، الذي لا يُرى إلا ذاكراً أو لله راكع أو ساجد، طبيب الأبدان والقلوب، من جعله الله بين خلقه محبوب، فقصده القاصي والداني، للشرب من كأسه الهاني، فحظوا بالشرب من أحلى رحيق، وحالفهم من الله التوفيق، ذو المحامد والمكارم، نسل فخر العوالم، الحبيب عبدالله بن عبدالرحمن بن محمد بن شيخ بن أحمد بن ناصر بن أحمد بن الشيخ أبي بكر بن سالم، الحسيني الهاشمي، نفعنا الله به وبعلومه في الدارين، ولا حرمنا بركته أجمعين، وجمعنا به على حوض جده المصطفى الأمين، وأولادنا ونسائنا والوالدين، آمين اللهم آمين.

۞ مولده:

ولد سيدي الحبيب العلامة عبدالله بن عبدالرحمن في موطن الأجداد، المسمى بسعاد، بندر الشحر المأنوس، والذي بعين العناية إن شاء الله محروس، وكان مولده سنة تسع وثلاثمائة وألف (١٣٠٩هـ) من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التسليم، وتربى ونشأ رضي الله عنه في هذه البلدة المباركة والتي تسمى ببنت تريم، لما انتشر فيها من العلماء العاملين أهل الفضل العميم، حتى حظيت بهذا التكريم، وهي بلدة طيبة طيب أهلها، وحسبك من ذلك ما قاله قطب الدعوة والإرشاد الإمام عبدالله بن علوي الحداد، حيث قال:(**إن أهل الشحر أرق قلوبا من أهل حضرموت**) اهـ،[١] وقال سيدي الإمام الكبير ذو الفيض المدرار الشيخ عمر المحضار:((**من لا ربح من الشحر فليأخذ من ترابها**))،[٢] وكفى بها شهادة من مِثْلي هذين الجبلين العظيمين، وقد كثر بهذا البندر الأولياء العظام، واشتهر صيتهم عند الخاص والعام، حتى قال بعض الفضلاء متوسلا بأوليائها الكرام رحمهم الله ونفعنا بهم :

لُذْ بالكرامِ أولي المقامِ الأقومِ ولسوحِهم دأبًا دوامًا فالزَمِ

---

(١) انظر نشر النفحات المسكية في أخبار الشحر المحمية للإمام عبدالله بن محمد باحسن جمل الليل، (طبعة تريم للدراسات والأبحاث) (٣٤).

(٢) انظر نشر النفحات المسكية (٤٢).

متوسلا عندَ الإلهِ بهمْ فهمْ نعمَ الوسيلةُ في المهمِّ المدهمِ
من أمهمْ بتذللٍ نالَ المنى من ربِّه وحظي بأوفرِ مغنمِ
أهلُ المقاماتِ الذي أنوارُهم في جنحِ ليلِ الدهرِ مثلُ الأنجمِ
هم غوثُ أهلِ الأرض مهما أمّهمْ خرجُ الصدورِ وكلِّ أمرٍ مفحمِ
يا أولياءَ الشحرِ غارةَ منجدٍ ضاقَ الخناقُ على المقلِّ المعدمِ
وتقطعتْ أسبابُه مما جرى فيها من الجورِ المضرِّ المولمِ
فغدى كحوتِ البحرِ ملقًى بالعرَى يبكي بدمعٍ منْ دمٍ أو عَنْدَمِ
و لقدْ توسلنا بركنِ الالتجا وأمانِ قلبِ الخائفِ المتهجمِ

تعلمه وطلبه للعلم:

نشأ صاحب الترجمة الإمام عبدالله بن عبدالرحمن بهذا البندر المبارك العظيم، وحفظ القرآن الكريم، وقد ألحقه والده حين بلوغه سن التمييز بعلمة المعلم سالم بن سعيد حسينون، فتعلم عليه القراءة والكتابة وقرأ القرآن بها، ثم التحق بعدها برباط الشيخ العلامة محمد بن سلم بمدينة (غيل باوزير) وهي قريبة من بندر الشحر، فتلقى فيه العلوم بهمة عالية تزعزع الجبال، وقام فيه بالجد والإجتهاد مقام الرجال، حتى فاق الأقران، وظهر نوره وبان، ثم سافر إلى بلاد العلم والصفاء، المليئة بالأولياء، الراسخين في العلوم النافعة، من لم تزل أنوارهم ساطعة، وأمطارهم هامعة، بلاد الفضل والتكريم، الغنّاء تريم، موطن الأسلاف، المحفوفة بالرعاية

والإلطاف، وفي طريقه إلى تريم مرّ ببلد سيؤون، وزار به آنذاك الإمام الكبير، والعلم الشهير، من بالنور يتوقد، سيدنا الإمام المجدد، المتبع المقتدي، الحبيب علي بن محمد بن حسين الحبشي- رحمه الله، ونال بتلك الزيارة، غاية المنى والبشارة، حيث دعى له الإمام علي بن محمد الحبشي- أن يكون مثل جده الشيخ أبي بكر بن سالم في العلوم والولاية والصلاح، فاستجاب الله لذلك الدعاء، وبدا النور ولاح، وقد أقام صاحب الترجمة برباط الإمام الحبيب علي بن محمد الحبشي فترة يتلقى عن هذا الإمام العلوم والأسرار والفهوم، وله بالرباط عزلة معروفة كما أخبرني بذلك السيد محمد بن علي بن عبدالقادر الحبشي حفظه الله، فهو أحد شيوخه الذين أخذ عنهم ، ونهل من معينهم، وليست هي مجرد زيارات فقط كما يعتقد البعض.

ثم قصد صاحب الترجمة رحمه الله مدينة تريم، ونزل برباط العلم بها، وكان آنذاك شيخ تريم وإمام أهل التكريم، ذو المسك العاطري، الحبيب عبدالله بن عمر الشاطري عليه رحمة الله، فتلقى عنه العلوم بكمال الأدب، حتى نال غاية الأرب، وتلقى بها كذلك عن كثير من أهل العلم ممن هو ظاهر ومستور، أمثال الإمام العلامة الحبيب علوي بن عبدالرحمن المشهور، ومكث بتريم قرابة العامين أو تزيد، كان في كل نفس من أنفاسه في تلقي ومزيد، وقد ذكروا أنه خرج من بلده الشحر وهو رابط فراش

النوم، وعاد من تريم وفراشه لا يزال مربوطا وكأنه رُبط اليوم، لم يحل ربطه لينام فيه، بل كان نومه غفوات حتى لا يفوت الوقت عليه، فرحمه الله من صاحب همة أخجل من جاء بعده من الطلاب، حيث لم يصلوا إلى ذلكم المقام والجناب، وكان أيام دراسته بتريم يتردد على شيخه الإمام علي بن محمد الحبشي بسيؤن للتلقي عنه والتزود منه.

علمه بالطب:

وكان مما يذكر عنه كما سمعنا من شيوخنا ومن آبائنا وكبار السن فينا الذين عاصروه أنه كان طبيبا لأهل البلد وضواحيها، حيث يقوم بعلاجهم؛ لعلمه بالطب العربي، وعن طريق الأدعية والأذكار، ولربما قصده القاصد في آخر الليل لعلاج أحد أقاربه، فيخرج معه من البيت قاصدا بيت المريض لعلاجه دون كدر، ولا تأففٍ ولا ضجر، حتى يجعل الله الشفاء على يديه، فيعود شاكراً لربه وباريه.

تعليمه وقيامه بالتدريس:

بعد أن تلقى سيدي الإمام عبدالله من العلوم أوفرها، ومن الفنون أنظرها، عاد إلى مسقط رأسه بندر الشحر، وكان يزخر بالجواهر كالبحر، فقام بالتدريس، في ذلك السوح الأنيس، فافتتح مجلساً فقهياً بعد صلاة العصر، في مسجد جده الإمام أحمد بن الشيخ أبي بكر، وأخذ يدّرس أهل

بلدته بهمة عالية، وعزائم سامية، حتى جاءه الأمر من الحبيب مصطفى بن أحمد المحضار بالسفر إلى جنوب إفريقيا إلى بلد كيب تاون، والصومال، والسواحل، وقد طلب منه والده أن يحضر معه أخته من كيب تاون، فتوجه بهمة تقلقل الجبال، وهو مزود بأحمال الرجال، ولم يشاهده من كان معه في رحلته إلا قائماً يصلي، أو ذكرا لله العلي.

ومكث في رحلته قرابة السنة، يعلِّم ويدرِّس ، وعن المكروب ينفِّس، وومن أخذ عنه في تلك الرحلة شيخنا اللوذعي المحب صافي البصائر والسرائر، من بالأنوار غُمر الشيخ حسن بن محمد بن عمر باعمر رحمه الله وأعلى له الدرجات كما سمعت ذلك منه في إحدى زياراته لمدينة الشحر وتَحَدُّثِهِ في مناسبة من مناسباتها، ثم عاد سيدي الإمام عبدالله إلى بلده ومسقط رأسه بندر الشحر، واستمر في تدريسه وإرشاده وتوعيته للعباد، وتزويدهم بخير زاد، واستمر على هذا الحال، حتى ضرب به في الإجتهاد المثال.

وفي سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة بعد الألف للهجرة (١٣٤١هـ).. عيَّن مديراً على مدرسة مكارم الأخلاق ببندر الشحر، فبرز فيها أي بروز، وأصبح الدارسُ فيها للقرب من الله يحوز، وبخدمة شرع نبيه محمد صلى الله عليه وسلم يفوز، فقام بتطوير التعليم، وذلك بإضافة مناهج لم تكن

موجودة من قديم، كما وضع لوائح للتنظيم، تقوم بتسيير العمل بالمدرسة على النهج القويم، وإن كتابنا هذا الذي نحن بصدده لهو أحد هذه المناهج التي وضعها للمدرسة.

ثم أشار عليه أثناء توليه لهذه المدرسة شيخه الإمام العلامة الحبيب عبدالله بن عمر الشاطري رحمه الله بإقامة رباط علمي، ينتفع به النا س ويتفرغ به طلاب العلم، حيث كانت المدرسة التي تولى إدارتها هي مدرسة تابعة للحكومة، فاغتنم سيدي هذه الإشارة، واستغل مقدم شيخه الحبيب عبدالله الشاطري إلى بندر الشحر حيث حدد له شيخه مكان الرباط، وفي ذلك إذن من شيخه للتدريس وتوليه في البلاد، ثم توجه معه إلى زيارة بعض أولياء الله بنية التيسير لبناء هذا الصرح العلمي، ويسَّر الله بنائه، وفَتَحَهُ شَيْخُهُ الإمام العلامة الحبيب عبدالله بن عمر الشاطري في مطلع عام سبعين وثلاثمائة بعد الألف للهجرة (١٣٧٠هـ) ما يوافق عام (١٩٥٠م)، وفي هذا العام قدَّم صاحب الترجمة رحمه الله استقالته من مدرسة مكارم الأخلاق؛ ليتفرغ للتدريس والتعليم برباطه الذي أسماه **(رباط المصطفى)**، فأقبل عليه طلاب العلم، ليتلقوا عنه معاني الفهم، فكان الإقبال من داخل البلد ومن خارجها، كبلد المهرة ووادي حضرموت، ومن خارج اليمن كالصومال وإفريقيا، فصار مقصدا للوافدين في هذا البلد التاريخي العريق،

وقام عليه رضوان الله بتنظيم مَدْرَسَيْنِ في الرباط المذكور يومي السبت والأربعاء بعد صلاة العصر على غرار مَدْرَسَي رباط تريم صانه الله وعم به النفع البلاد والعباد آمين اللهم آمين.

كما أقام مجلساً لقراءة مولد شيخه الإمام المجدد علي بن محمد الحبشي- وذلك مساء كل ليلة إثنين من كل أسبوع، وقد أقبل أهل البلد على هذه المجالس، إقبالا عظيما.

كما زاد في عدد ليالي قراءة المولد النبوي الشريف في شهر ربيع الأول حيث جعل القراءة من أول ليلة في الشهر افتتاحاً بمسجد سيدي المحضار ببندر الشحر، واختتاما بمسجد الإمام الشيخ فضل بن عبدالله بافضل منتصف شهر ربيع الثاني، ولازالت هذه المجالس المباركة مستمرة إلى وقتنا هذا، أدامها الله وعم بها الخير في البلاد والعباد.

وقد أُغلق رباط المصطفى المذكور أيام الحكم الشمولي في جنوب اليمن كبقية الأربطة ودور العلم التي أغلقت من قبل ذلك الحكم الظالم المحارب للدين، غير أن نية المؤسس كانت قوية، فبقي الرباط نفعا للخلق حتى بعد أخذه، فقد حُوِّل إلى روضة للأطفال، فلم يخرج عن مقصده وهو العلم، ثم لما حصلت الأمطار الغزيرة في بندر الشحر في عام ١٩٨٨م وتضررت بيوت كثير من أهل البلد.. وُضِعُوا للسكن بالرباط، فكان

الرباط نفعا للخلق ولم يتوقف عن النفع، وهذا دليل على صدق نية المؤسس رحمه الله تعالى.

وبقي الرباط بعد ذلك مغلقاً ومعطلاً فترة من الزمن حتى أذن الله بإعادته وفتحه بإشارة من شيخ شيوخنا الإمام العلامة المربي الحبيب عبدالقادر بن أحمد السقاف عليه رحمة الله، فتم فتحه على يد سيدي وشيخي وبركتي الإمام العلامة المربي الحبيب عمر بن محمد بن سالم بن حفيظ بن الشيخ أبي بكر بن سالم وذلك في عام ١٤١٢هـ الموافق ١٩٩٢م ، فعاد إليه نشاطه، وقصده الطلاب من كل فج، وحدث عن نفعه لهم ولا حرج، وأقام سيدنا وشيخنا الحبيب عمر بن محمد حفيظحفظه الله فترة من الزمن ببندر الشحر للتدريس فيه بعد عودته من سلطنة عمان، وهو بحمد الله إلى الساعة يقوم بدوره ونشاطه، نسأل الله تعالى أن يصونه من كل سوء وأن يعم به النفع والإنتفاع شرق الأرض وغربها آمين اللهم آمين.

۞ مجاهدات صاحب الترجمة:

أما مجاهداته عليه رحمة الله.. فحدث ولا حرج حيث أنه كان يجلس في مصلى الرباط من الصباح، ويقبل عليه الطلاب ليقرأوا عليه، وكل في كتابه وفي فن من الفنون، ولا يقوم من مقعده حتى قرب العصر، فيعود إلى بيته، ثم بعد العصر يعاود المجيء إلى الرباط للتدريس، فكانت همته عالية وهمه كبير في إبلاغ علم السراج المنير، حتى كان ينادي في أهل الشحر

ويقول: إني بريء ممن لم يتعلم من أهل الشحر أو بما معنى كلامه، فقد كان يدعوهم للعلم بهمة قوية، وعزيمة هاشمية.

أما مجاهداته في العبادة.. فقد كان لا يُرى إلا عابدا زاهدا ورعا، حتى كان من شدة ورعه لا يمشي إلا متطيلساً لا يرفع نظره عن الأرض حتى لا ينظر إلى ما لا يعنيه، فقد كان شديد التواضع والإنكسار، للملك الجبار، يلاحظ ذلك كل من جالسه أو رآه، سواء ممن والاه أو عاداه.

وأما قيام الليل فما كان يتركه كما أخبرني كثيرٌ ممن رافقوه ومنهم سيدي الوالد حيث أن صاحب الترجمة يكون خالاً له، فوالدة سيدي الوالد هي الحبابة الشريفة الصالحة العابدة الزاهدة شيخة بنت عبدالرحمن بن محمد بن الشيخ أبي بكر بن سالم، فالحمد لله الذي جعل للفقير نسبة بهذا الإمام الكبير.

وقد حدثني من أثق به من أهل البلد أن صاحب الترجمة بعد أن أصيب بالفالج.. أقعد فلم يستطع القيام، فقال لي هذا الشخص: كنا في ليلة من الليالي في بيت الحبيب عبدالله بن عبد الرحمن في مناسبة كانت عندهم، وكنا نعد للوليمة من الليل، وقد كان الحبيب عبدالله جالساً ومقعداً على كرسي في ناحية من غرفة البيت، فلما جاء آخر الليل.. نظرت إلى داخل الغرفة فإذا بها نور أخضر، قال: فدخلت لأنظر فإذا بالحبيب عبدالله قائما يصلي وكأنه لم يكن به شيء، وقد أحاط به نور أخضر من جميع نواحي بدنه،

قال: ولم يلاحظ نظري إليه إلا بعد زمن ، فلما رآني.. قعد من حينه واختفى ذلك النور، عليه رضوان الله ورحمته وجمعنا الله به في أعلى الفراديس آمين اللهم آمين.

مؤلفاته:

لصاحب الترجمة العديد من المؤلفات في فنون شتى ، فمنها:

١) مولده المشهور والمتداول المسمى (مفتاح الأنوار).

٢) مجموعة أدعية وصلوات على النبي صلى الله عليه وسلم، طبعت مع مولده في كتاب واحد.

٣) التحفة المرضية في الأحكام الفقهية (جزءان).

٤) الطريقة السهلة الجلية في العوامل النحوية، وقد طبع هذا الكتاب من قِبل دار الحامي للدراسات والنشر.

٥) الجوهر الفريد في خلاصة التوحيد، وهوا هذا الكتاب الذي نحن بصدده، وقد طبع أيضاً من قبل دار الحامي للدراسات والنشر، جزاهم الله خيراً.

٦) الرسالة الجلية في الأحكام التجويدية.

٧) شذرات من السيرة النبوية.

٨) رسالة في علم الصرف، وقد طبعت مع كتاب (الطريقة السهلة الجلية) من قبل دار الحامي كذلك.

٩) خلاصة التحفة المرضية في الأحكام الفقهية.

١٠) رسالة في علم الفرائض.

١١) شرح مختصر على منظومة (جوهرة التوحيد).

طلابه:

لسيدي الإمام عبدالله بن عبدالرحمن الكثير من الطلاب الذين تلقوا عنه، واستفادوا منه، وتربوا بتربيته، وشربوا من حميا كؤوسه، وأشرقت عليهم أنوار شموسه، ولا يمكنني حصر المتلقين عنه عليه رضوان الله، غير أني سأذكر أبرزهم من عرفناهم والبعض منهم تلقينا عنهم، ورأينا هممهم،فمنهم:

شيخنا ومربينا وتاج رؤوسنا الشيخ العلامة البركة الفقيه النحرير المتواضع المنكسر لله عبدالكريم بن عبدالقادر الملاحي مفتي الشحر المتوفى بها سنة ١٤١٧هـ، عليه رحمة الله ورضوانه.

ومنهم شيخنا ومربينا المحب المتواضع المنكسر الفقيه العلامة سالم بن خميس حبليل المتوفى بنفس السنة بأرض الأردن عليه رحمة الله ورضوانه.

ومنهم الشيخ الجليل الفقيه سيعد بن مبارك بن سعيد باعبده مفتي قشن بأرض المهرة، والمتوفى بها سنة ١٤٣٠هـ عليه رحمة الله ورضوانه.

ومنهم شيخنا وبركتنا المنوَّر المحب لله ورسوله وأهل بيته الشيخ المربي حسن بن محمد بن شداد بن عمر باعمر المتوفى ظهر يوم الثلاثاء السادس من شهر ربيع الأول سنة ١٤٢٤هـ بالمدينة المنورة.

ومنهم الشيخ الفقيه الفرضي حامد يسر اليزيدي المتوفى بالشحر.

وغيرهم كثير جمعنا الله بهم على حوض النبي محمد صلى الله عليه وسلم آمين اللهم آمين

۞ وفاته رضي الله عنه:

ذكرنا أن صاحب الترجمة عليه رحمة الله قد أصيب بمرض الفالج، وهو ما يسمى بمرض (الرياح الحمراء)، وكان ذلك في عام تسع وسبعين وثلاثمائة بعد الألف من الهجرة (١٣٧٩هـ)، فأقعد في بيته لم يستطع الحركة ولا الكلام إلا بالإشارة، ولعل ذلك المرض كان رحمة به عليه رضوان الله، حيث أُخِذَ في ذلك الوقت الرباط من قبل الحكم الشمولي وأغلق، فلعل الله لم يرد أن يريه مكان علمه وتدريسه وهو مغلق رحمة به.

ولازمه المرض حتى يوم الأربعاء الثالث والعشرين (٢٣) من شهر شوال من عام أبعة وثمانين وثلاثمائة بعد لاألف للهجرة (١٣٨٤هـ) الموافق ٢٤ فبراير ١٩٦٥م حيث أسلم في هذا اليوم روحه إلى باريها، فبكته سعاد بمن فيها، ولم يبق دار إلا وقد حزن على فراقه، وشعر بالنقص الذي حصل

برحيله، فانتشر الخبر بين الناس كصاعقة وقعت عليهم، ودفن في قبة جده الإمام أحمد بن الشيخ أبي بكر بن سالم، وقبره في الناحية البحرية من قبر جده الشيخ أحمد المذكور، بجوار قبر والده الإمام الحبيب عبدالرحمن بن محمد بن الشيخ أبي بكر بن سالم.

وتقام قراءة على روحه كل عام ابتداءاً من يوم العشرين من شوال من كل سنة ويكون ختام القراءة مساء الثالث والعشرين من الشهر المذكور ليلة الرابع والعشرين منه، ويحضره جمع غفير من أهل البلد ومن خارجه ومن العلماء والصلحاء من ساحل ووادي حضرموت، وذلك مستمر ولله الحمد إلى وقتنا هذا.

فرحمه الله رحمة الأبرار، وأسكنه دار القرار، مع النبي المختار، ولا حرمنا بركته وعلومه، وجمعنا به في أعلى فراديس الجنان، مع النبي العدنان، آمين اللهم آمين.

وكتبه

علوي بن عبدالله بن حسين العيدروس

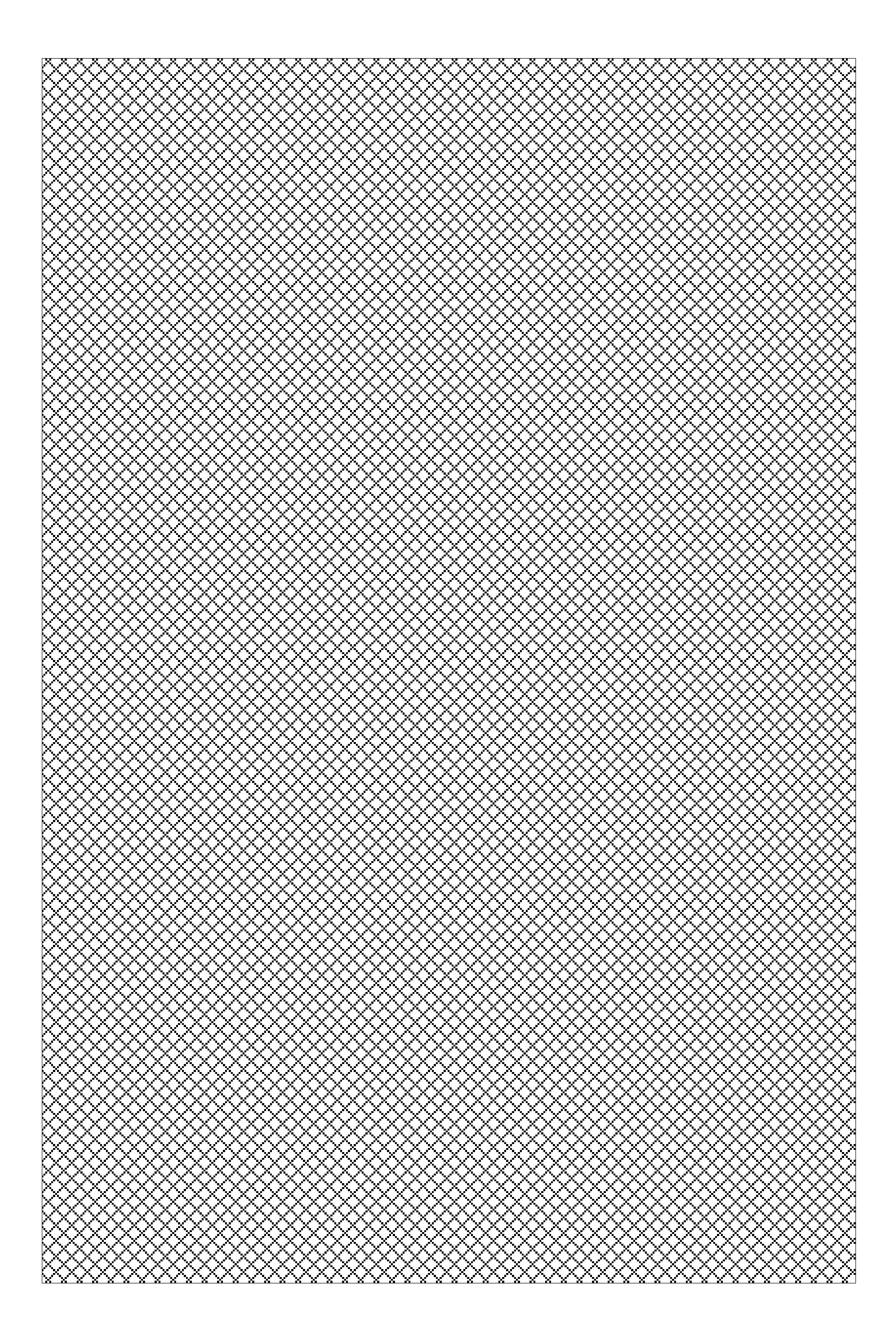
ليلة الأحد التاسع من شهر رجب الأصب ١٤٣٤هـ

تريم المحروسة صانها الله من كل سوء

اَلْقَوْلُ المُفِيْد

شَرْحُ الجَوْهَرِ الفَرِيْد

فِي خُلاصَةِ التَّوْحِيْد



مقدمة الشارح

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المتفرد بالوحدانية، المهيمن على كل البرية، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد من أدعنت له الملة الكافرية، وعلى آله وصحبه أهل الهمة العلية، أما بعد...

فإن كتاب (**الجوهر الفريد في خلاصة التوحيد**) لمؤلفه الحبيب العلامة والحبر الفهامة علامة زمانه، ووحيد عصره وأوانه، السيد الحليم، ذي الخلق العظيم الإمام عبدالله بن عبدالرحمن بن محمد بن الشيخ أبي بكر بن سالم، صاحب الشحر، ومؤسس رباط المصطفى بها.. كتاب صغير في حجمه ، كبير في محتواه وعلمه، وهذا أول بروز للكتاب منذ أن ألفه رحمه الله، حيث أكرم الله إخواننا في (دار الحامي للدراسات والنشر) إلى إخراجه وإبرازه لطلاب العلم؛ لتعم به الفائدة، من مخطوطة هي الوحيدة التي توصلنا إليها، كانت ملكاً لتلميذه الحبيب علي بن محمد بن عبدالرحمن باهارون، فتلقاه طلاب العلم بالفرح والسعادة، فأحببت وضع شرح مبسط عليه يعين المدرس في تدريسه، والطالب في تأسيسه، فأخفف عنه كلفة البحث، واستعنت بصورة أساسية بصورة من المخطوطة أهداها لي السيد محمد بن علوي باهارون مدير دار الحامي ببلد الحامي حفظه الله ورعاه، كما استعنت بالنسخة المطبوعة المشار إليها.

وقد شاروت في ذلك شيخنا سلطان العلماء الحبيب العلامة والحبر الفهامة سيدي الحبيب سالم بن عبدالله بن عمر الشاطري مدير رباط تريم، فوالده كان شيخاً للإمام عبدالله بن عبدالرحمن صاحب المتن، فأذن بذلك وقام بترتيب الفاتحة بنية التوفيق والسداد،ثم شرف الشرحَ بتقريظ مبارك من عنده جزاه الله خيراً، ثم شاورت سيدي وملاذي وبركتي وشيخي ووالدي الإمام العلامة الحبيب عمر بن محمد بن سالم بن حفيظ عميد دار المصطفى، وخصوصاً أني رأيت في المنام أنه يأذن لي في ذلك، فأخبرته بالرؤية، فأذن لي ودعاء لي بالتوفيق، وشرف الشرحَ بتقريظ من عنده،(١) فجزاه الله خيراً، ولست إلا حسنة من حسنات هؤلاء الشيوخ الكرام، وبركة حلت علي من دعائهم، فوفق الله الفقير لإتمام هذا الشرح المبارك إن شاء الله تعالى، وقد سميته بعد إذن شيخي الحبيب عمر: (**القول المفيد شرح الجوهر الفريد في خلاصة التوحيد**)، ولم يسبق لهذا المتن شرحٌ من قَبِل إطلاقاً على حسب علمي، فيكون هذا هو الشرح الأول للمتن، وقد حاولت تسهيل العبارات فيه بقدر المستطاع؛ ليسهل على إخواني طلاب العلم فهمها، ونصَّصت بين بعض عبارات أهل العلم لإيضاح المعنى، وضمنت الشرح بعضاً من

(١) أرسله سيدي الحبيب للفقير من أرض جاوا حيث كان بها للدعوة إلى الله.

منظومة الجوهرة ليكون الشرح كبيانٍ لبعض أبيات هذه المنظومة وشرحاً مبسطاً لها.

كما حاولت التعرض لبيان الكثير من الشبهات التي تظهر عند العوام، وما يثيره بعض اعداء الدين ليوقعوا الامة في التشكيك على قدر المستطاع.

فمن وجد بالشرح شيئاً من الصواب.. فمن توفيق الله تعالى، ومن وجد به شيئا من الخطأ.. فهو من سهو العاجز الفقير؛ فليصلحه وليدعو لي ويستغفر الله لي ولوالدي ومشايخي ومن له حق علي.

أسأل الله تعالى أن يجعله خالصا مخلصا لوجهه الكريم، ومقرباً إلى جنات النعيم ، وسبباً للفوز بالنعيم المقيم، ومرافقة أهلنا وأسلافنا عموماً، ومن سكن سعاد وتريم خصوصاً، وأن يعم به النفع والانتفاع، في جميع البقاع، آمين اللهم آمين.

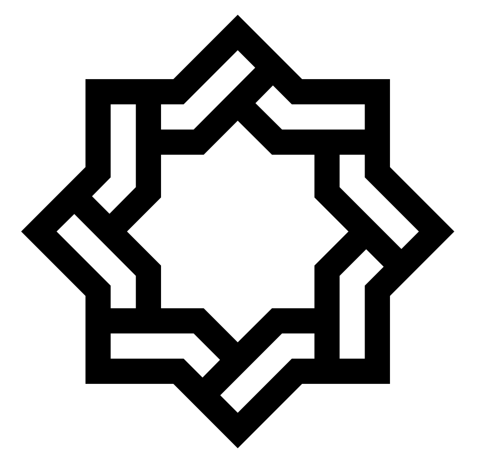
وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم والحمد لله رب العالمين.

وكتبه

علوي بن عبدالله بن حسين العيدروس

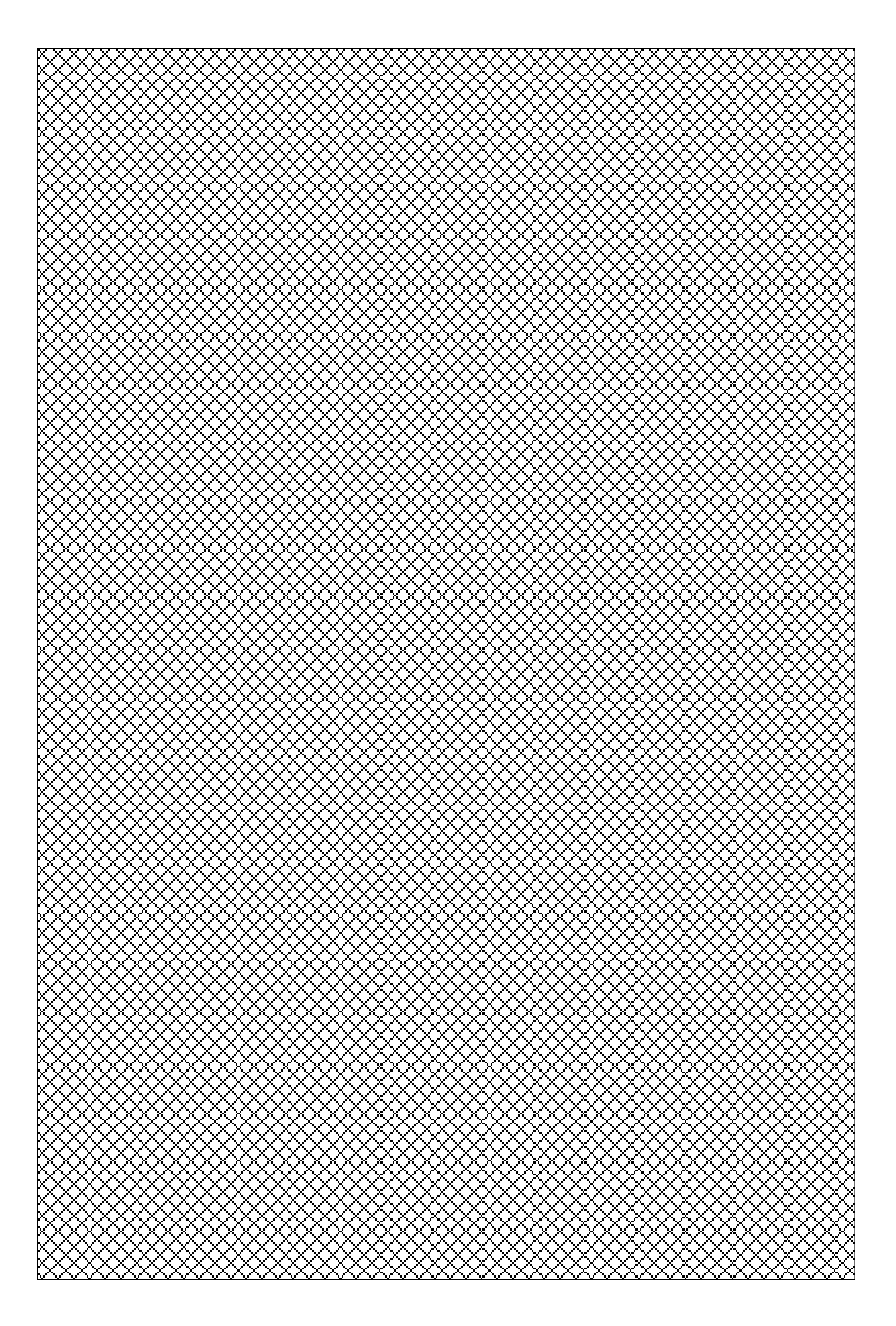
ليلة الأحد التاسع من شهر رجب الأصب ١٤٣٤هـ

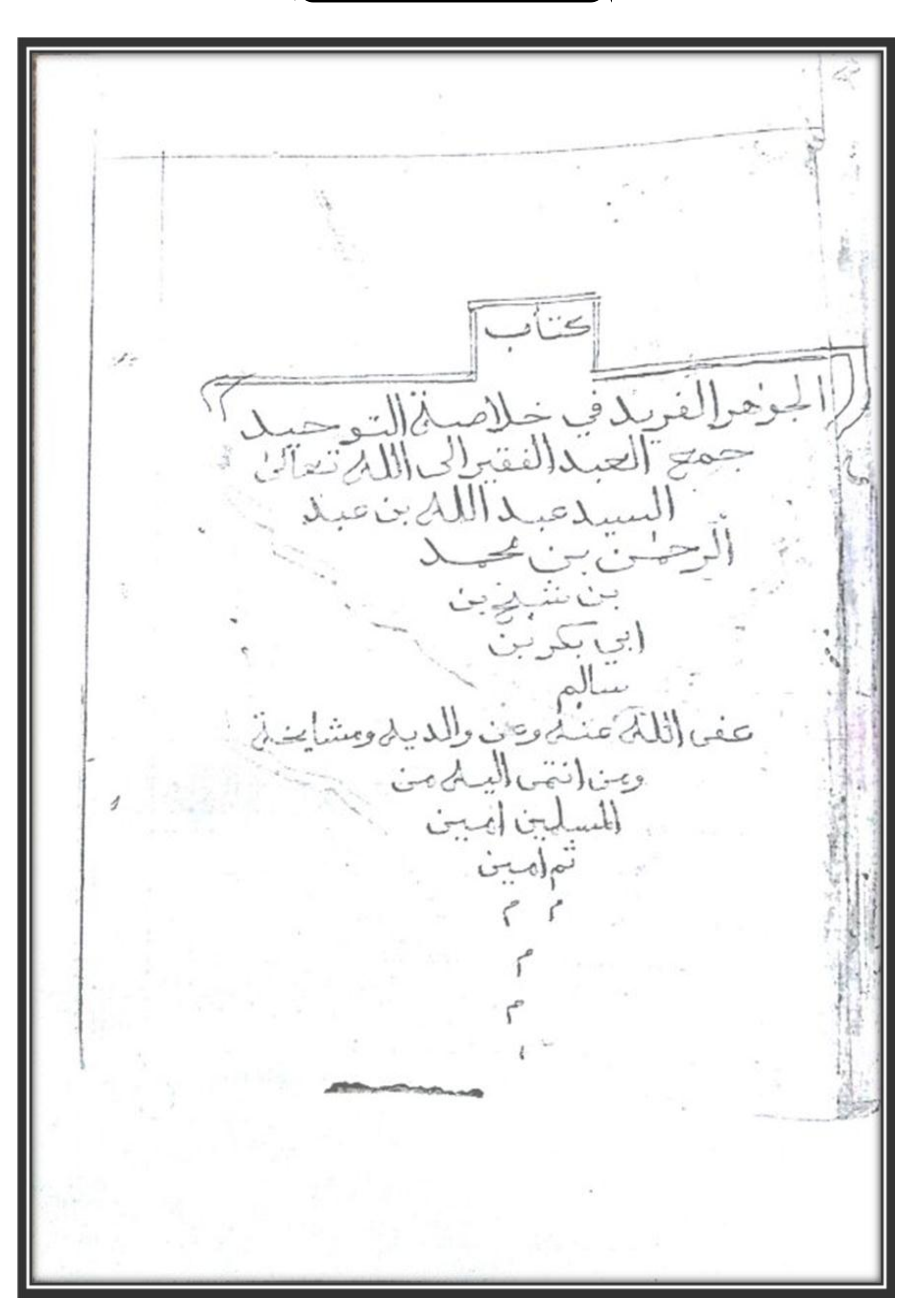
تريم المحروسة صانها الله من كل سوء





صور من مخطوط الجوهر الفريد





كتاب
الجوهر الفريد في خلاصة التوحيد
جمع العبد الفقير الى الله تعالى
السيد عبد الله بن عبد
الرحمن بن محمد
بن شيخ بن
ابي بكر بن
سالم
عفى الله عنه وعن والديه ومشايخه
ومن انتمى اليه من
المسلمين امين
تم امين

صورة الغلاف

يا الله — بسم الله الرحمن الرحيم — يا محمد

الحمد لله المنفرد بالوحدانيه والصلاة والسلام
على اشرف البريه سيدنا محمد صاحب المعجزات
الجليه وعلى آله الطاهرين العتره الهاشميه و
على أصحابه الانجم الزهريه وبعد فهذه ر
ساله في علم التوحيد ارجو من الكريم
الوهاب ان ينفع بها الطلاب ويجعلها خا
لصة لوجهه الكريم من الاعجاب وهو حسبي
ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلي
العظيم

مقدمة علم التوحيد

علم التوحيد هو علم يبحث فيه عن اثبات
العقائد الدينيه المكتسبه من ادلتها اليقينيه
وحقيقته افراد المعبود بالعباده مع اعتقاد و
حدته ذاتا وصفاتا وافعالا وموضوعه ذات
الله وذات رسله من حيث ما يجب وما يستحيل
وما يجوز وثمرته معرفة صفات الله تعالى

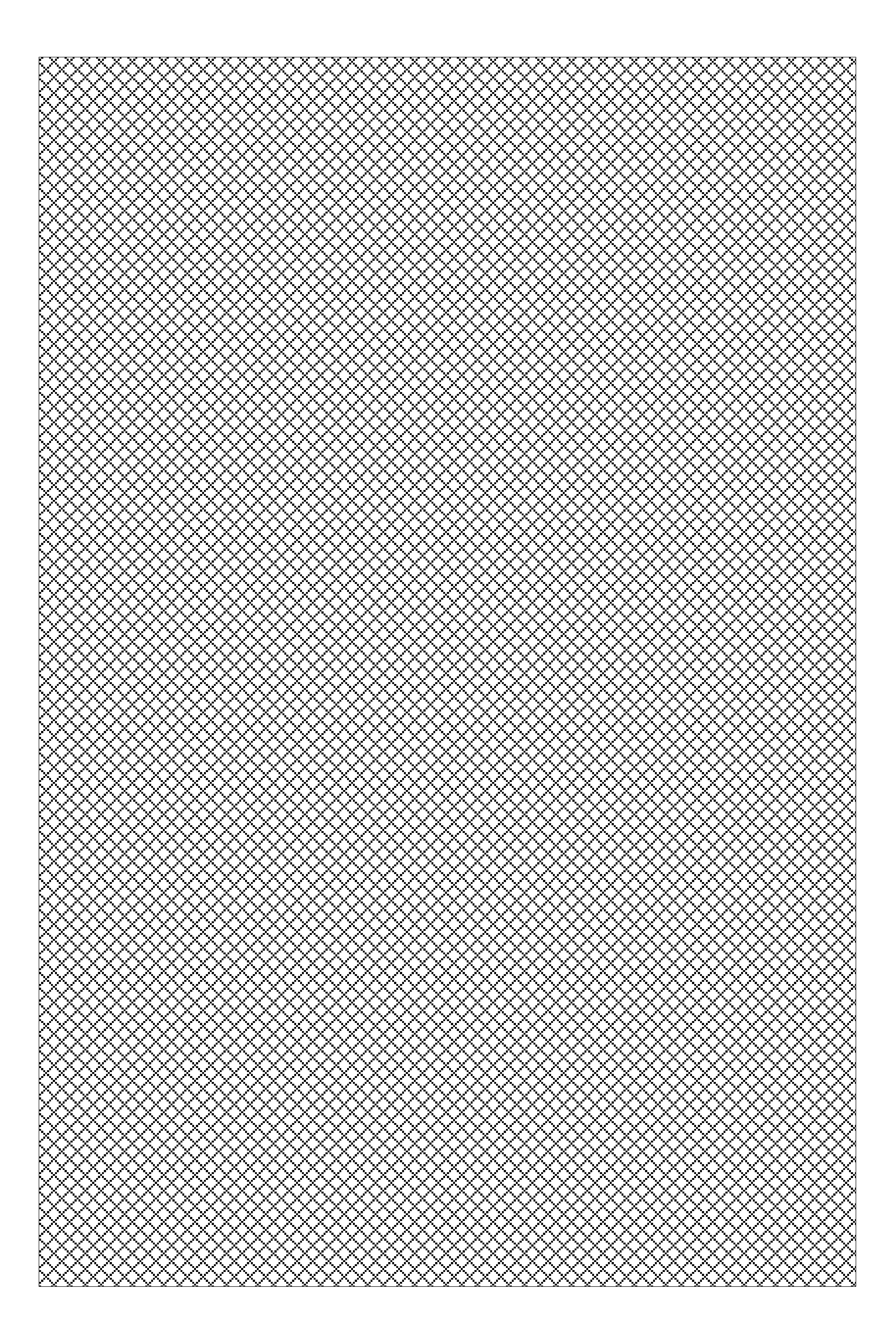
صورة الصفحة الأولى

قد رغ التشكيل بصور مختلفة ومنهم الصالح والطالح
والخبيث والطيب مثل بني ادم مسكنهم الارض ويجب
الايمان بالعرش والكرسي واللوح والقلم والله سبحانه
وتعالى اعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله
وصحبه وكل عبد مصطفى والحمد لله رب العالمين

أسئلة الدرس الثاني والثلاثون

(١) س) ما معنى الايمان بالقضاء (٢) س) ما معنى الايمان بالقدر
(٣) س) هل يجب الايمان بالجن (٤) س) هل يجب علينا الايمان
بالعرش والكرسي واللوح والقلم وصلى الله على سيدنا
محمد وعلى اله وصحبه وسلم والحمد لله رب العالمين
تم علم التوحيد

صورة الصفحة الأخيرة



مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله..

الشرح

مقدمة المؤلف

(**بسم الله الرحمن الرحيم**) و ابتدأ المصنف رحمه الله ونفعنا به في الدارين بالبسملة اقتداءً بالقرآن الكريم؛ فإن أول ما نزل قوله تعالى ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾ {العلق: ١}، وتأسيا برسول الله صلى الله عليه وسلم في كتابته للرسائل للملوك؛ ولقوله صلى الله عليه وسلم:((**كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لَا يُبْدَأُ فِيهِ بِبِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيْمِ أَقْطَعُ**)) أخرجه الرهاوي في الأربعين.

(**الحمد لله**)، والحمد لغة: الثناء باللسان على الجميل الاختياري على صفة التبجيل والتعظيم.

وشرعاً: فعل ينبئ عن تعظيم المنعم من حيث كونه منعماً على الحامد أو غيره، سواء كان ذلك اعتقاداً بالجَنان، أم قولاً باللسان ، أم عملاً بالجوارح.

ففعل الجَنان.. اعتقاد كونه سبحانه وتعالى موصوف بصفات الجمال، والكمال، والجلال.

فالصفات الجمالية.. ما يتعلق باللطف، والرحمة.

....

الشرح

والجلالية.. ما يتعلق بالقهر، والعزة والعظمة، وكل صفاته كمال سبحانه وتعالى.

وفعل اللسان.. ذكره بألفاظ دالة على تلك الصفات، وأما فعل الجوارح.. فقيامها بما يدل على تعظيم المحمود، ومن ذلك ما ورد عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ: كَانَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا اسْتَجَدَّ ثَوْبًا سَمَّاهُ بِاسْمِهِ قَمِيصٌ أَوْ عِمَامَةٌ، ثُمَّ يَقُولُ: ((**اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ كَسَوْتَنِيهِ أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِهِ وَخَيْرِ مَا صُنِعَ لَهُ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِ وَشَرِّ مَا صُنِعَ لَهُ**)) أخرجه الإمام أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي.

وعَنْ ابْنِ عُمَرَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ إِذَا تَبَوَّأَ مَضْجَعَهُ:((**الْحَمْدُ لله الَّذِي كَفَانِي وَآوَانِي وَأَطْعَمَنِي وَسَقَانِي وَالَّذِي مَنَّ عَلَيَّ وَأَفْضَلَ وَالَّذِي أَعْطَانِي فَأَجْزَلَ الْحَمْدُ لله عَلَى كُلِّ حَالٍ اللَّهُمَّ رَبَّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِكَ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَهَ كُلِّ شَيْءٍ وَلَكَ كُلُّ شَيْءٍ أَعُوذُ بِكَ مِنْ النَّارِ**)) أخرجه الإمام أحمد وأبو داود.

وقد ثنَّى المصنف رحمه الله بحمد لله اقتداءً بكتاب الله تعالى واتباعاً لقول النبي صلى الله عليه وسلم، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:((**كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لَا يُبْدَأُ فِيهِ بِالْحَمْدِ أَقْطَعُ**)) أخرجه ابن

المنفرد بالوحدانية، والصلاة ....


الشرح

ماجه والنسائي.

والجمع بين الروايتين أي رواية البسملة المتقدمة ورواية الحمدلة.. أن البسملة ابتداء حقيقي، وهو ما تقدم على المقصود ولم يسبقه شيء،والحمدلة ابتداء إضافي، وهو ما تقدم على المقصود وإن سبقه شيء، فالمقصود من هذا الكتاب المسائل المذكورة فيه،وقد تقدمت البسملة ولم يسبقها شيء، فهي ابتداء حقيقي والحمدلة تقدمت على المقصود، وقد سبقتها البسملة فكانت ابتداء إضافي.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ قَال:قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:((**كُلُّ كَلَامٍ أَوْ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لَا يُفْتَحُ بِذِكْرِ اللهِّ عَزَّ وَجَلَّ فَهُوَ أَبْتَرُ أَوْ قَالَ أَقْطَعُ**)) أخرجه الإمام أحمد، فجمعت هذه الرواية بين الروايتين حيث أن المقصود البدء بذكر الله تعالى.

ولفظ الجلالة (الله): علم على الذات الواجب الوجود المستحق لجميع الكمالات المنزّه عن كل نقصان.

(**المنفرد بالوحدانية**) أي: المنفرد بها دون غيره، وسيأتي بيان معنى الوحدانية وما يتعلق بها عند ذكر الصفات الواجبة إن شاء الله تعالى.

(**والصلاة**) من الله الرحمة المقرونة بالتعظيم، وهذا هو اللائق بالمقام.

والسلام...

الشرح

وقيل: هي مطلق الرحمة سواء قرنت بالتعظيم أم لم تقرن، وهذا لبيانها فقط مع قطع النظر عن المقام النبوي.[(١)]

وقد أختلف أهل العلم في معنى الصلاة منه تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم، فقال ابن حجر: هي زيادة في الرحمة ، ، وقال الحسن وابن جبير: هي الرحمة والمغفرة، ، وقال الإمام البخاري وطائفة من أهل العلم: هي التمجيد والثناء.

وقال مجاهد:(الصلاة من الله تعالى، التوفيق والعصمة، ومن الملائكة العون والنصرة، ومن الأمة الإتباع).

والصلاة من الآدميين تضرع و دعاء، ومن الملائكة استغفار.

(والسلام) أي: التحية، فسلام الله تعالى تحيته اللائقة به صلى الله عليه وسلم بحسب ما عنده تعالى.

والمراد بالتحية: أن يُسمعه من كلامه القديم الذي لا مثل له، الدال على رفعة مقامه العظيم ما تقر به عينه، وتبتهج بها نفسه، ويتسع به جاهه.[(٢)]

---

(١) انظر عون المريد (طبعة دار البشائر) (١/ ٧٠).

(٢) انظر عون المريد (١/ ٦٩).

على أشرف البرية سيدنا ، ....

الشرح

وقال بعضهم: معنى السلام: أن يسلِّمه من كل آفة منافية لغاية الكمال، والمخلوق لا يستغني عن زيادة الدرجات وإن كان رفيع المنزلة، على القول بعدم تناهي كمال الإنسان الكامل إذ ما من كمال إلا وعند الله أعظم منه، وما من وقت إلا وهناك نوع من الرحمة والتحية لم يحصل له .

وقال بعضهم: أن السلام بمعنى الأمان، ولم يرتض البعض هذا المعنى؛ لما فيه من الإشعار بمظنة الخوف مع أن أتباعه صلى الله عليه وسلم ﴿ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ {يونس: ٦٢} ، ومن قال بأن السلام بمعنى الأمان أثبتوا أنه صلى الله عليه وسلم يخاف خوف مهابة وإجلال، ولذلك قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:((**أَمَا وَاللهِ إِنِّي لَأَتْقَاكُمْ للهِ وَأَخْشَاكُمْ لَهُ**)) أخرجه مسلم وأحمد.

(**على أشرف البرية**) أي: أشرف الخلق ، (**سيدنا**)، ولفظةُ السيد تُطْلَقُ على مَنْ وُجِدَتْ فيه أحدُ الخصال الأربع التالية:

١. مَنْ سادَ في قومِهِ.
٢. مَنْ كَثُرَ سوادُهُ، أي جيشُهُ.
٣. مَنْ تَفْزَعْ إليهِ الناسُ عندَ الشدائِدِ.

محمد صاحب المعجزات الجليلة وعلى آله الطاهرين العترة الهاشمية، ......

الشرح

٤ـ الحلِيمُ الذي لا يَسْتَفِزّهُ غَضَبُهُ.

وقد جَمَعَ هذه الصفات كلّها حبيبُنا محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم.

(**محمد**) وهو يقال في الأصل لمن كثر حمد الناس له لكثرة خصاله الحميدة، وهو هنا علم على نبينا صلى الله عليه وسلم.

(**صاحب المعجزات الجليلة**) أي: العظيمة الكبيرة، وسيأتي الحديث عن المعجزات ومعناها بإسهاب إن شاء الله تعالى.

(**وعلى آله الطاهرين**) أي الموصوفون بالطهارة كما قال تعالى:

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ {الأحزاب: ٣٣}، وهم في مقام المدح: كل مؤمن تقي، وفي مقام الدعاء: كل مؤمن ولو عاصٍ، وفي مقام الصدقة: المؤمنون من بني هاشم والمطلب، كما قاله الإمام الشافعي.

(**العترة الهاشمية**) وقد أختلف أهل اللغة في معنى العترة، فقال ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ أَنَّ الْعِتْرَةَ وَلَدُ الرَّجُلِ وَذُرِّيَّتُهُ وَعَقِبُهُ مِنْ صُلْبِهِ وَلَا تَعْرِفُ الْعَرَبُ مِنْ الْعِتْرَةِ غَيْرَ ذَلِكَ،كما في المصباح المنير ولسان العرب، وبعضهم جعل العترة الأقربون ، والمراد بهم هنا هم أهل بيته صلى الله عليه وسلم، فإن

وعلى أصحابه ....

الشرح

عترته صلى الله عليه وسلم هم ذية فاطمة الزهراء من ابنيها الحسن والحسين رضي الله عنهم أجمعين، فعن جابر بن عبدالله ﷺ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:((**إِنَّ لِكُلِ بَنِىْ أَبٍ عُصْبَةٌ يَنْتَمُوْنَ إِلَيْهَا إِلَّاَ وَلَدَ فَاطِمَةَ فَأَنَا وَلِيُّهُمْ وَأَنَا عُصْبَتُهُمْ وَهُمْ عِتْرَتِيْ خُلِقُوْا مِنْ طِيْنَتِيْ وَيْلٌ لِلْمُكَذِّبِيْنَ بِفَضْلِهِمْ مَنْ أَحَبَّهُمْ أَحَبَّهُ اللهُ وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ أَبْغَضَهُ اللهُ**)) أخرجه الحاكم وابن عساكر، وفي لفظ:((**كُلُّ بَنِيْ آدَمَ يَنْتَمُوْنَ إِلَى عُصْبَةٍ إَلَّاَ وَلَدَ فَاْطِمَةَ فَأَنَا وَلِيُّهُمْ وَأَنَا عُصْبَتُهُمْ**)) أخرجه الطبراني.

ويدل على أن عترته هم من ولد فاطمة الزهراء عليها رضوان الله مع ما تقدم.. ما ورد عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:((**الْمَهْدِيُّ مِنْ عِتْرَتِي مِنْ وَلَدِ فَاطِمَةَ**)) أخرجه ابن ماجة وأبو داود واللفظ له.

والهاشمية نسبة إلى بني هاشم بن عبد مناف جد النبي صلى الله عليه وسلم.

(**وعلى أصحابه**)، والأصحاب جمع صاحب والمراد بهم هنا صحابته صلى الله عليه وسلم، ومفردها صحابي وهو: مَنْ لَقِيَ النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلّم بعد البعثة يقظةً في حياته على الأرض وهو مُؤمِنٌ به وماتَ على الإيمان، بمعنى أنّنا لا نطلِقُ على الشخص صحابي إلا إذا اجتمعتْ فيه

....

الشرح

الشروط التالية:

١ـ أنْ يلتقِي بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم، ولا تشترط الرؤية له صلى الله عليه وآله وسلم، فإنّ عبد الله ابن أم مكتوم لقِيَ النبي صلى الله عليه ولم يَرَهُ؛ لأنّه قد كُفّ بصره ولكنه صحابي جليل؛ لأنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم رآه.

٢ـ أنْ يكون اللقاء بعد البعثة.

٣ـ أنْ يكون اللقاء يقظة وفي حياته صلى الله عليه وآله وسلم لا بعد موته ولا في حياته في المنام، فمَنْ راءه صلى الله عليه وآله وسلم في حياته ولكنه في النوم لا يُسمّى صحابِياً.

٤ـ أنْ يكون اللقاء في الأرض لا في السماء.

٥ـ أنْ يلتقي به وهو مؤمِنٌ بنبوته.

٦ـ أنْ يموت على الإيمان، وهو شرط لدوام الصحبة.

وأعلم أنّ هذه الشروط كلّها قد اجتمعتْ في سيدنا عيسى بن مريم وسيدنا إدريس وسيدنا الخضر عليهم السلام حين اجتمعوا به صلى الله عليه وآله

الأنجم الزهرية، وبعد:


الشرح

وسلم في بيت المقدس ليلة الإسراء بالأرواح والأجساد، فكلّهم يُعدَّونَ مِنْ أصحابه صلى الله عليه وآله وسلم؛ لأنهم أحياء. وبه يلغز فيقال: لنا صحابة أفضل من أبي بكر الصديق.

وقد وصف المصنف رحمه الله أصحابه صلى الله عليه وسلم فقال: (**الأنجم الزهرية**)، والأنجم جمع نجم، والزهرية أي: المزهرة المضيئة، فهم كالنجوم المضيئة التي يهتدي بها الحيران ليصل إلى بغيته عليهم رضوان الله.

(**وبعد:**) وهي كلمة يؤتى بها للانتقال من أسلوب إلى آخر، وقد اختلف أهل العلم في أول من قالها، فقيل أنه داود عليه السلام، وهو الأقرب، وقيل قس بن ساعدة، وقيل سحبان بن وائل، وقيل كعب بن لؤي، وقيل يعرب بن قحطان، [1] وقد نظم بعضهم ذلك فقال:

جرى الخلف أما بعد من كان قائلا لها خمسة أقوال وداود أقرب
وكان له فصل الخطاب وبعده فقس فسحبان فكعب فيعرب

(١) انظر مغني المحتاج (١/ ١٥)، ونهاية المحتاج (١/ ٣٧)، وتحفة المحتاج (١/ ٣١)، وحاشية الشرواني (١/ ٣١)، جميعها (طبعة دار الفكر).

وبعد:

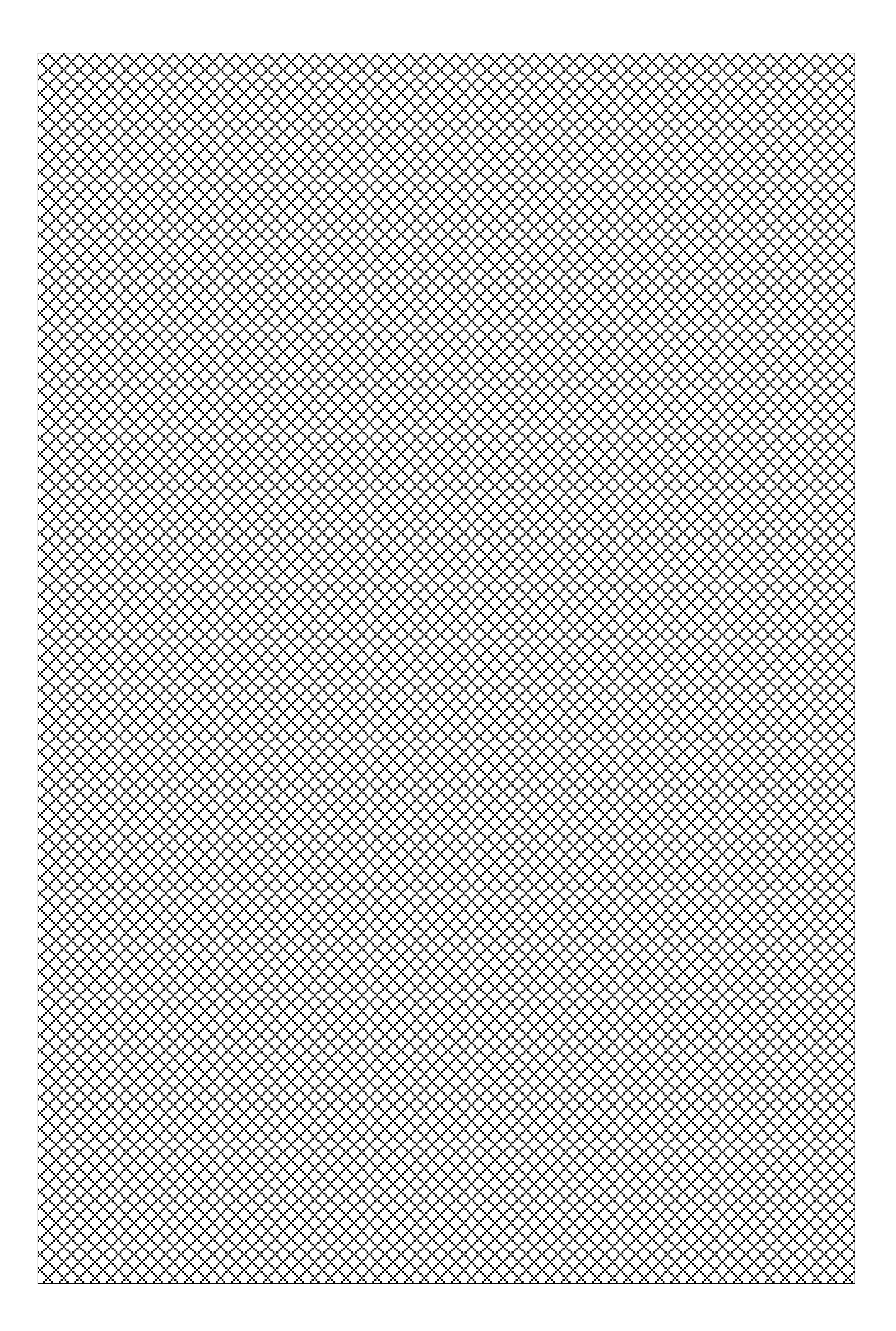
فهذه رسالة في علم التوحيد، أرجو من الله الوهاب أن ينفع بها الطلاب، ويجعلها خالصة لوجهه الكريم من الإعجاب، وهو حسبي ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.



(**فهذه**) التي بين يديك (**رسالة في علم التوحيد**) وسيأتي تعريفه إن شاء الله تعالى، (**أرجو من الله الوهاب أن ينفع بها الطلاب، ويجعلها خالصة لوجهه الكريم من الإعجاب، وهو حسبي ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم**).

مقدمة في علم التوحيد



مقدمة في علم التوحيد

هو علم يبحث فيه عن إثبات العقائد الدينية المكتسبة من أدلتها اليقينية. وحقيقته: إفراد المعبود بالعبادة مع اعتقاد وحدته والتصديق بها ذاتاً وصفاتاً وأفعالاً.


الشرح

مقدمة في علم التوحيد

وعلم التوحيد لغة هو: العلم بأن الشيء واحد.

وشرعاً: (**هو علم يُبْحَثُ فيه عن**) - وبعضهم يعرفه بأنه: علم يُقْتَدَرُ به على - (**إثبات العقائد الدينية المكتسبة من أدلتها اليقينية**)، وهذا بمعنى الفن المدوّن فيما سيأتي إن شاء الله تعالى، أما بالمعنى الشرعي (و) هو (**حقيقته**).. فهي التي عرفها المصنف رحمه الله فقال: (**إفراد المعبود بالعبادة مع اعتقاد وحدته والتصديق بها ذاتاً وصفاتاً وأفعالاً**).

معنى ألفاظ التعريف:

العلم: وهو الإدراك الجازم المطابق للواقع عن دليل، كالعلم بأن الواحد نصف الاثنين والثلاثة نصف الستة، وهكذا.

إثبات العقائد: والعقائد جمع عقيدة، وهي لغة: من عقد الشيء أي: ربطه.

وشرعاً: هي الأمر الثابت في القلب الذي لا يتطرق إليه شكٌ ولا

وموضوعه: ذات الله وذات رسله من حيث ما يجب وما يستحل وما يجوز.


الشرح

وهمٌ لدى معتقده.

الدينية: خرج بها غير الدينية كالعقائد الدنيوية.

أدلتها اليقينية: والأدلة جمع دليل، وهو: المرشد إلى المطلوب.

واليقين هو: حكم الذهن الجازم المطابق لموجبه أي: للواقع، وخرج بها الأدلة الظنيّة التي تحتمل التأويل، فلا يستدل بها في التوحيد.

ثم بعد أن عرف المصنف رحمه الله ونفعنا به علمَ التوحيد.. تكلم عن مبادئه،إذ كل من أراد دراسة فن.. ينبغي أن يعرف مبادئه، فإن لكل فن عشرة مبادئ مجموعة في قول الناظم:

إن مبادئ كل فن عشرة	الحد والموضوع ثم الثمرة
وفضله ونسبة والواضعُ	والاسم الاستمداد حكم الشارعُ
مسائلٌ والبعضُ بالبعضِ اكتفى	ومن درى الجميع حاز الشرفَ

فأولها: حده، والمراد به التعريف وقد تقدم الكلام عنه.

(و) ثانيها: **(موضوعه)** الذي يتحدث عنه، وهو **(ذات الله)** من حيث ما يجب له تعالى وما يستحيل وما يجوز في حقه تعالى، **(وذات رسله من حيث ما يجب وما يستحل وما يجوز)** في حقهم، وكذلك الممكن من حيث أنه يتوصل به إلى وجود صانعه، وكذا السمعيات الآتية معنا إن شاء الله تعالى

وثمرته: معرفة صفات الله تعالى بالبراهين القطعية والفوز بالسعادة الأبدية.

وفضله: أنه أفضل العلوم لكونه متعلقاً بذات الله وذات رسله .

ما نسبته؟ أنه أصل العلوم وما سواه فرع.

من الواضع له؟ أبو الحسن الأشعري، ....

الشرح

من حيث اعتقادها. (و) ثالثها: (**ثمرته**)، أي: فائدته، وهي: (**معرفة صفات الله تعالى بالبراهين القطعية**) لا الظنية (**والفوز بالسعادة الأبدية**).

(و) رابعها: (**فضله**)، وهو (**أنه أفضل**) وأشرف (**العلوم لكونه متعلقاً بذات الله وذات رسله**) وما يتبع ذلك؛ فالمتعلِق يشرف بشرف المتعلَق به.

وخامسها: ما سأل عنه المصنف رحمه الله تعالى حيث قال: (**ما نسبته؟**)أي: نسبته إلى بقية العلوم، وهي: (**أنه أصل العلوم وما سواه فرع**) عنه.

وسادسها: ما سأل عنه المصنف رحمه الله تعالى أيضا فقال (**من الواضع له؟**)ثم أجاب بأن من وضعه هم اثنان أولهما (**أبو الحسن الأشعري**) وهو علي بن إسماعيل بن أبي إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبدالله بن موسى بن بلال بن أبي بردة عامر بن أبي موسى الأشعر، وهو

....

الشرح

القائم بنصرة مذهب أهل السنة والجماعة، وإليه تنسب الطائفة الأشعرية، فهو بذلك مؤسس مذهب الأشاعرة .

ولد بالبصرة سنة ٢٦٠هـ/ ٨٧٤م، تلقى في البداية مذهب المعتزلة، وتقدم فيهم، ثم رجع وجاهر بخلافهم وقد بلغ الأربعين من عمره.

قال بن خلكان في (وفيات الأعيان):((كان أبو الحسن الأشعري أولاً معتزلاً، ثم تاب من القول بالعدل وخلق القرآن في المسجد الجامع بالبصرة يوم الجمعة، ورقى كرسياً ونادى بأعلى صوته: من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا أعرّفه بنفسي، أنا فلان بن فلان، كنت أقول بخلق القرآن وأن الله لا تراه الأبصار، وأن أفعال الشر أنا أفعلها، وأنا تائب مقلع، معتقد للرد على المعتزلة، مخرج لفضائهم ومعايبهم)) اهـ.

تلقى الإمام الأشعري العلوم عن : الإمام أبي إسحاق المروزي ببغداد وغيره.

أما مصنفاته فقد قيل: أنها بلغت حوالي الثلاثمائة كتاب، منها:

(إمام الصديق)، و(الرد على المجسِّمة)، و(مقالات الإسلاميين)، و(الإبانة عن أصول الديانة)، ورسالة في الإيمان، و(مقالات الملحدين)، و(الرد على ابن الراوندي)، و(خلق الأعمال)، و(الأسماء والأحكام)،

و أبو منصور الماتريدي ومن تبعهما.

الشرح

و(استحسان الخوض في الكلام)، و(اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع)، ويعرف (باللمع الصغير).

توفي الإمام الأشعري سنة ٣٢٤هـ/ ٩٣٦م، ودفن في بين الركخ وباب البصرة كما ذكره ابن الهمداني في (ذيل تاريخ الطبري)، وقال ابن خلكان في (وفيات الاعيان):((ودفن في مشروع الزوايا إلى جانبها مسجد وبالقرب منه حمّام، وهو يسار المار من السوق إلى دجلة)) اهـ.

(و) ثانيهما أي: ثاني واضعي علم التوحيد هو:(**أبو منصور الماتريدي**) وهو أبو منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي، نسبة إلى ((ماتريد)) وهي محلة بسمرقند، توفي سنة ٣٣٣هـ/ ٩٤٤م.

من مؤلفاته:

(التوحيد)، و(أوهام المعتزلة)، و(الرد على القرامطة)، و(مآخذ الشرائع) في أصول الفقه، وكتاب (الجدل)، و(تأويلات القرآن)، و(تأويلات أهل السنة)، و(شرح الفقه الأكبر) المنسوب للإمام أبي حنيفة.

فهذان الاثنان هما واضعا علم التوحيد (و) كذا (**من تبعهما**) ومعنى أنهما واضعاه، أي: أنهما دونا كتبه، وردّوا الشبه التي أوردها المعتزلة، وإلا فالتوحيد جاء به كل نبي من لدن آدم عليهم الصلاة والسلام.

و استمداده: من الكتاب والسنة والإجماع.

واسمه: علم التوحيد.

الشرح

(و) سابعها: (**استمداده**) أي: المواضع التي يُستمد منها علم التوحيد مسائله، فإنه يستمدها (**من الكتاب والسنة والإجماع**)، والمراد بالكتاب القرآن الكريم، وبالسنة أقوال النبي ﷺ وأفعاله وتقريراته، وبالإجماع: اتفاق مجتهدي العصر من أمة النبي محمد ﷺ على أمر من الأمور الدينية، كما عرفة الإمام العلامة أبو محمد عبد الرحيم بن الحسن الأسنوي في كتابه (التمهيد في تخريج الفروع على الأصول).

وهذه الثلاثة هي التي يعبر عنها أهل العلم بالأدلة النقلية والعقلية.

(و) ثامنها: (**اسمه**) والذي أشهر به هو (**علم التوحيد**)؛ لأن أشهر مباحثه هو مبحث الوحدانية،[1] وقد ذكر أهل العلم أن له ثمانية أسماء منها: علم الكلام؛ لأن المتقدمين كانوا يقولون في الترجمة عن مباحثه: الكلام في كذا، أو لأنه قد كثر الاختلاف فيه حول مسألة الكلام.

ويسمى كذلك بعلم العقيدة وعلم الجدل.

---

(١) انظر (تهذيب شرح البيجوري على جوهرة التوحيد) (تقديم الأستاذ عبدالكريم الرفاعي) (٢١)، وهو المقصود من قولنا دائماً في الهامش: (شرح البيجوري)، أي: تهذيب شرح البيجوري.

ومسائله: قضاياه الباحثة على الواجب والمستحيل والجائز.

وحكم الشارع فيه: الوجوب العيني على كل مسلم ومسلمة من المكلفين.

الشرح

(و) تاسعها: (**مسائله**)، ومسائل كل فن هي قضاياه التي تذكر فيه، وفي علم التوحيد هي (**قضاياه الباحثة على الواجب والمستحيل والجائز**) أي: الواجب والمستحيل والجائز في حق الله تعالى وحق الرسل عليهم الصلاة والسلام، وكذا قضاياه الباحثة في السمعيات.

(و) عاشرها: (**حكم الشارع فيه**) وهو (**الوجوب العيني على كل مسلم ومسلمة**) بشرط كونهم (**من المكلفين**)، والواجب العيني هو معرفة الواجب والمستحيل والجائز في حق الله تعالى وحق الرسل عليهم الصلاة والسلام دون الخوض في التفصيل، أما وجود من يدفع الشُبُهَ عن البلاد إذا وردت بحيث يكون متمكناً لدرجة أنه يستطيع رد شبهات البدع وإظهار الحق.. ففرض كفاية على أهل كل بلد، قال الإمام الغزالي:((فاعلم أن الحق أنه لابد في كل بلد من قائم بهذا العلم –أي: علم التوحيد– مستقل بدفع شبه المبتدعة التي ثارت في تلك البلدة)) اهـ.[1]

وهذه المبادئ العشرة هي التي تسمى بـ((مقدمة العلم))؛ لأنها اسم لمعانٍ يتوقف عليها الشروع في المقصود.

---

(١) قواعد العقائد (طبعة دار الفكر) (٢٦).

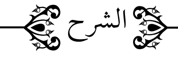
الدرس الأول

في أقسام علم التوحيد

ينقسم علم التوحيد إلى ثلاثة أقسام: إلهيات، ونبويات، وسمعيات.

فالإلهيات هي: الأمور المتعلقة بذات الله تعالى كالإيمان به وصفاته.

والنبويات هي: الأمور المتعلقة بالرسل عليهم الصلاة والسلام، كالإيمان بهم وما أخبروا به عن الله تعالى.



الدرس الأول

في أقسام علم التوحيد

(**ينقسم علم التوحيد**) من حيث مباحثه (**إلى ثلاثة أقسام: إلهيات، ونبويات، وسمعيات**).

(**فـ**) الأول منها هو: (**الإلهيات**) و(**هي الأمور المتعلقة بذات الله تعالى كالإيمان به وصفاته**) الواجبة والمستحيلة والجائزة، فجميع المسائل والمبحوث فيها عما يتعلق بالإله تسمى بالإلهيات.

(**و**) الثاني منها هو: (**النبويات**) و (**هي: الأمور المتعلقة بالرسل عليهم الصلاة والسلام، كالإيمان بهم وما أخبروا به عن الله تعالى**) والواجب والمستحيل والجائز في حقهم.

والسمعيات هي: الأمور الغائبة عن العيان المتلقية بواسطة السمع، كالإيمان بالملائكة عليهم السلام، وعذاب القبر ونعيمه، ونحوها.

الشرح

(و) الثالث منها هو: (**السمعيات**) و(**هي: الأمور الغائبة عن العيان**)، أي: لم نرها بالأبصار، (**المتلقية**)من كلام الله وكلام نبيه ﷺ (**بواسطة السمع، كالإيمان بالملائكة عليهم السلام، وعذاب القبر ونعيمه**) والحشر والنشر والصراط والميزان والجنة والنار (**ونحوها**).

القسم الأول

الإلهيات

معنى الإيمان بالله هو: التصديق بوجوده سبحانه وتعالى، وأنه واحدٌ في ذاته وصفاته وأفعاله ....

الشرح

القسم الأول

الإلهيات

ابتدأ المصنف رحمه الله تعالى بالإلهيات لتعلقها بالحق تعالى، وما تعلق به مقدماً على غيره، وابتدأ أولاً ببيان معنى الإيمان فقال:

(**معنى الإيمان**) لغة: مطلق التصديق.

وشرعاً: تصديق النبي ﷺ فيما جاء به مما عُلِم من الدين بالضرورة، أي: عَلِم به الخاصة والعامة ، ولا حاجة للرجوع إلى النصوص والعلماء في فهم هذا العلم، كفرض الصلاة والصيام والزكاة والحج ، وحرمة الزنا وشرب الخمر.[1]

ومعنى الإيمان (**بالله هو: التصديق بوجوده سبحانه وتعالى، وأنه واحدٌ في ذاته**)، فليس كذاته ذات، (و) أنه واحدٌ في (**صفاته وأفعاله**)، فلا مثيل ولا نظير ولا شبيه له في ذاته وصفاته وأفعاله.

---

(١) انظر شرح الصاوي على جوهرة التوحيد ، (طبعة دار ابن كثير) (١٢٧) و(٤١٧).

لا شريك له في الإلوهية، متصف بكل كمال، منزه عن كل نقص وما خطر بالبال ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾.

الشرح

ومعنى المثيل: هو الموافق في جميع الصفات.

والنظير: هو الموافق في معظم الصفات.

والشبيه: هو الموافق في بعض الصفات.

فالحق سبحانه وتعالى (**لا شريك له في الإلوهية**)، قال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾{الأنبياء:٢٢}

و(إلا) في الآية بمعنى (غير) كما ذكره أهل التفسير، وكما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى.

وهو سبحانه وتعالى (**متصف بكل كمال، منزه عن كل نقص و**)عن كل (**ما خطر بالبال، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾** {الشورى: ١١}).

ومعرفة الله تعالى أمر واجب، والمراد بالمعرفة هنا.. معرفة صفاته، وسائر الأحكام الإلهية، لا معرفة ذاته وكنهِ حقيقته؛ لأنها ليست من

....

الشرح

الواجبات؛[١] بل لا تعرف لأحد، ولو ارتفعت درجته عند الله، وإن أمكنت معرفتها عقلاً على قول من يقول بذلك، والأصح أنها لا تجوز عقلاً كما لا تجوز شرعاً.[٢]

قال في هداية المريد:((وبالجملة فلا يعرف الله إلا الله، فترك الإدراك إدراك، والبحث عن ذات الله إشراك، وكل من رام ذلك الحِمى المنيع بمعرفةٍ أو إدراكٍ.. فقد باء بالفشل، وضل مع من ضل))اهـ.[٣]

ولم يختلف أحدٌ من أهل العلم على وجوب معرفة الله بالمعنى الذي ذكرناه، وإنما كان الخلاف بينهم في أول واجب على بالمكلف، قال صاحب الجوهرة:

واجزم بأن أولاً مما يجب   معرفة وفيه خُلفٌ منتصِب

وجملة الأقوال في أول الواجب على المكلف اثنا عشر قولاً، وهي:[٤]

---

(١) انظر شرح الصاوي على جوهرة التوحيد (١١٥)، والبيجوري على الجوهرة (٥٨)، وهداية المريد شرح جوهرة التوحيد (طبعة دار الخير) (١٩).

(٢) انظر شرح الصاوي (١١٥-١١٦).

(٣) هداية المريد (١٩).

(٤) انظر شرح البيجوري (٥٨).

....

الشرح

١. أنه المعرفة: أي: معرفة الله تعالى، وهو قول إمام هذا الفن الإمام الأشعري.

٢. أنه النظر الموصل إلى المعرفة، وهو قول الأستاذ أبي إسحاق الإسفرايني، ويعزى هذا القول للإمام الأشعري كذلك.

٣. أنه النظر إلى المقدمة الأولى، وهي: كقولنا عند بداية النظر.. أن العالَم متغير، وهو قول القاضي الباقلاني.

٤. أنه القصد إلى النظر: أي: تفريغ القلب عن الشواغل، وهو قول إمام الحرمين، ويعزى للقاضي الباقلاني أيضاً.

٥. أنه التقليد.

٦. أنه النطق بالشهادتين.

٧. أنه الشك، وهو قول أبي هاشم الجبائي في طائفة من المعتزلة وغيرهم، وقد رُدَّ هذا القول بأن الشك مطلوب زواله؛ لأن الشك في الشيء من العقائد من الكفر، فلا يكون مطلوباً حصوله، إلا إن أرادوا ترديد الفكر.. فيؤول حينئذٍ إلى النظر.

٨. أنه الإيمان.

٩. أنه الإسلام.

....

الشرح

١٠. أنه اعتقاد وجوب النظر.

١١. أنه وظيفة الوقت، كالصلاة ضاق وقتها فتُقدَّم.

١٢. أنه إما المعرفة وإما التقليد فيخيّر بينهما.

والأصح: أن أول واجب –مقصداً–: المعرفة.

وأول واجب -وسيلة قريبة–: النظر، وأول واجب –وسيلة بعيدة–: القصد إلى النظر.[1]

فائدة:

الإيمان على خمسة أقسام:

الأول – إيمان عن تقليد، وهو الإيمان الناشئ عن الأخذ بقول الشيخ من غير دليل.

الثاني – إيمان عن علم، وهو الإيمان الناشئ عن معرفة العقائد بأدلتها.

الثالث – إيمان عن عيان، وهو الإيمان الناشئ عن مراقبة القلب لله بحيث لا يغيب عن طرفة عين.

---

(١) انظر البيجوري (٥٩).

....

الشرح

الرابع – إيمان عن حق، وهو الإيمان الناشئ عن مشاهدة الله بالقلب.

الخامس – إيمان عن حقيقة، وهو الإيمان الناشئ عن كونه لا يشهد إلا الله.

فالتقليد للعوام، والعلم لأصحاب الأدلة، والعيان لأهل المراقبة ويسمى مقام المراقبة، والحق للعارفين ويسمى مقام المشاهدة، والحقيقة للواقفين ويسمى مقام الفناء لأنهم يفنون عن غير الله، ولا يشهدون إلا إياه، وأما حقيقة الحقيقة فهي للمرسلين، وقد منع الله من كشفها فلا سبيل إلى بيانها.[1]

قال صاحب الجوهرة في الإيمان:

وفُسِر الإيمان بالتصديق والنطق فيه الخلف بالتحقيق

وقد أختلف أهل العلم في الكافر الأصلي إذا أراد الدخول في الإسلام.. هل يلزمه النطق بالشهادتين أم لا؟

فقال بعضهم: لابد من نطقها، وبلفظ أشهد، ولابد من التقريب بين الشهادتين، والمولاة، ولا يشترط الإتيان بحرف العطف وهو حرف الواو بين الشهادتين.

---

(١) انظر شرح البيجوري (٦٩).

....

الشرح

تنبيه:

إشتراط لفظ أشهد هو ما ذهب إليه الشافعية، وهو مبني على المعتقد عندهم؛ لذلك لو أتى بالشهادتين بالعجمية.. لصح إسلامه، وإن أحسن العربية، وخالف الأُبيُّ شيخه ابن عرفة، فقال: لا يتعين القول بأشهد؛ بل يكفي كل ما يدل على الإيمان، فلو قال: الله واحد، ومحمد رسول.. لكفى،وتابعه بعض الشافعية كابن حجر والنووي.[1]

---

(١) انظر شرح البيجوري (٧٠).

الدرس الثاني

في الواجب في حق الله

ينحصر ما يجب لله تعالى في ثلاثة أشياء وهي الواجب، والمستحيل، والجائز وتسمى: الحكم العقلي.

الشرح

الدرس الثاني

في الواجب في حق الله

(**ينحصر ما يجب لله تعالى في ثلاثة أشياء**) لا رابع لها، ولهذا قال المصنف رحمه الله ((ينحصر))، (**وهي الواجب، والمستحيل، والجائز**) فلا يمكن أن يتصور في العقل غير هذه الثلاثة أي: غير أحد هذه الثلاثة ، إذ لا يتصور وجود الثلاثة معاً.

(**وتسمى**) هذه الثلاثة (**الحكم العقلي**) أي: أنها أقسام الحكم العقلي.

والحكم العقلي هو: إثبات أمر لأمر -كإثبات البقاء لله تعالى- أو نفيه عنه -كنفي البقاء عن الخلق- من غير توقف على وضع أو تكرار.[1]

وأما الحكم الشرعي: فهو خطاب الله تعالى المتعلق بأفعال المكلفين بالطلب أو الوضع لهما.

---

(١) انظر عون المريد (١/ ١٢٠).

فالواجب هو الذي لا يتصور في العقل عدمه كوجود السمع له سبحانه وتعالى.

الشرح

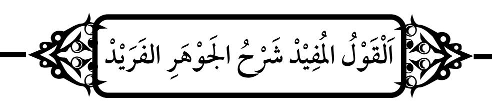
والحكم العادي هو: إثبات الرابط بين أمر وأمر، وجوداً وعدماً بواسطة تكرار القران بينهما على الحس، وعدم تأثير أحدهما في الآخر البتة.[1]

فالحكم على النار بأنها محرقة.. حكم عادي، معناه أن الإحراق يقترن بمس النار في كثير من الأجسام لمشاهدة تكرر ذلك في الحس، وليس معناه أن النار هي التي أثرت في الإحراق.

ثم شرع المصنف رحمه الله في بيان أقسام الحكم العقلي حيث قال:

(فالواجب) أي: تعريفه: **(هو الذي لا يتصور في العقل عدمه)** أي: من المستحيل عدمه، ومثَّل على ذلك بصفة من صفات الله الواجبة فقال: **(كوجود السمع له سبحانه وتعالى)**، فلا يتصور في العقل عدم وجود السمع له تعالى، وككون السماء أعلى والأرض أسفل، وكاحتياج

(١) انظر عون المريد (١/ ١٦٠).



والمستحيل: هو الذي لا يتصور في العقل وجوده كعدم قدرته تعالى.

والجائز: هو الذي يتصور في العقل وجوده و عدمه، كجعل الشقي سعيد أو عكسه.

الشرح

الجسم إلى محل يحل فيه، وملازمته لحركة أو سكون إذ لا يتصور عدم الأمرين معاً.

(**والمستحيل: هو الذي لا يتصور في العقل وجوده**) أي: يتصور عدمه، ومثَّل على ذلك فقال:(**كعدم قدرته تعالى**) فإنه لا يتصور في العقل عدم وجود القدرة له تعالى ، ومثل ذلك خلو الجسم عن محل يقوم به أو عن الحركة والسكون.

(**والجائز: هو الذي يتصور في العقل وجوده و**) يتصور كذلك (**عدمه، كجعل الشقي سعيد أو عكسه**) أي: جعل السعيد شقياً،فهذا جائز في حقه تعالى، وكذلك جائز في حقه تعالى إرسال الرسل، خلافاً للمعتزلة والسمنية، فالمعتزلة يقولون: أنه يجب على الله إرسال الرسل؛ لأنهم أي: المعتزلة يقولون بوجوب الصلاح والأصلح، أي: يجب على الله تعالى أن يراعي الأصلح في حق العباد. وهذا كلام باطل لا يجوز؛ لأن الوجوب يعني أن يتضرر تاركه بتركه، كمن ترك واجباً من واجبات الدين فإنه يتضرر بالعذاب، فلو قلنا بوجوب ما يقوله المعتزلة على الله.. لكان

....

الشرح

المعنى أنه سبحانه يتضرر بتركه، وهذا لا يقول به عاقل من أهل الملَّة، فهل يتضرر المولى بعدم إرسال الرسل، أو بعدم مراعاة الأصلح في حق البشر؟!.

وقد ضرب الإمام الغزالي رحمه الله تعالى مثالا بيَّن فيه بطلان هذا القول فقال:

أن يفرض مناظرة في الآخرة بين صبي وبين بالغ ماتا مسلمين فإن الله سبحانه يزيد في درجات البالغ ويفضله على الصبي لأنه تعب بالإيمان والطاعات بعد البلوغ، ويجب عليه ذلك - عند المعتزلي - فلو قال الصبي: يا رب لم رفعت منزلته علي؟ فيقول: لأنه بلغ واجتهد في الطاعات، ويقول الصبي: أنت أمتني في الصبا فكان يجب عليك أن تديم حياتي حتى أبلغ فأجتهد " فقد عدلت عن العدل في التفضل عليه بطول العمر له دوني فلم فضلته؟ فيقول الله تعالى: لأني علمت أنك لو بلغت لأشركت أو عصيت فكان الأصلح لك الموت في الصبا - هذا عذر المعتزلي عن الله عز وجل - وعند هذا ينادى الكفار من دركات لظى ويقولون: يا رب أما علمت أننا إذا بلغنا أشركنا فهلا أمتنا في الصبا فإنا رضينا بها دون منزلة الصبي المسلم؟

....

الشرح

فبماذا يجاب عن ذلك، وهل يجب عند هذا إلا القطع بأن الأمور الإلهية تتعالى بحكم الجلال عن أن توزن بميزان أهل الاعتزال؟.[1]

ثم أن الله سبحانه وتعالى يصيب الأطفال الذين لا ذنب لهم بأنواع الآلام وليس ذلك بظلم منه، تعالى ربنا عن ذلك علوا كبيرا.

ولهذا فإن إثابته لنا بمحض الفضل لا وجوباً عليه، وكذا العذاب لأهل العذاب فإنه بمحض العدل منه.

قال صاحب الجوهرة:

فإن يثبنا فبمحض الفضلِ   وإن يعذب فبمحض العدلِ
وقولهم إن الصلاح واجبُ   عليه زورٌ، ما عليه واجبُ
ألم يروا إيلامه الأطفالاَ   وشبهها فحاذر المحالا

وأما الفرقة الثانية وهم (السُّمَنية) نسبة إلى بلد بالهند يقال لها سُومنات، وهم يعبدون الأصنام.

والفرقة الثالثة وهم (البراهمة) نسبة إلى رئيسهم برهام وهم قوم كفار.

فهاتان الفرقتان الأخيرتان وهما السمنية والبراهمة يقولون: أن إرسال

(١) انظر قواعد العقائد (٢٠٦).

....

الشرح

الرسل عبث لا يليق بالحكيم؛ لأن العقل يغني عن الرسل عندهم، فإن الشيء إن كان حسناً عند العقل فعله، وإن كان قبيحاً عنده تركه، وإن لم يكن عنده حسناً ولا قبيحاً.. فإن احتاجه فعله وإلا تركه، سواء أتى به الرسل أم لا.

وهذا باطل بيّنٌ بطلانه؛ لاختلاف عقول الناس؛ ولأن الواقع يشهد بأن الكثير من أصحاب العقول لم يهتدوا إلى الخالق، فلم تهدهم عقولهم إلى خالقهم، فنعوذ بالله من هذه العقائد.

ومذهب أهل السنة والجماعة أن إرسال الرسل من الجائز في حقه تعالى كما قال صاحب الجوهرة:

ومنه إرسال جميع الرسل فلا وجوب بل بمحض الفضل

ثم تكلم المصنف رحمه الله تعالى عن التكليف:

والتكليف: هو إلزام ما فيه كلفة، وهو الأرجح، وقيل: طلب ما فيه كلفه. فعلى الأول.. يكون قاصراً على الواجب والحرام، وعلى الثاني.. يدخل فيه -مع الواجب والحرام- المكروه والمندوب والمباح.[1]

---

(١) انظر شرح الصاوي (٩٤).

....

الشرح

وشروطه، أي: التكليف أربعة:

١) البلوغ.

٢) العقل.

٣) بلوغ الدعوة.

٤) سلامة الحواس.

فخرج بالبالغ الصبي، فليس بمكلف، وهذا بالنسبة للإنس، أما الجن فهم مكلفون من أصل الخلقة، فلا يتوقف تكليفهم على بلوغ.

فمن مات من المسلمين قبل بلوغه.. فهو ناج، قال الإمام النووي: (أَجْمَعَ مَنْ يُعْتَدّ بِهِ مِنْ عُلَمَاء الْمُسْلِمِينَ عَلَى أَنَّ مَنْ مَاتَ مِنْ أَطْفَال الْمُسْلِمِينَ فَهُوَ مِنْ أَهْل الْجَنَّة ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ مُكَلَّفًا . وَتَوَقَّفَ فِيهِ بَعْض مَنْ لَا يُعْتَدّ بِهِ).اهـ[1]

وذكر المازري أن بعضهم ينكر الخلاف في أطفال المسلمين، وأنه لا يوجد خلاف لقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ ﴾ {الطور: ٢١}، قال: وبعض المتكلمين يقف فيهم، أي في أطفال المسلمين ، ولا

---

(١) شرح الإمام النووي على صحيح مسلم (طبعة المكتب الجامعي الحديث) (١٦/ ٢٨٩).

....

الشرح

يـرى نصـاً قاطعـاً بكـونهم في الجنـة ، ولم يثبـت عنـده الإجمـاع فيقـول بـه ، واستثنى قبل ذلك من الخلاف أولاد الأنبياء عليهم السلام، وقال: قد تقرر الإجماع على أنهم في الجنة.[1]

وأما أولاد المشركين.. ففيه خلاف بين أهل العلم على خمسة مذاهب:

المذهب الأول:ذهب أصحابه إلى الوقف فيهم، وأوكلوا أمرهم في الجنة أو في النار إلى الله تعالى، فيقال:(الله أعلم بما كانوا عاملين)، واستدلوا لذلك بما ورد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ:قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:((**مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ كَمَا تُنْتِجُونَ الْبَهِيمَةَ هَلْ تَجِدُونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ حَتَّى تَكُونُوا أَنْتُمْ تَجْدَعُونَهَا قَالُوا يَا رَسُولَ اللهَّ أَفَرَأَيْتَ مَنْ يَمُوتُ وَهُوَ صَغِيرٌ قَالَ اللهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ**)) أخرجه البخاري، قال الحافظ العراقي في كتابه (طرح التثريب):(اسْتَدَلَّ بِهِ مَنْ ذَهَبَ إِلَى التَّوَقُّفِ فِي أَوْلَادِ الْمُشْرِكِينَ ، وَأَنَّا لَا نَدْرِي هَلْ هُمْ فِي الْجَنَّةِ أَمْ فِي النَّارِ ، وَمَعْنَى الْحَدِيثِ أَنَّهُ مَنْ عَلِمَ اللهُ أَنَّهُ إنْ بَلَغَ كَانَ مُسْلِمًا فَهُوَ فِي الْجَنَّةِ ، وَمَنْ عَلِمَ أَنَّهُ إنْ بَلَغَ كَانَ كَافِرًا كَانَ فِي النَّار) اهـ.

---

(١) انظر طرح التثريب للحافظ العراقي (طبعة مؤسسة التاريخ العربي) (٧/ ٣٣١).

....

الشرح

المذهب الثاني: وقاله الأكثرون، أنهم في النار تبعاً لآبائهم.

المذهب الثالث: أنهم يمتحنون في الآخرة، فعن معاذ بن جبل: عن النبي صلى الله عليه و سلم قال:((**يُؤْتَى يَوْمَ القِيَامَة بَالْمَمْسُوْحِ عَقْلاً وَبِالْهَاْلِكِ فِي الْفَتْرَةِ، وَبِالْهَالِكِ صَغِيْرَاً فَيَقُوْلُ الْمَمْسُوْحُ عَقْلاً: يَا رَبِّ لَوْ آتَيْتَنِيْ عَقْلاً مَاْ كَانَ مَنْ آتَيْتُهُ عَقْلاً بَأَسْعَدَ بِعَقْلِهِ مِنِّيْ، وَيَقُوْلُ الْهَاْلِكُ صَغِيْرَاً: يَا رَبِّ لَوْ آتَيْتَنِيْ عُمُرَاً مَاْ كَانَ مَنْ آتَيْتُهُ عُمُرَاً بَأَسْعَدَ مِنْ عُمْرِهِ مِنِّيْ وَيَقُوْلُ الْهَاْلِكُ فِي الْفَتْرَةِ: يَا رَبِّ لَوْ جَاءَنِيْ مِنْكَ رَسُوْلٌ مَاْ كَاْنَ بَشَرٌ. أَتَاهُ مِنْكَ عَهْدٌ بِأَسْعَدَ بِعَهْدِكَ مِنِّيْ، فَيَقُوْلُ الرَّبُّ تَعَالَى: فَإِنِّيْ آمُرُكُمْ بَأَمْرٍ أَفَتُطِيْعُوْنِيْ؟ فَيَقُوْلُوْنَ نَعَمْ وَعِزَّتِكَ يَاْ رَبِّ فَيَقُوْلُ: اذْهَبُوْا فَادْخُلُوْا جَهَنَّمَ، وَلَوْ دَخَلُوْهَا لَمَا تَضُرُّهُمْ شَيْئَاً، فَيَخْرُجُ عَلَيْهِمْ فَرَائِضٌ مَنَ النَّاْرِ يَظُنُّوْنَ أَنَّهَا قَدْ أَهْلَكَتْ مَاْ خَلَقَ اللهُ مِنْ شَيْءٍ، ثُمَّ يَأْمُرُهُمْ الثَّاْنِيَةَ فَيَرْجِعُوْنَ كَذَلِكَ، فَيَقُوْلُ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقْتُكُمْ بِعِلْمِيْ وِإِلَى عِلْمِيْ تَصِيْرُوْنَ، فَتَأْخُذُهُمُ النَّاْرُ**)) أخرجه الطبراني.

المذهب الرابع: أنهم في برزخ بين الجنة والنار، حكاه أبو العباس القرطبي.

المذهب الخامس: -وهو الصحيح- الذي ذهب إليه المحققون، هو أنهم من أهل الجنة، ويُستدل له بأشياء منها: حديث الخليل إبراهيم عليه

....

الشرح

السلام حين رآه النبي ﷺ في الجنة، وحوله أولاد الناس، قالوا: يا رسول الله، وأولاد المشركين؟ قال:((**وَأَوْلَادُ الْمُشْرِكِينَ**)) أخرجه الإمام أحمد.

ومنها قوله تعالى: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ {الإسراء: ١٥}، ولا يتوجه على المولود التكليف، وَيَلْزَمُهُ قول الرسول ﷺ حتى يبلغ كما في الحديث عَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه قال:سَمِعْتُ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:((**رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ عَنْ الصَّغِيرِ حَتَّى يَبْلُغَ وَعَنْ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ وَعَنْ الْمُصَابِ حَتَّى يُكْشَفَ عَنْهُ**)) أخرجه الإمام أحمد.

وهذا متفق عليه كما قاله الإمام النووي.[1]

والجواب عن حديث ((**اللهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ**)) المتقدم.. أنه ليس فيه تصريح بأنهم في النار ، وحقيقة لفظه: الله أعلم بما كانوا يعملون لو بلغوا ، والتكليف لا يكون إلا بالبلوغ .

وقد يحتج البعض بقصة غلام الخضر الذي قتله سيدنا الخضر كما في قوله تعالى: ﴿ **فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ** ﴾ {الكهف: ٧٤} ، **فالجواب** هو:

---

(١) شرح الإمام النووي على صحيح مسلم (١٦/ ٢٩٠)

....

الشرح

أنه يجب تأويله قطعا لأن أبويه كانا مؤمنين فيكون هو مسلما، فيتأول على أن معناه أن الله علم أنه لو بلغ لكان كافرا لا أنه كافر في الحال ، ولا تجري عليه في الحال أحكام الكفار.[١]

وقال الحنفية بتكليف الصبي العاقل بالإيمان؛ لوجود العقل، وهذا كافٍ عندهم، فإن اعتقد الإيمان أو الكفر فأمره ظاهر، وإن لم يعتقد واحداً منهما.. كان من أهل النار؛ لوجوب الإيمان بمجرد العقل.[٢]

وخرج بالشرط الثاني من شروط التكليف وهو العقل..فاقده، وهو المجنون، فهو ليس مكلفاً، وهذا إن بلغ مجنوناً واستمر معه الجنون حتى الموت، بخلاف ما لوبلغ عاقلاً ثمّ جنَّ وكان غير مؤمن ومات كذلك.. فهو غير ناج.

وخرج بالشرط الثالث وهو بلوغ الدعوة.. من لم تبلغه الدعوة، فهو ليس بمكلف، وذلك بأن نشأ في شاهق جبل عل الأصح، خلافاً لمن قال: بأنه مكلف لوجود العقل الكافي لوجوب المعرفة عندهم وإن لم تبلغه الدعوة.[٣]

---

(١) انظر طرح التثريب (٧/ ٣٣٢).

(٢) انظر البيجوري (٤٤).

(٣) انظر عون المريد (١/ ٤٤).

....

الشرح

❁ **تنبيه:**

من بلغته الدعوة محرَّفة مشوهة بالمنفرات وأباطيل المضلين.. حكمه حكم من لم تبلغه أصلاً؛ إلا أن تلوح له الحقيقة من وراء دخان التشويه، بمعنى أنه لو نظر فيها لوصل إلى الحقيقة؛ ولكنه أعرض عن النظر فيها مع قدرته.. فحكمه حينئذٍ حكم من بلغته الدعوة.

وهذا وقد تواترت النصوص على أنه سبحانه وتعالى لا يعذب أحداً إلا بعد قيام الحجة عليه، وقد ذهب الإمام الشافعي رحمه الله إلى وجوب الدية مع الكفارة على من لقي أحداً لم تبلغه الدعوة فقتله دون أن يقيم عليه الحجة بدعوته إلى الإسلام.[١]

وعلى اشتراط بلوغ الدعوة، فهل يكفي بلوغ دعوة أي: نبي ولو أبينا آدم عليه السلام؛ لأن التوحيد ليس أمراً خاصاً بهذه الأمة؟ أو لابد من بلوغ دعوة الرسول الذي أرسل إليه؟

(١) انظر عون المريد (١/ ١٤٦)، وموجز الكلام شرح عقيدة العوام (٣١-٣٢).

....

الشرح

فالجواب: أن التحقيق كما نقله العلامة الملوي عن الأبّي في شرح مسلم خلافا للإمام النووي هو:(لابد من دعوة الرسول الذي أرسل إليه).[1]

وخرج بالشرط الرابع من شروط التكليف وهو سلامة الحواس.. فاقد الحواس، أي: فاقد السمع والبصر، فليس بمكلف بشرط أن يكون فاقدهما من أصل الخلقة، أي: وُلِدَ وهو أصمٌ أعمى، فإنه في هذه الحالة لن يستطيع معرفة شيء عن الدين أو غيره، ولن يستطيع الكلام كذلك؛ لأن الطفل يتعلم الكلام مما يسمعه من حديث من هم حواليه، فكيف سيتكلم إن لم يسمع كلاماً أصلاً.

ومثله في عدم التكليف من ولد وهو سميع بصير؛ ولكنه فقد السمع والبصر قبل بلوغه، أو بعد بلوغه وقبل بلوغ الدعوة إليه، ودليل ذلك ما ورد عند الإمام أحمد وابن حبان والبيهقي والطبراني: ((**أَرْبَعَةٌ يَحْتَجُّونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: رَجُلٌ أَصَمُّ لَا يَسْمَعُ شَيْئًا، وَرَجُلٌ أَحْمَقُ، وَرَجُلٌ هَرَمٌ، وَرَجُلٌ مَاتَ فِي فَتْرَةٍ، فَأَمَّا الْأَصَمُّ فَيَقُولُ: رَبِّ لَقَدْ جَاءَ الْإِسْلَامُ وَمَا أَسْمَعُ شَيْئًا، وَأَمَّا الْأَحْمَقُ فَيَقُولُ: رَبِّ لَقَدْ جَاءَ الْإِسْلَامُ وَالصِّبْيَانُ يَحْذِفُونِي بِالْبَعْرِ، وَأَمَّا الْهَرَمُ**

(١) انظر عون المريد (١/ ١٤٩)، والبيجوري (٤٤).

....

الشرح

فَيَقُولُ: رَبِّي لَقَدْ جَاءَ الْإِسْلَامُ وَمَا أَعْقِلُ شَيْئًا، وَأَمَّا الَّذِي مَاتَ فِي الْفَتْرَةِ فَيَقُولُ: رَبِّ مَا أَتَانِي لَكَ رَسُولٌ، فَيَأْخُذُ مَوَاثِيقَهُمْ لَيُطِيعُنَّهُ، فَيُرْسِلُ إِلَيْهِمْ أَنْ ادْخُلُوا النَّارَ، قَالَ فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْ دَخَلُوهَا لَكَانَتْ عَلَيْهِمْ بَرْدًا وَسَلَامًا، وَمَنْ لَمْ يَدْخُلْهَا يُسْحَبُ إِلَيْهَا)).

حكم أهل الفترة:

قال تعالى ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ {المائدة: ١٩} وأهل الفترة هم: الأقوام الكائنون بين أزمنة الرسل الذين لم يُرسل إليهم الأول، ولم يدركوا الثاني، كالأعراب الذين لم يُرسل إليهم سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام ولم يدركوا سيدنا محمد ﷺ.

ولكن الفقهاء إذا تكلموا عن أهل الفترة فإنما يعنون التي بين رسولنا محمد ﷺ وبين سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام، قال في عون المريد:((والمذهب الحق في أهل الفترة (وهم من كان في أزمنة الرسل، أو في زمن الرسول الذي لم يرسل إليهم) ناجون، وإن بدَّلوا وغيروا وعبدوا الأصنام في زمن الفترة، وهذا مبني على أصول الأشاعرة أن من مات ولم تبلغه الدعوة.. يموت ناجياً؛ لأن الواجبات كلها معلومة وجوبها بالشرع.

....

الشرح

قال السيوطي:(لما دلّت القواطع على أنه لا تعذيب حتى تقوم الحجة.. علمنا أنهم -أي: أهل الفترة- غير معذبين).

وقال الماتريدية:(من مات قبل مضي مدة يمكنه فيها التأمل، ولم يعتقد إيماناً ولا كفراً.. فلا عقاب عليه، بخلاف ما إذا اعتقد كفراً أو مات بعد المدة لا يعتقد شيئاً).

وقد وافق البخاريون من الماتريدية الأشاعرةَ، وحملوا قول الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه:(لا عذر لأحد في الجهل بخالقه) على ما بعد البعثة.

وصرح الإمام النووي والإمام الفخر الرازي بأن من مات قبل البعثة مشركاً فهو في النار، وعليه حَمَلَ بعض المالكية ما صح من الأحاديث في تعذيب أهل الفترة، بخلاف من لم يشرك منهم، ولم يوحد، بل بقي عمره في غفلة عن هذا كله، وبخلاف من اهتدى منهم بعقله، كقس بن ساعدة، وزيد بن عمرو، فلا خلاف في نجاتهم، فإن قساً كان إذا سئل: هل لهذا العالم إله؟ يقول: البعرة تدل على البعير، وأثر الأقدام على المسير، وأما زيد فكان يسجد ويقول: إلهي إله إبراهيم، وديني دين إبراهيم، ويقول إني لأنتظر نبياً من ولد إسماعيل من بني عبد المطلب، ولا أراني أدركه، وأنا أؤمن به، وأصدِّقه، وأشهد أنه نبي، ومن طالت به مدة، ورآه مرة .. فليقرئه

....

الشرح

مني السلام)). انتهى كلام صاحب عون المريد.[1]

وقال البغدادي: فيمن لم تبلغه دعوة الإسلام.. يُنظر فيه؛ فإن اعتقد الحق في العدل والتوحيد، وجهل شرائع الأحكام والرسل..فحكمه حكم المسلمين، ومعذور فيما جهله؛ لأنه لم يقم به حجه عليه.

ومن اعتقد الإلحاد والكفر.. فهو كافر بذلك الاعتقاد، ويُنظر فيه؛ فإن كان قد انتهت إليه دعوة بعض الأنبياء، فلم يؤمن بها.. فقد استحق الوعيد على التأبيد، وإن لم تبلغه شريعة بحال ولم يكن مكلفاً، فإن أنعم الله عليه في الآخرة بالثواب..فهو فضل منه سبحانه، وليس بثواب له على الطاعة، كما أن إدخال ذراري المسلمين الجنة فضل منه، وليس على الطاعة.

وأما إن كان من لم تبلغه الدعوة غير معتقد كفراً، ولا توحيداً.. فليس بمؤمن ولا كافر، فإن شاء الله عذبه في الآخرة عدلاً، وإن شاء أنعم عليه فضلاً.

فإن قيل: كيف هذا مع أن النبي ﷺ أخبر بأن جماعة من أهل الفترة في النار، كامرئ القيس، وحاتم الطائي، وبعض آباء الصحابة؟، فإن بعض الصحابة سأله ﷺ وهو يخطب فقال:((أين أبي؟ قال في النار)).

---

(١) عون المريد (١/ ١٤٩-١٥٠).

....

الشرح

أجيب: بأن أحاديثهم أحاديث آحاد وهي لا تعارض القطعي وهو قوله تعالى ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ {الإسراء: ١٥}، وبأنه يجوز أن يكون تعذيب من صح تعذيبه منهم لأمر يختص به، يعلمه الله تعالى ورسوله، ومنهم من قصر العذاب المذكور في الأحاديث على من بدَّل وغيَّر الشرائع وأحدث من الضلال ما لا يعذر به.

وعلى هذا يتلخص لنا أن أهل الفترة ثلاثة أقسام:

١) القسم الأول: من أدرك التوحيد ببصيرته، وهؤلاء منهم من لم يدخل في شريعة، كقس بن ساعدة، وزيد بن عمرو كما تقدم، ومنهم من دخل في شريعة حق قائمة ، كتبعٍ، فهولاء ناجون.

٢) القسم الثاني: من بدَّل وغيَّر وأشرك، وشرَّع لنفسه وحلل وحرم وهم الأكثر، كعمرو بن لحي، وهو أول من أحدث للعرب عبادة الأصنام، وشرّع الأحكام، فبحَّر البحيرة، وسيَّب السائبة، ووصل الوصيلة، وزادت طائفة على ذلك فعبدوا الجن والملائكة.

٣) القسم الثالث: من لم يشرك ولم يوحد، ولا دخل في شريعة نبي، ولا ابتكر شريعة، بل بقي على حالة غفلة.

....

الشرح

فما ورد من أحاديث التعذيب.. يحمل على القسم الثاني، أما القسم الثالث فأهل فترة ناجون غير معذبين.

إذا علمت ذلك علمت أن أبويه ﷺ ناجون لكونهما من أهل الفترة ، بل جميع آبائه وأمهاته ﷺ ناجون ومحكوم بإيمانهم لم يدخلهم كفر ولا عيب ولا شيء مما كان عليه الجاهلية،ودليل ذلك قوله تعالى﴿ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ {الشعراء: ٢١٩} ، وقوله ﷺ:((**لم أزل أُنقل من الأصلاب الطاهرات إلى الأرحام الزاكيات**))، والشرك نجاسة؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ ﴾ {التوبة: ٢٨}، ورسول الله ﷺ أطهر الخلق فهل يمكن أن يخرج الطهر من بين نجاسة؟!!.

وقد ألَّف الإمام السيوطي عليه رحمة الله عشر رسائل حول نجاة أبوي النبي ﷺ، فليرجع إليها من أراد التوسع في الأمر.

وأما ما نقل عن الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه في الفقه الأكبر من أن والدي المصطفى ﷺ ماتا على الكفر فمدسوس عليه، وحاشاه أن يقول ذلك.[١]

---

(١) انظر عون المريد (١/ ١٥٤)، والبيجوري (٣٨).

ويجب على المكلف شرعاً أن يعرف في حق الله تعالى إحدى وأربعين صفة، عشرون منها واجبة، ....

الشرح

الواجب على المكلف معرفته في حق الله تعالى:

(**ويجب على المكلف شرعاً أن يعرف في حق الله تعالى إحدى وأربعين**[1] **صفة، عشرون منها واجبة**)، ومثلها عشرون مستحيلة، وواحدة جائزة.

قال صاحب الجوهرة:

فكل من كلف شرعا وجبا عليه أن يعرف ما قد وجبا
لله والجائز والممتنعا ومثل ذا لرسله فاستمعا

ومعنى وجوب معرفة هذه الصفات أي: معرفتها تفصيلاً؛ لأن هذه الصفات قامت الأدلة العقلية أو النقلية عليها تفصيلاً.

أما ما قامت عليه الأدلة العقلية والنقلية إجمالاً.. فيجب على المكلف شرعاً معرفته إجمالاً كسائر الكمالات في حقه تعالى حيث يجب على المكلف إجمالاً أن يعرف أن الله تعالى متصف بجميع الكمالات ومنزَّه عن جميع النقصان.[2]

(١) وفي المخطوط (إحدى وأربعون) ولعله خطأ في الكتابة، والصحيح ما ذكرنا.

(٢) انظر البيجوري (٤٩).

....

الشرح

ونجد هنا أن المصنف رحمه الله قال:(يجب على المكلف شرعاً)، فأشار بقوله (شرعاً) إلى مذهب الأشاعرة، وهو أن المعرفة وجبت بالشرع لا بالعقل، وكذا سائر الأحكام عندهم وجبت بالشرع إذ لا حكم قبل الشرع لا أصلياً ولا فرعياً.

والخلاصة: أن في المسألة ثلاثة مذاهب وهي :

الأول : مذهب الأشاعرة وهو أن المعرفة والأحكام الشرعية ثبتت بالشرع لكن بشرط العقل.

الثاني: مذهب المعتزلة، وهو أن الأحكام كلها ثبتت بالعقل، فهم جعلوا العقول مدركاً للأحكام وإن لم يَرد الشرع، ويقولون أن الشرع جاء مقوياً ومؤكداً للعقل، فلا ينفون الشرع أصلاً؛ وإلا كفروا قطعاً، ويبنون كلامهم على التحسين والتقبيح العقليين، فالحسن عندهم ما حسنه العقل، والقبيح ما قبحه العقل، فإذا أدرك العقل أن هذا الفعل حسن بحيث يُذم على تركه ويمُدح على فعله.. حُكم بوجوبه ، وهكذا كما تقدم.

وعند أهل السنة والجماعة أن الحسن ما حسنه الشرع والقبيح ما قبحه الشرع.

وهي: الوجود، القدم، والبقاء، ومخالفته تعالى للحوادث، وقيامه تعالى بنفسه، والوحدانية ، والقدرة، والإرادة، والعلم، والحياة، والسمع، والبصر، والكلام، وكونه قادرا، مريداً عالماً حياً سميعاً بصيراً متكلماً.

الشرح

الثالث: من المذاهب في المسألة مذهب الماتريدية- وقدمنا مذهب المعتزلة على مذهب الماتريدية ليتبين مخالفة الماتريدية لهم- وهو أي: مذهب الماتريدية: أن وجوب المعرفة بالعقل، بمعنى أنه لولم يرد به الشرع لأدركه العقل استقلالاً لوضوحه لا بناءً على التحسين العقلي كما قال المعتزلة.[1]

فالواجب معرفته في حق الله تعالى تفصيلاً عشرون صفة (**وهي: الوجود، القدم، والبقاء، ومخالفته تعالى للحوادث، وقيامه تعالى بنفسه، والوحدانية ، والقدرة، والإرادة، والعلم، والحياة، والسمع، والبصر، والكلام، وكونه قادرا، مريداً عالماً حياً سميعاً بصيراً متكلماً**)، وسيأتي إن شاء الله تعالى بيان كل صفة وتفصيلها.

(١) انظر عون المريد (١/ ١٥٧).

الدرس الثالث

في تقسيم صفات الله الواجبة

تنقسم صفات الله الواجبة إلى أربعة أقسام:

نفسية، وسَلبية، ومعاني، ومعنوية.

فالصفة النفسية هي: التي تدل على الذات دون معنى زائد عليها، ....



الدرس الثالث

في تقسيم صفات الله الواجبة

(**تنقسم صفات الله الواجبة إلى أربعة أقسام**):

الأول: صفة (**نفسية**).

(و)الثاني:صفات (**سَلبية**).

(و)الثالث: صفات (**معاني**).

(و)الرابع: صفات (**معنوية**).

(**فالصفة النفسية هي**) صفة ثبوتية، وهي (**التي تدل**) أي: يدل الوصف بها (**على**) نفس (**الذات دون معنى زائد عليها**)، كان يقول الوجود صفة لله تعالى.

فقولنا (ثبوتية) خرج به الصفات السلبية كالقدم والبقاء، فهي تنفي كما سيتبين معنى هذا عند ذكرها إن شاء الله تعالى.

وهي صفة واحدة وهي: الوجود.

والصفات السَلبية هي: مدلول عدم أمر لا يليق به سبحانه،

الشرح

و قولنا: (يدل الوصف بها على نفس الذات) معناه أنها لا تدل على شيء زائد على الذات، فخرج بذلك صفات المعاني؛ فإنها تدل على معنى لا على ذات كما سيظهر لنا عند ذكرها إن شاء الله تعالى.

وخرج بقولنا (دون معنى زائد عليها) الصفات المعنوية كما سيظهر كذلك عند ذكرها إن شاء الله تعالى.

(**وهي**) أي: الصفة النفسية (**صفة واحدة وهي: الوجود**) وإنما نُسبت للنفس أي: الذات لأنها لا تتعقل إلا بها، فلا تتعقل نفس إلا بوجودها، ولا تتعقل وجود ذات الله تعالى إلا بها.[1]

(**والصفات السَلبية هي: مدلول عدم أمر لا يليق به سبحانه**) أي: التي دلت على سلب ما لا يليق به سبحانه وتعالى، أو تسلب عن الأذهان أضداده، فالقدم مثلاً عبارة عن سلب العدم السابق للوجود.

ومدلولها أي: الصفات السلبية عدمي كما عرفها المصنف رحمه الله تعالى، إذ المراد بالبقاء عدم الآخرية أي: يدل على عدم الآخرية، وبالمخالفة للحوادث عدم المماثلة.

---

(١) انظر شرح البيجوري (٨٧).

وهي خمس صفات: القدم ، والبقاء، ومخالفته للحوادث، وقيامه بنفسه تعالى، والوحدانية.

وصفات المعاني هي: الصفات الموجودة في نفسها.



(**وهي**) أي: الصفات السلبية (**خمس صفات: القدم ، والبقاء، ومخالفته للحوادث، وقيامه بنفسه تعالى، والوحدانية**) والصحيح أن الصفات السلبية لا تنحصر في هذه الخمس، ومقابل الصحيح أنها تنحصر، وإنما اقتصر المصنف رحمه الله هنا على الخمس لأنها مهمات الأمهات، أي: أن هذه الصفات الخمس أهمها وهي أصولها المهمات منها، فإن ما عداها من نفي الولد مثلاً ونفي الصاحبة والمعين وغير ذلك مما لا نهاية له راجع إليها ولو بالالتزام، فنفي الولد والصاحبة والمعين يدخل تحت الوحدانية وهكذا.

(**وصفات المعاني هي: الصفات الموجودة في نفسها**) أي: في ذاتها، فهي ليست بعين الذات ولكنها زائدة على الذات، وقد عرف أهل العلم صفات المعاني في الاصطلاح بأنها: كل صفة قائمة بموصوف زائدة على الذات موجبة له حكماً.[1]

(١) انظر شرح الصاوي (١٦٦).

وهي سبع صفات: القدرة، والإرادة، والعلم، والحياة، والسمع، والبصر، والكلام.

الشرح

فخرج بقولنا (قائمة بموصوف).. السلبية، وبقولنا (زائدة على الذات).. النفسية؛ لأنها عين الذات، وبقولنا (موجبة له حكماً).. المعنوية؛ لأنها نفسها حكم كما سيثبت لنا عند ذكرها إن شاء الله تعالى.

وهذا التعريف للمعاني من حيث هي كانت لقديم أو حادث، وحينئذٍ فالفرق بين صفات القديم والحادث: أن صفات القديم قديمة، ولا تسمى أعراضاً؛ لأن العرض من الطرؤ، فالجاهل مثلاً عندما يعرض له العلم يصير عالماً، فعلمه حادث، أما علم الله سبحانه فليس بعَرَض؛ لأن الله اتصف به من الأزل، وكذلك بقية صفات الله تعالى.

(**وهي**) أي: صفات المعاني (**سبع صفات: القدرة، والإرادة، والعلم، والحياة، والسمع، والبصر، والكلام**).

وتسمى صفات المعاني أيضاً بالصفات الذاتية؛ لأنها،لا تنفك عن الذات، وتسمى أيضاً بالصفات الوجودية؛ لأنها متحققة باعتبار نفسها.[1]

❁ ❁ ❁

---

(١) انظر هداية المريد (٣٤).

الدرس الرابع

في تقسيم صفات لمعاني

تنقسم صفات المعاني إلى أربعة أقسام:

الأول: وهو الذي لا يتعلق بشيء أي لا يَطْلُب أمراً على القيام بمحله، وهي: الحياة.

والثاني: هو الذي يتعلق بالممكن فقط، وهما القدرة والإرادة.



الدرس الرابع

في تقسيم صفات لمعاني

(**تنقسم صفات المعاني إلى أربعة أقسام**) من حيث تعلقاتها، فإن صفات المعاني إما أن يكون لها تعلق وهي أكثرها، وإما أن لا يكون لها تعلق:

(**الأول: وهو الذي لا يتعلق بشيء أي: لا يَطْلُب أمراً على القيام بمحله، وهي**): صفة (**الحياة**) لا تعلق لها سوى قيامها بالذات.

(**والثاني: هو الذي يتعلق بالممكن فقط**) تعلق إيجاد وإعدام، (**وهما القدرة والإرادة**) فلا تعلق للقدرة والإرادة بالواجب ولا بالمستحيل؛ لأن تعلق الإرادة تعلق تخصيص، وتعلق القدرة تعلق إيجاد أو إعدام، وهذا لا يمكن تصوره مع الواجب فلا تتعلق القدرة بالواجب، ولا

والثالث: هو الذي يتعلق بجميع الموجودات وهما السمع والبصر.

الشرح

بالمستحيل؛ لأنها إن تعلقت بالواجب، فإما لتوجده.. وهو موجود،وإما لتعدمه.. وهو لا يقبل العدم بحال.

ولأنها إن تعلقت بالمستحيل، فإما لتوجده.. وهو لا يقبل الوجود بحال، أو لتعدمه... وهو معدوم أصلاً، ويظهر من هذا أنّ عدم تعلقها بالواجب أو بالمستحيل إنما كان لأنهما خارجان عن وظيفتها، وهي الإيجاد والإعدام، لا لعجز فيها، إذ أنّ العجز إنما يكون إذا كان المتعلَّق من وظائف القدرة، بأن كان يقبل الوجود لذاته، أو العدم لذاته، فالعين مثلاً وظيفتها الإبصار، فليس نقصاً فيها إن لم تسمع الأصوات، ومثلها الأذن ليس نقصا فيها إن لم ترَ، إذ النقص إن لم تسمع الأذن ولم ترَ العين.

(والثالث: هو الذي يتعلق بجميع الموجودات وهما السمع والبصر) فالسمع والبصر صفتان تتعلقان بجميع الموجودات تعلق إحاطة وانكشاف، فالسمع تتعلق بجميع الموجودات الأصوات وغيره، فيسمع سبحانه وتعالى كلاً من الأصوات والذوات، بمعنى أن كلاً منها منكشف لله تعالى.

وصفة البصر كذلك تتعلق بجميع الموجودات الذوات وغيرها، أي: أن كلاً منها منكشف لله تعالى ببصره.

....

الشرح

ويجب الاعتقاد بأن الانكشاف بالسمع غير الانكشاف بالبصر، وأن كلاً منهما غير انكشاف العلم،ولكل حقيقة يُفوض علمها لله تعالى،وليس الأمر على ما نعهده من أن البصر يفيد بالمشاهدة وضوحاً فوق العلم؛ بل جميع صفاته تامّة كاملة، يستحيل عليه تعالى الخفاء والزيادة والنقص وغير ذلك.[1]

وللسمع والبصر ثلاثة تعلقات:

الأول: تعلق صلوحي قديم، ومعنى صلوحي أي: أنها صالحة أو صلاحيتها، فالتعلق الصلوحي القديم لهاتين الصفتين هو صلاحيتها منذ الأزل للتعلق بذوات الكائنات وصفاتها الوجودية فيما لا يزال.

الثاني: تنجيزي حادث، ومعنى تنجيزي أي: إيجادي، فنقول أُنجز الشيء أي: وُجِد وتمَّ، والتعلق التنجزي الحادث لهاتين الصفتين هو انكشاف الممكنات بعد وجودها بهما، أو تلعقهما بما يوجد من المخلوقات بالفعل، إذ عند وجود المسموع والمبصر يقع التعلق وينجّز، فلذلك كان هذا التنجيز حادث.

---

(١) انظر تحفة المريد (طبعة دار الكتب العلمية) (٨٥).

والرابع: هو الذي يتعلق بجميع الواجبات والجائزات والمستحيلات، وهما: العلم، والكلام.

الشرح

الثالث: من التعلقات تنجزي قديم، وهو انكشاف الذات العلية، والصفات الوجودية بهما، أي: بصفة السمع والبصر، ولا تعلق لهما بالأمور العدمية، ولا الاعتبارية، كصفات السلب، ليست قائمة بالذات بل هي الذي يدل على سلب ما ينافيه مطابقة، كما تقدم، وكذلك الصفات المعنوية،فهي عبارة عن قيام صفات المعاني بالذات، فهي صفات ثبوتية؛ لكنها ليست وجودية كالمعاني، ولا مدلولها عدمي (أي: عدمية)كالسلبية، بل هي صفات اعتبارية ثابتة من جرّاء المعاني كما سيأتي إن شاء الله تعالى.[1]

(والرابع) من أقسام صفات المعاني:**(هو الذي يتعلق بجميع الواجبات والجائزات والمستحيلات، وهما: العلم، والكلام)**، وتعلق هاتين الصفتين بجميع الواجبات والجائزات والمستحيلات هو تعلق انكشاف في العلم بكل معلوم على حقيقته من غير سبق خفاء كما سيأتي إن شاء الله تعالى عند تعريف صفة العلم.

وتعلق صفة الكلام بجميع الواجبات والجائزات والمستحيلات هو تعلق دلالة، فيفهم منه ما يتعلق بالذات العلية، والصفات السنية، والأسماء

(١) انظر عون المريد (١/ ٣٨٣).

والصفات المعنوية هي: التي تدل على معنى ذات مع زيادة عليها، ....

الشرح

الحسنى، وأنها واجبة، لا تقبل الانتفاء، وسيأتي إن شاء الله تعالى عند تعريف صفة الكلام بسط الحديث عن هذه الصفة العظيمة.

فائدة:

ومعرفة التعلقات غير واجبة على المكلف؛ لأنها من غوامض علم الكلام، كما نقله الشيخ البراوي عن الشيخ محمد الصغير، وذكره الشيخ الشنواني.[1]

ثم تكلم المصنف رحمه الله تعالى ونفعنا به عن الصفات المعنوية، وقد أخَّرها بعد صفات المعاني؛ لأن الصفات المعنوية هي عبارة عن قيام صفات المعاني بالذات، كما تقدم قريباً، فقال رحمه الله:

(**والصفات المعنوية هي: التي تدل على معنى ذات**) أي: على قيام المعنى بالذات (**مع زيادة عليها**) أي: على الذات، فالصفات المعنوية هي عبارة عن قيام صفات المعاني بالذات كما أسلفنا، وقد تقدم معنا أن صفات المعاني هي: كل صفة وجودية قائمة بالذات موجبة له حكماً،والحكم هنا هو الصفة المعنوية، إذ من المعلوم أن الاتصاف بكونه عالماً وقادراً لا يصح إلا

(١) انظر البيجوري (١٣٤).

....

الشرح

إذا قام به العلم والقدرة، وعلى هذا لا معنى لكونه تعالى عالماً وكونه قادراً إلا قيام صفتي العلم والقدرة بالذات، والعلم والقدرة من صفات المعاني كما هو معلوم، والحق سبحانه وتعالى قد أطلق هذه الأسماء في كتابه وعلى لسان نبيه ﷺ، وذلك خطابه لمن هو من أهل اللغة، والمفهوم في اللغة من كلمة عليم (ذات لها علم) ومن كلمة قدير (ذات لها قدرة)، والاسم: عبارة عن الذات من حيث قامت بها الصفة، أما الصفة فهي: عبارة عن العلم والقدرة دون نظر إلى الذات، فإن اتصلت الصفة بالذات فهي الصفات المعنوية، فكونه عالماً قديراً هو تعلق صفة العلم والقدرة بالذات، ويتضح ويتلخص مما سبق:

أولاً: أن الاتصاف بالمعاني يوجب الاتصاف بالمعنوية، وتكون المعاني على هذا ملزومة للمعنوية –عقلاً– والمعنوية لازمة للمعاني، بمعنى أنه يلزم من كونه قادراً أنه موصوف بالقدرة، كما يلزم من اتصافه بالقدرة كونه قادراً.

ثانياً: يتضح أن الفرق بين المعاني والمعنوية هو: أن المعاني صفات وجودية، أي: وجود صفات متعلقة بالذات زائدة عنها، والمعنوية صفات ثبوتية اعتبارية، أي: ثبوت وقيام صفات المعاني بالذات، فالمعاني والمعنوية

....

الشرح

صفات ثبوتية تدل على معنى زائد على الذات، وهو معنى وجودي في المعاني وثبوتي في المعنوية، والثبوت قريب من الوجود، فالصفات المعنوية صفات ثابتة للذات لا من حيث أنها قائمة بالذات كالمعاني؛ بل من حيث أنها عبارة عن قيام المعاني بالذات، وهذا هو المعتمد، لذا كان الاتصاف بها كالفرع للاتصاف بالمعاني باعتبار التعقُّل، أي: لا يتعقل وجود هذه إلا بهذه، والمقصود بالفرعية هنا اللزوم، لذا كانت المعنوية سبع صفات كالمعاني.(١)

هذا الذي ذكرناه هو المعتمد عند أهل السن والجماعة وهو:

أن الصفات المعنوية هي عبارة عن قيام صفات المعاني بالذات، فهي ليست صفات قائمة بذاته تعالى ، وهي في الحقيقة ليست بصفات؛ لأن قيام المعاني بالذات أمر اعتباري والاعتبارات لا تسمى صفات حقيقة؛ بل هي عبارة عن الإخبار بأن المعاني قائمة بالموصوف، (وهو مذهب الإمام الأشعري) الذي قال بنفي صفات الأحوال، والأحوال: جمع حال، وهي صفة لا مجودة ولا معدومة؛ بل واسطة بين الموجود والمعدوم.

---

(١) انظر عون المريد (١/ ٤٠٥).

....

الشرح

الخلاصة:

- أن من نفى الأحوال كالإمام الأشعري قال:

معنى (كونه تعالى عالماً) هو قيام العلم به، وليس هناك صفة أخرى زائدة على قيام العلم ثابتة في خارج الدهن.

- ومن أثبت صفات الأحوال كالسنوسي قال:

معنى (كونه تعالى عالماً) صفة أخرى زائدة على قيام العلم بالذات، وهذه الصفة ليست موجودة بالاستقلال كالمعاني، ولا معدومة عدماً صرفاً؛ بل هي واسطة بين الموجود والمعدوم، حيث لم تبلغ درجة الوجود، ولم تنزل إلى مرتبة العدم.[1]

مهمة:

قد يتساءل الواحد فيقول: ما الحكمة من ذكر الصفات المعنوية إذ قلنا أنها اعتبارية وهي داخلة في صفات المعاني؟ فالجواب:

أن الحكمة في ذلك أمران:

الأول: ذكر العقائد على وجه التفصيل؛ لأن الجهل في العقائد خطير.

---

(١) انظر عون المريد (١/ ٤٠٧-٤٠٨)، وتحفة المريد (٨٩).

وهي سبع صفات: كونه قادرا، مريداً، عالماً، حياً، سميعاً، بصيراً، متكلماً.

الشرح

الثاني: الرد على المعتزلة، فإنهم أنكروا صفات المعاني وقالوا: أنه تعالى قادر بذاته، مريد بذاته، عليم بذاته، لكنهم لم يكفروا؛ لأنهم قالوا: أنه قادر بذاته وعليم بذاته وغيرها من الصفات فهم وأن أنكروا المعاني لم ينكروا القادرية وغيرها فهم يقولون انه قادر ومريد وعالم، غير أنهم يقولون بذاته.[1]

حكم نفي الصفات المعنوية:

يجب أن نعلم أن الصفات المعنوية (**وهي سبع صفات: كونه قادرا، مريداً، عالماً، حياً، سميعاً، بصيراً، متكلماً**) هي صفات واجبة له تعالى إجماعاً على مذهب أهل السنة والجماعة والمعتزلة وعلى القول بثبوت الأحوال أو نفيها.[2]

أما حكم من نفاها ففيه تفصيل:

- إن نفاها وأثبت مع النفي ضدها.. فإنه يكفر، كمن نفى كونه عالماً وأثبت ضدها وهو كونه جاهلاً، تعالى الله عن ذلك.

(١) انظر تحفة المريد (٩٠).

(٢) انظر عون المريد (١/ ٤٠٦).

....

الشرح

- إن نفاها ولم يثبت ضدها، بمعنى أنه ينفي أن يكون لله صفة قديمة يقال لها الكون عالماً، وفي نفس الوقت هو مثبت لانكشاف الأشياء له تعالى بذاته أزلا.. فلا ضرر في ذلك؛ لأن الحق نفي صفات الأحوال كما تقدم.[1]

حكم من نفى صفات المعاني:

وأما صفات المعاني فإن نفاها ففيه تفصيل:

- إن نفى زيادتها على الذات مع إثبات أحكامها لله.. فإن ذلك موجب للفسق والعياذ بالله.
- إن نفاها مع إثبات أضدادها.. فإنه يكفر والعياذ بالله.

مسألة:

مذهب أهل السنة والجماعة أن صفات المعاني -وهي التي تسمى بصفات الذات- ليست هي عين الذات كما تقدم ، وليست غير الذات كما قال صاحب الجوهرة:

.... ثم صفات الذات ليست بغير أو بعين الذات

(١) انظر عون المريد (١/ ٤٠٦)، والبيجوري (١٢٥).

....

الشرح

والمعنى: أن صفات الذات ليست بغير الذات الإلهية أي: ليست غيراً منفكاً، لا مطلق الغير، فلا ينافي أن حقيقتها غير حقيقة الذات، لكنها ليست منفكة عن الذات؛ بل هي قائمة بالذات.

وليست صفات الذات أيضاً بعين الذات؛ لأن حقائقها تخالف حقيقة الذات، فهي صفات مغايرة للذات مفهوماً، ضرورة مخالفة الصفة للصفة، كمخالفة القدرة للعلم، لكنها قائمة بالذات، إذ محال أن يقوم الوصف بنفسه، وهي واجبة لنفسها، مثل وجوب الذات كما هو الحق، وليست ممكنة في ذاتها واجبة لغيرها بسبب اقتضاء الذات لها.[(١)]

ولو كانت صفات الذات هي عين الذات.. للزم ذلك تعدد الذات بتعدد الصفات، أي: بتعدد نوع الصفات كالعلم والقدرة والإرادة وغيرها.

قال في شرح الصاوي على الجوهرة:((فعُلم أن مذهب أهل السنة أن صفات الذات زائدة عليها –أي: على الذات– قائمة بها، لازمة لها لزوماً لا يقبل الانفكاك، فهي دائمة الوجود مستحيلة العدم، فهو حي بحياة، عالم بعلم، قادر بقدرة، وهكذا)) اهـ.[(٢)]

---

(١) انظر عون المريد (١/ ٤٠٩).

(٢) شرح الصاوي على الجوهرة (١٩٢).

....

الشرح

وقال في (هداية المريد): ((فمذهب أهل السنة أن صفات الذات زائدة عليها، قائمة بها، لازمة لها لزوماً لا يقبل الانفصال، فهي دائمة الوجود، مستحيلة العدم)) اهـ.[1]

وخرج بصفات الذات.. الصفات السلبية، فإنها غير، بمعنى أنها ليست قائمة به تعالى؛ لأنها أمور عدمية، أي: صفات تنفي الأضداد، وخرج كذلك الصفة النفسية وهي الوجود، فإنها ليست زائدة على الذات؛ بل هي عين الموجود، وخرج كذلك صفات الأفعال كالإحياء والإماتة، فإنها غير أيضاً بمعنى أنها منفكة ، إذ هي: تعلقات القدرة التنجيزية الحادثة كما سيأتي بيانها إن شاء الله تعالى.

وذكر كل ذلك رداً على من تمسك بشبهتين ابتغاء نفي صفات الذات، وهما:

- أن الصفات الوجودية –وهي صفات الذات– إما أن تكون قديمة أو حادثة، فإن كانت قديمة.. لزم تعدد القدماء، وهو كفر بإجماع المسلمين.

---

(١) هداية المريد (٤٣).

....

الشرح

- وإن كانت حادثة.. لزم قيام الحوادث بذاته تعالى، ولزم خلوه منها في الأزل، أي: إن لزم قيام الحوادث به تعالى فإن ذلك يلزم أنه كان خالياً منها في الأزل، وهذا باطل.

فرُد على الشبهة الثانية وهي شبهة قيام الحوادث به تعالى بأنه صفاته قديمة كما سيتبين لنا عند الكلام عن الصفات الواجبة.

فبقيت شبهة تعدد القدماء، لأننا قلنا أن صفاته قديمة، فكان الرد عليها هو:

أن صفات الذات ليست بغير الذات، بل قائمة بالذات، وإنما يلزم التعدد لو كانت كل صفة قائمة بنفسها لا بالذات، أما وقد ثبت قيامها بالذات -حيث أنها ليست غيراً منفكاً- فلا تعدد؛ لأن الغيرين هما المفهومان اللذان ينفك أحدهما عن الآخر في الوجود، بحيث يتصور وجود أحدهما دون الآخر، ولكون الصفات غيراً بالمعنى الذي تقدم.. وقع التسامح بإضافة ما للذات إلى الصفات نحو:(كل شيء تواضع لقدرته)، والمراد كل شيء تواضع لذاته لأجل قدرته، وإلا فعبادة مجرد الصفات كفر،

....

الشرح

وعبادة مجرد الذات فسق، والقول المستقيم هو عبادة الذات المتصفة بالصفات.[1]

فائدة:

الصفات إما:[2]

١- عين الذات، وهي الصفة النفسية.

٢- غير الذات، وهي السلبية والفعلية، فالسلبية لكون مدلولها عدماً، والفعلية لحدوثها، كما تقدم وكما سيأتي إيضاحها أكثر إن شاء الله تعالى.

٣- لا عين الذات ولا غيرها، وهي وجودية، وتسمى بالمعاني.

٤- لا عين الذات، ولا غيرها كذلك، وهي اعتبارية وتسمى معنوية.

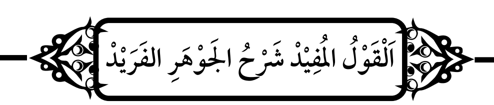
٥- صفات جامعة وهي: العزة والجلال والجمال والغنى ونحو ذلك، فهي في الذات وكل الصفات.

---

(١) انظر عون المريد (١/ ٤١٠).

(٢) انظر شرح الصاوي (١٩٣-١٩٤).



الدرس الخامسة

في معنى الوجود والقدم في حق الله والدليل على ذلك

ومعنى الوجود في حق الله سبحانه وتعالى متحقق ثابت في ذاته لا بواسطة شيء، ....

الشرح

الدرس الخامسة

في معنى الوجود والقدم في حق الله والدليل على ذلك

(**ومعنى الوجود في حق الله سبحانه وتعالى**) هو أنه (**متحقق ثابت في ذاته لا بواسطة شيء**) أي: أن وجوده تعالى متحقق وثابت لذاته لا لعلة، أي: وجود ذاتي، بمعنى أن الغير ليس مؤثراً في وجوده تعالى، وليس المراد أن الذات أثرت في نفسها إذ لا يقول به عاقل، وأما الوجود غير الذاتي كوجودنا فهو بفعله تعالى.

فالوجود الذاتي هو صفة نفسية ثبوتية يدل الوصف بها على نفس الذات دون معنى زائد عليها.

فخرج بقولنا (ثبوتية) الصفات السلبية، فهي تنفي عنها أضدادها.

وخرج بقولنا (على نفس الذات) صفات المعاني، فإنها تدل على معنى لا على الذات.

وخرج بقولنا (دون معنى زائد عليها) الصفات المعنوية.

من غير كيف، ولا أين.

الشرح

ووجوده تعالى (**من غير كيف**)؛ لأن الكيفية تقتضي الجسمية وهو محال في حقه تعالى، وروى الإمام يحيى بن يحيى قال:((كنا عند مالك بن أنس، فجاء رجل فقال: يا أبا عبدالله ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ {طه: ٥} ، فكيف استوى؟

قال: فأطرق مالك حتى علاه الرُّحَضَاء –أَيْ الْعَرَق مِنْ الشِّدَّة ، وَأَكْثَر مَا يُسَمَّى بِهِ عَرَق الْحُمَّى- ثم قال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به –أي: بالاستواء- واجب، والسؤال عنه بدعة، وما أراك إلا مبتدعاً، فأمر به أن يخرج)) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات.

ووجوده تعالى بلا كيف (**ولا أين**) أي: من غير مكان فلا يسأل عنه بأين؛ لأنه تعالى موجود قبل خلق الزمان والمكان، وهو الآن على ما عليه كان، واعتقاد أن الله في جهة أو في مكان من الأماكن التي خلقها.. هو عقيدة باطلة، ويتمسك الكثير من الجهلة بهذه العقيدة مستدلين بحديث الجارية،والتي فيها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل الجارية فقال: ((أين الله)). هذه الرواية مع صحتها إلا أن في لفظها اضطراب، وقد وردت بألفاظ عديدة، فمن ذلك:

....

الشرح

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِجَارِيَةٍ سَوْدَاءَ أَعْجَمِيَّةٍ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله إِنَّ عَلَيَّ عِتْقَ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:((**أَيْنَ الله**))،فَأَشَارَتْ إِلَى السَّمَاءِ بِإِصْبَعِهَا السَّبَّابَةِ، فَقَالَ لَهَا:((**مَنْ أَنَا**)) فَأَشَارَتْ بِإِصْبَعِهَا إِلَى رَسُولِ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِلَى السَّمَاءِ، أَيْ أَنْتَ رَسُولُ الله ، فَقَالَ:((**أَعْتِقْهَا**)) أخرجه الإمام أحمد وأبو داود.

وَعَنْ عُبَيْدِ الله بْنِ عَبْدِ الله عَنْ رَجُلٍ مِنْ الْأَنْصَارِ أَنَّهُ جَاءَ بِأَمَةٍ سَوْدَاءَ وَقَالَ: يَا رَسُولَ الله إِنَّ عَلَيَّ رَقَبَةً مُؤْمِنَةً، فَإِنْ كُنْتَ تَرَى هَذِهِ مُؤْمِنَةً أَعْتَقْتُهَا؟، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:((**أَتَشْهَدِينَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله**)) قَالَتْ: نَعَمْ قَالَ:((**أَتَشْهَدِينَ أَنِّي رَسُولُ الله**)) قَالَتْ: نَعَمْ قَالَ:((**أَتُؤْمِنِينَ بِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ**)) قَالَتْ: نَعَمْ قَالَ:((**أَعْتِقْهَا**)) أخرجه الإمام أحمد.

وَعَنْ أَبِي سَلَمَةَ عَنِ الشَّرِيدِ أَنَّ أُمَّهُ أَوْصَتْ أَنْ يُعْتِقَ عَنْهَا رَقَبَةً مُؤْمِنَةً، فَسَأَلَ رَسُولَ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: عِنْدِي جَارِيَةٌ سَوْدَاءُ أَوْ نُوبِيَّةٌ فَأَعْتِقُهَا؟، فَقَالَ:((**ائْتِ بِهَا**)) فَدَعَوْتُهَا فَجَاءَتْ، فَقَالَ لَهَا:((**مَنْ رَبُّكِ**)) قَالَتْ: الله ، قَالَ:((**مَنْ أَنَا؟**)) فَقَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:((**أَعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ**)) أخرجه الإمام أحمد .

....

الشرح

فهذه الرواية كلها مخالفة في لفظها للفظ (أين الله)، والموافق لها منها فيها أنها أشارة فقط ولم تتكلم، فما في هذه الروايات هو الصحيح؛ لأنه صلى الله عليه وسلم علمنا أن الدخول إلى الإسلام بالإيمان بالله تعالى وبه صلى عليه وسلم، وبشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وليس باعتقاد أن الله في السماء، ولذلك لو اعتقد الكافر أن الله في السماء لم يكن مؤمنا، وإلى هذا ذهب أهل العلم مما يدل على أن هذه الرواية أي: رواية (أين الله) فيها اضطراب؛ وإلا لكان من الإيمان أن يعتقد الكافر أن الله في السماء، نعم، لو كان عامياً لا يفقه معنى التجسيم.. أُكتفي بذلك منه كما في حديث الجارية، قال عمدة الحفاظ الحافظ ابن حجر العسقلاني في (فتح الباري): (ولو قال من ينسب إلى التجسيم من اليهود لا اله إلا الذي في السماء.. لم يكن مؤمنا كذلك، إلا إن كان عاميا لا يفقه معنى التجسيم، فيكتفى منه بذلك كما في قصة الجارية التي سألها النبي صلى الله عليه و سلم أنت مؤمنة قالت: نعم قال: فأين الله قالت: في السماء، فقال: اعتقها فإنها مؤمنة) اهـ.[١]

فيدل كلام الحافظ على أن قول (أين الله) محمول على أن الجارية كانت عاميَّة لا تفقه معنى التجسيم، وإلا فاعتقاد أن الله في السماء لا يثبت إيمانا

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري (طبعة المكتب الجامعي الحديث) (١٣/ ٤٠٣).

....

الشرح

ولا ينفي شركاً، وقد كان فرعون يعتقد أن الله في السماء فكان من أهل هذا الاعتقاد الباطل، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ﴾ {غافر: ٣٦ – ٣٧}، وربما قال المخالف إن فرعون لم يعتقد ذلك، وكذّب باعتقاد أنه تعالى في السماء مثل ما كذَّبْتُم أنتم، والدليل على ذلك قوله﴿ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ﴾، فالجواب على ذلك أن مراده كاذبا في وجود إله غيري، أما الاعتقاد الأول فهو موجود لديه أي أنه يعتقد أن الله لو كان موجوداً فإنه سيكون في السماء، لكنه مكذب أصلا بوجوده بدليل قوله تعالى في الآية الأخرى: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ {القصص: ٣٨}.

وقد بيَّن أهل العلم معنى قوله صلى الله عليه وسلم في رواية (أين الله)، فقال الشيخ أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى (المتوفى : ٨٥٥هـ) في شرحه لسنن أبي داود عند ذكر الحديث:(قوله: " فقالَ: أين اللهُ " أي: فقال النبي صلى الله

....

الشرح

عليه وسلم سائلاً عنها: أين الله؟ إنما أراد صلى الله عليه وسلم أن يَتطلبَ دليلاً على أنها مُوحدة، فخاطبَها بما يفهم قصدها؛ إذ من علامات الموحدين: التوجهُ إلى السماء عند الدعاء وطلب الحوائج؛ لأن العرب التي تعبدُ الأصنامَ تطلب حوائجها من الأصنام، والعجم من النيران، فأرادَ صلى الله عليه وسلم الكشفَ عن مُعتقدها هل هي من جملة من آمن؟ فأشارت إلى السماء، وهي الجهة المقصودة عند الموحدين. وقيل: إنما وَجْهُ السؤالِ بـ " أين " هاهنا سُؤال عما يَعتقدُه من جلال الباري، وإشارتها إلى السماء إخبار عن جلالته تعالى في نفسها، والسماء قبلة الداعين كما أن الكعبة قبلة المصلين، فكما لم يَدل استقبالُ الكعبة على أن الله جلت قدرته فيها، لم يدل التوجه إلى السماء والإشارة على أن الله عَزَّ وجَلَّ فيه) اهـ.

وقال الإمام أبو الوليد الباجي في (المنتقى شرح الموطأ):(وَقَوْلُهُ : لِلْجَارِيَةِ أَيْنَ الله ؟ فَقَالَتْ : فِي السَّمَاءِ لَعَلَّهَا تُرِيدُ وَصْفَهُ بِالْعُلُوِّ، وَبِذَلِكَ يُوصَفُ كُلُّ مَنْ شَأْنُهُ الْعُلُوُّ، فَيُقَالُ مَكَانُ فُلَانٍ فِي السَّمَاءِ بِمَعْنَى عُلُوِّ حَالِهِ وَرِفْعَتِهِ وَشَرَفِهِ) اهـ.

وقال الإمام السيوطي في شرحه لسنن أبي داود عند شرح الحديث: (أَيْنَ الله)، قِيلَ مَعْنَاهُ: فِي أَيِّ جِهَة يَتَوَجَّه الْمُتَوَجِّهُونَ إِلَى الله تَعَالَى، وَقَوْلهَا:

....

الشرح

(فِي السَّمَاء)، أَيْ: فِي جِهَة السَّمَاء يَتَوَجَّهُونَ وَالْمَطْلُوب مَعْرِفَة أَنْ تَعْتَرِف بِوُجُودِهِ تَعَالَى لَا إِثْبَات الْجِهَة وَقِيلَ التَّفْوِيض أَسْلَمُ) اهـ.

وقال الإمام محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف النووي في شرحه لصحيح الإمام مسلم مبيناً معنى الرواية ومنزهاً للحق تعالى عن المكان والجهة:(قَوْله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (أَيْنَ اللَّهُ ؟ قَالَتْ فِي السَّمَاء قَالَ : مَنْ أَنَا ؟ قَالَتْ : أَنْتَ رَسُول اللَّهُ قَالَ : أَعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَة).

هَذَا الْحَدِيث مِنْ أَحَادِيث الصِّفَات ، وَفِيهَا مَذْهَبَانِ تَقَدَّمَ ذِكْرهمَا مَرَّات فِي كِتَاب الْإِيمَان .

أَحَدهمَا : الْإِيمَان بِهِ مِنْ غَيْر خَوْض فِي مَعْنَاهُ ، مَعَ اِعْتِقَاد أَنَّ اللَّهُ تَعَالَى لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْء وَتَنْزِيهه عَنْ سِمَات الْمَخْلُوقَات .

وَالثَّانِي: تَأْوِيله بِمَا يَلِيق بِهِ ، فَمَنْ قَالَ بِهَذَا قَالَ : كَانَ الْمُرَاد اِمْتِحَانهَا ، هَلْ هِيَ مُوَحِّدَة تُقِرّ بِأَنَّ الْخَالِق الْمُدَبِّر الْفَعَّال هُوَ اللَّهُ وَحْده ، وَهُوَ الَّذِي إِذَا دَعَاهُ الدَّاعِي اِسْتَقْبَلَ السَّمَاء كَمَا إِذَا صَلَّى الْمُصَلِّي اِسْتَقْبَلَ الْكَعْبَة ؟ وَلَيْسَ ذَلِكَ ؛ لِأَنَّهُ مُنْحَصِر فِي السَّمَاء كَمَا أَنَّهُ لَيْسَ مُنْحَصِرًا فِي جِهَة الْكَعْبَة ، بَلْ ذَلِكَ لِأَنَّ السَّمَاء قِبْلَة الدَّاعِينَ ، كَمَا أَنَّ الْكَعْبَة قِبْلَة الْمُصَلِّينَ ، أَوْ هِيَ مِنْ عَبَدَة

....

الشرح

الْأَوْثَان الْعَابِدِينَ لِلْأَوْثَانِ الَّتِي بَيْن أَيْدِيهِمْ ، فَلَمَّا قَالَتْ : فِي السَّمَاء ، عَلِمَ أَنَّهَا مُوَحِّدَة وَلَيْسَتْ عَابِدَة لِلْأَوْثَانِ . قَالَ الْقَاضِي عِيَاض : لَا خِلَاف بَيْن الْمُسْلِمِينَ قَاطِبَة فَقِيههمْ وَمُحَدِّثهمْ وَمُتَكَلِّمهمْ وَنُظَّارهمْ وَمُقَلِّدهمْ أَنَّ الظَّوَاهِر الْوَارِدَة بِذِكْرِ اللهَّ تَعَالَى فِي السَّمَاء كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ ﴾ {الملك: ١٦} وَنَحْوه لَيْسَتْ عَلَى ظَاهِرهَا ، بَلْ مُتَأَوَّلَة عِنْد جَمِيعهمْ ، فَمَنْ قَالَ بِإِثْبَاتِ جِهَة فَوْق مِنْ غَيْر تَحْدِيد وَلَا تَكْيِيف مِنْ الْمُحَدِّثِينَ وَالْفُقَهَاء وَالْمُتَكَلِّمِينَ تَأَوَّلَ : فِي السَّمَاء ، أَيْ : عَلَى السَّمَاء ، وَمَنْ قَالَ مِنْ دَهْمَاء النُّظَّار وَالْمُتَكَلِّمِينَ وَأَصْحَاب التَّنْزِيه بِنَفْيِ الْحَدّ وَاسْتِحَالَة الْجِهَة فِي حَقّه سُبْحَانه وَتَعَالَى تَأَوَّلُوهَا تَأْوِيلَات بِحَسَبِ مُقْتَضَاهَا ، وَذَكَرَ نَحْو مَا سَبَقَ . قَالَ : وَيَا لَيْتَ شِعْرِي مَا الَّذِي جَمَعَ أَهْل السُّنَّة وَالْحَق كُلّهمْ عَلَى وُجُوب الْإِمْسَاك عَنْ الْفِكْر فِي الذَّات كَمَا أُمِرُوا ، وَسَكَتُوا لِحَيْرَةِ الْعَقْل ، وَاتَّفَقُوا عَلَى تَحْرِيم التَّكْيِيف وَالتَّشْكِيل ، وَأَنَّ ذَلِكَ مِنْ وُقُوفهمْ وَإِمْسَاكهمْ غَيْر شَاكّ فِي الْوُجُود وَالْمَوْجُودَة ، وَغَيْر قَادِح فِي التَّوْحِيد ، بَلْ هُوَ حَقِيقَته ، ثُمَّ تَسَامَحَ بَعْضهمْ بِإِثْبَاتِ الْجِهَة خَاشِيًا مِنْ مِثْل هَذَا التَّسَامُح ، وَهَلْ بَيْن التَّكْيِيف وَإِثْبَات الْجِهَات فَرْق ؟ لَكِنْ إِطْلَاق مَا أَطْلَقَهُ الشَّرْع مِنْ أَنَّهُ الْقَاهِر فَوْق عِبَاده ، وَأَنَّهُ اِسْتَوَى عَلَى الْعَرْش ، مَعَ التَّمَسُّك بِالْآيَةِ الْجَامِعَة لِلتَّنْزِيهِ

....

الشرح

الْكُلِّيّ الَّـذِي لَا يَصِـحّ فِي الْمَعْقُـول غَـيْره ، وَهُـوَ قَوْلـه تَعَـالَى : ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ ﴾ {الشورى: ١١} عِصْمَة لِمَنْ وَفَّقَهُ اللهُ تَعَالَى ، وَهَذَا كَلَام الْقَاضِي رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى) اهـ.

وربما استدل من يعتقد هذا الاعتقاد الباطل ببعض الآيات التي لم يفهما، كقوله تعالى ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ﴾ {الملك: ١٦}، كما تقدم في كلام الإمام النووي، ولبيان ذلك نورد ما ذكره أهل التفسير المتخصصين في هذا الفن من شرح للآية ليتبين المعنى الصحيح وتنجلي سحابة الوهم:

قال الشيخ الشربيني في تفسيره (السراج المنير) عند ذكر الآية: وقوله تعالى: ﴿ مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ {الملك: ١٦} فيه وجوه:

أحدها: من ملكوته في السماء لأنها مسكن ملائكته وثم عرشه وكرسيه واللوح المحفوظ، ومنها ينزل قضاياه وكتبه وأوامره ونواهيه.

والثاني: أن ذلك على حذف مضاف، أي: أأمنتم خالق من في السماء.

والثالث: أن في بمعنى على، أي: على السماء، كقوله: ﴿ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخۡلِ ﴾ {طه: ٧١} أي: على جذوع النخل وإنما احتاج القائل بهذين

....

الشرح

الوجهين إلى ذلك لأنه اعتقد أن من واقعة على الباري تعالى شأنه وهو الظاهر وثبت بالدليل القطعي أنه ليس بمتحيز لئلا يلزم التجسيم، ولا حاجة إلى ذلك، فإن من هنا المراد بها الملائكة سكان السماء وهم الذين يتولون الرحمة والنقمة.

والرابع: أنهم خوطبوا بذلك على اعتقادهم فإن القوم كانوا مجسمة مشبهة وأنه في السماء، وأن الرحمة والعذاب نازلان منه، وكانوا يدعونه منجهتها فقيل لهم على حسب اعتقادهم: ﴿ مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ أي: من تزعمون أنه في السماء. قال الرازي: هذه الآية لا يمكن إجراؤها على ظاهرها بإجماع المسلمين، لأنّ ذلك يقتضي إحاطة السماء به من جميع الجوانب فيكون أصغر منها والعرش أكبر من السماء بكثير فيكون حقيراً بالنسبة إلى العرش وهو باطل بالاتفاق؛ ولأنه تعالى قال: ﴿ قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ {الأنعام: ١٢} فلو كان فيها لكان مالكاً لنفسه، فالمعنى: أما من في السماء عذابه، وإما إن ذلك بحسب ما كانت العرب تعتقده، وأما من في السماء سلطانه وملكه وقدرته كما قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ ﴾ {الأنعام: ٣} فإن الشيء الواحد لا يكون دفعة في مكانين، والغرض

....

الشرح

من ذكر السماء تفخيم سلطان الله سبحانه وتعظيم قدرته، والمراد الملك الموكل بالعذاب وهو جبريل عليه السلام) اهـ.

وقال الإمام المفسِّر الفخر الرازي في تفسيره (مفاتح الغيب) أو (التفسير الكبير) عند ذكر الآية: (واعلم أن المشبهة احتجوا على إثبات المكان لله تعالى بقوله : ﴿ مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ ، والجواب عنه أن هذه الآية لا يمكن إجراؤها على ظاهرها باتفاق المسلمين ، لأن كونه في السماء يقتضي كون السماء محيطاً به من جميع الجوانب ، فيكون أصغر من السماء ، والسماء أصغر من العرش بكثير ، فيلزم أن يكون الله تعالى شيئاً حقيراً بالنسبة إلى العرش ، وذلك باتفاق أهل الإسلام محال ، ولأنه تعالى قال : ﴿ قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ قُل لِّلَّهِ ﴾ {الأنعام: ١٢} ، فلو كان الله في السماء لوجب أن يكون مالكاً لنفسه وهذا محال ، فعلمنا أن هذه الآية يجب صرفها عن ظاهرها إلى التأويل ، ثم فيه وجوه :

أحدها : لم لا يجوز أن يكون تقدير الآية : أأمنتم من في السماء عذابه، وذلك لأن عادة الله تعالى جارية ، بأنه إنما ينزل البلاء على من يكفر بالله

....

الشرح

ويعصيه من السماء، فالسماء موضع عذابه تعالى ، كما أنه موضع نزول رحمته ونعمته.

وثانيها : قال أبو مسلم : كانت العرب مقرين بوجود الإله ، لكنهم كانوا يعتقدون أنه في السماء على وفق قول المشبهة ، فكأنه تعالى قال لهم : أتأمنون من قد أقررتم بأنه في السماء ، واعترفتم له بالقدرة على ما يشاء أن يخسف بكم الأرض.

وثالثها : تقدير الآية : من في السماء سلطانه وملكه وقدرته ، والغرض من ذكر السماء تفخيم سلطان الله وتعظيم قدرته ، كما قال : ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ {الأنعام: ٣}، فإن الشيء الواحد لا يكون دفعة واحدة في مكانين ، فوجب أن يكون المراد من كونه في السموات وفي الأرض نفاذ أمره وقدرته ، وجريان مشيئته في السموات وفي الأرض ، فكذا ههنا.

ورابعها : لم لا يجوز أن يكون المراد بقوله : ﴿ مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ الملك الموكل بالعذاب ، وهو جبريل عليه السلام ، والمعنى أن يخسف بهم الأرض بأمر الله وإذنه) اهـ.

....

الشرح

وقال الإمام العارف بالله أحمد بن محمد بن عجيبة الحَسَنِي في تفسيره (البحر المديد في تفسير القرآن المجيد) عند ذكر الآية:(﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ من ملكوته وأسرار ذاته، وعبّر بها؛ لأنها منزل قضاياه، وتدبيراته ووحيه، ومسكن ملائكته وأوامره ونواهيه، فكل ما يظهر في الأرض إنما يقضي به في السماء، وحينئذ يبرز، فكأنه قال: أأمِنتم خالق السموات؟ وقال اللجائي: كل شيء علا فهو سماء، وسماء البيت: سقفه، وليس المقصود في الآية سماء الدنيا؛ ولا غيرها من السبع الطباق، وإنما المعنى: أأمِنتم مَن في العلو، وهو علو الجلال، وليس كون الله في سماء الحوادث من صفات الكمال، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيراً) اهـ.(١)

فتبين من كل ذلك بطلان هذه العقيدة الفاسدة، وأن الله تعالى لا يحل في مكان ولا يحويه المكان ولا الزمان، ولا يوصف بالجهة إلا من باب التعظيم كوصفه بالعلو المعنوي، قال الحافظ ابن حجر في (الفتح):(لا يلزم من كون جهتي العلو والسفل محال على الله أن لا يوصف بالعلو؛ لأن

---

(١) (البحر المديد في تفسير القرآن المجيد) تحقيق بسام محمد بارود (٦/ ٢٦٤).

....

الشرح

وصفه بالعلو من جهة المعنى، والمستحيل كون ذلك من جهة الحس) اهـ.[1]

۞ وقد أختلف أهل العلم في الوجود على ثلاثة مذاهب وهي:

الأول: مذهب الإمام الأشعري وهو: (الوجود عين الموجود)، واختلف العلماء في فهم هذه العبارة:

- فمنهم من أبقاها على ظاهرها، وعليه يكون في عدِّ الوجود صفة تسامحٌ؛ لأنه يقع صفة في مجرد اللفظ فقط، كأن نقول (الله موجود)، أو (ذات الله موجودة)، فالصفة في مجرد اللفظ؛ وإلا فالوجود عين الموجود، لا صفة قائمة بها.

- وذهب آخرون، كالسعد وأمثاله من المحققين إلى تأويل عبارة الإمام الأشعري فقالوا: ليس المراد العينيّة حقيقة؛ بل المراد أنه ليس زئداً على الذات في الخارج بحيث تصح رؤيته، فلا ينافي أنه أمر اعتباري، وهو الحق الذي لا محيص عنه، وعليه فلا يكون في عدِّ الوجود صفة تسامح؛ لأن الصفة يكفي فيها مغايرة الموصوف وإن

---

(١) (فتح الباري) (٦/ ١٤٦).

....

الشرح

لم تكن زائدة في الخارج.

الثاني: من المذاهب، مذهب الحكماء، وهو: أن الوجود عين الموجود في القديم، وزائدة عليه في الممكن الحادث.

الثالث: من المذاهب، مذهب الرازي وجمهور المتكلمين، وهو: أن الوجود غير الموجود، ضرورة مغايرة الصفة للموصوف، وعليه فقد عرَّفوا الوجود بأنه: الحال الواجب للذات ما دامت الذات غير معللة بعلة، والمراد بكونها حالاً.. أنها واسطة بين الموجود والمعدوم على القول بثبوت الواسطة التي هي الحال، ومعنى كونها واجبة للذات ما دامت الذات..أنها ثابتة للذات مدة دوام الذات، وعلى هذا فالوجود إذاً زائدة على الذات قديمة كانت أو حادثة؛ لأنه أمر اعتباري.

والمقصود من كلمة (الحال) الوجه والاعتبار، وبها – أي: بكلمة(الحال)- خرج صفات المعاني والصفات السلبية، إذ (الحال) له

ثبوت في نفسه، لكنه لم يصل لمرتبة الوجود، كما قال الإمام الباقلاني.[1]

(١) انظر عون المريد (١/ ٢٧٥-٢٧٦).

والدليل على ذلك عقلاً: وجود هذه المخلوقات الحادثة؛ لأنه لا يتصور في العقل وجوده مصنوعاً بلا صانع.

ونقلاً: قوله تعالى ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ {الأعراف: ٥٤}.

الشرح

(**والدليل على ذلك**) أي: على الوجود (**عقلاً**) أي: من حيث الإدراك العقلي هو (**وجود هذه المخلوقات الحادثة**)في هذا الوجود وهو العالَم، فالعالم حادث، وكل حادث يجب افتقاره لمحدث؛ (**لأنه لا يتصور في العقل وجوده مصنوعاً بلا صانع**) فوجب افتقار العالم إلى المحدث وهو الله تعالى، وكل من وجب افتقار العالم إليه فهو واجب الوجود، فوجب وجود الله تعالى، ولو لم يكن واجب الوجود لكان جائز، ولو كان جائز الوجود لما ظهرت الأكوان، كيف وقد ظهرت؟.

(و) الدليل على ثبوت صفة الوجود لله تعالى (**نقلاً: قوله تعالى ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾** {الأعراف: ٥٤}) وغيرها من الآيات كقوله تعالى ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ {الحشر: ٢٤}.

ومعنى القدم في حقه عز وجل: هي سلب العدم السابق لوجوده؛ لأن وجوده تعالى لا أول له.

الشرح

معنى القدم لله تعالى:

بعد أن تكلم المصنف رحمه الله تعالى عن الصفة النفسية.. بدأ بالحديث عن الصفات السلبية التي دلت على سلب ما لا يليق به تعالى، فبدأ رحمه الله تعالى بالصفة الأولى منها وهي صفة القدم، فعرَّفها بقوله:

(ومعنى القدم في حقه عز وجل: هي سلب العدم السابق لوجوده؛ لأن وجوده تعالى لا أول له).

والمراد بالقدم في حقه تعالى (القدم الذاتي) و(مدلولها عدمي) أي: مدلول صفة القدم الذاتي: عبارة عن عدم افتتاح الوجود ذاتاً وصفاتاً، وإن شئت قلت: عدم أولية الوجود، أي: دوام الذات والصفات من الأزل إلى الأبد، وهو ليس معنى وجودياً كما في صفات المعاني، بحيث تمكن رؤيته لو أزيل الحجاب، كما في صفة العلم والقدرة وغيرها من صفات المعاني، وإن كان الاتصاف به حقيقة، لكنه ليس له تحقق خارجي.[1]

أما القدم في المخلوقات فالمراد به (القدم الزمني) أي: الذي ينشئه طول المدة، إذ القديم من المخلوقات ما توالت على وجوده الأزمنة، فيقال:

---

(١) انظر عون المريد (١/ ٢٨٣)، والبيجوري (٨٨).

....

الشرح

كتاب قديم، وبيت قديم، وكما في قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴾ {يس: ٣٩}، والعرجون هو العدق اليابس، فالقدم -في حق الحادث- طول مدة الوجود، وقد حدد الفقهاء طول مدة الوجود بسنة، فلا يقال قديم لمن لم يمكث سنة، وعليه لو قال سيدٌ: القديم من عبيدي حر.. عُتِقَ من مضت عليه سنة وهو في ملكه.

والقدم بهذا المعنى محال في حقه تعالى؛ لأن وجوده تعالى ليس وجوداً زمنياً، ولا للزمان نسبة إلى وجوده البتة، إذ الوجود الزماني من صفات المُحْدَث، ثم أن الله تعالى هو خالق الزمان.

وهناك نوع ثالث للقدم وهو: القدم الإضافي كقدم الأب بالنسبة للإبن، فيتحصل من هذا أن **القدم ثلاثة أقسام**:

١) قدم ذاتي: وهو صفة المولى تعالى في علاه.

٢) قدم زماني: وهو طول المدة ويطلق في حق الحوادث.

٣) قدم إضافي.[١]

مسألة:

هل القديم هو الأزلي؟

---

(١) انظر تحفة المريد (٦٥).

....

الشرح

الجواب: أن لأهل العلم في ذلك ثلاثة أقوال وهي:

١) أنهما مترادفان: بمعنى أن كلاً منهما هو ما لا أول له، سواء كان وجودياً، كذات الله تعالى وصفاته الوجودية –أي: صفات الذات–، أو عدمياً، كالصفات السلبية، وكعدمنا في الأزل، أو كان ثبوتياً كالصفات المعنوية. فعلى هذا كلٌّ من الذات والصفات مطلقاً يوصف بالقدم والأزلية.

٢) أن القديم: هو الموجود الذي لا ابتدأ لوجوده، والأزلي: هو ما لا أول له، عدمياً كان أو وجودياً، نسبة إلى الأزل، فكل قديم أزلي ، ولا العكس، ويكون القديم أخص من الأزلي، فهو الموجود الذي لا أول لوجوده، والأزلي هو الأمر الذي لا أول له، وجودياً كان أو عدمياً، أي: لا أول لوجود أو لا أول لعدم.

وعلى هذا فالصفات السلبية لا توصف بالقدم وتوصف بالأزلية؛ لأنها صفات عدمية، أي: تنفي عن الله ما لا يليق به، بخلاف الذات العلية والصفات الثبوتية فإنها توصف بالقدم والأزلية.

....

الشرح

٣) أن القديم هو: القائم بنفسه الذي لا أول لوجوده، والأزلي: هو ما لا أول له عدمياً، أو وجودياً قائماً بنفسه أو بغيره.

وعلى هذا فإن الصفات مطلقاً لا توصف بالقدم، وتوصف بالأزلية؛ لأنها قائمة بالذات لا بنفسها، بخلاف الذات العلية فإنها توصف بالقدم والأزلية معاً.

أما الأعدام الأزلية كالصفات.. فيقال لها الأزلية، ولا يقال لها قديمة.

ومثال الأعدام الأزلية: فلان ولادته سنة كذا، وقبل ولادته لم يكن موجوداً أي: كان معدوماً، فعدمه ليس له أول، فيقال: أنه عدم أزلي، ولا يقال أنه عدم قديم بناءً على هذا القول الثالث، وهو قول السعد.

فائدة:

قال في عون المريد: (يستحيل أن يلحق القدم تغيّر، أو زوال، أما الأزلي الذي ليس بقديم .. فبخلاف – أي: يلحقه التغير – كعدم الحوادث السابق المنقطع لوجودها) اهـ.[1]

(١) انظر عون المريد (١/ ٢٩٢).

والدليل على ذلك عقلاً: أنه لو لم يكن قديماً.. للزم افتقاره إلى محدث، وذلك مستحيل.

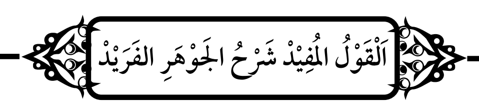
ونقلاً: قوله تعالى ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ﴾.

الشرح

(**والدليل على ذلك**) أي: عل صفة القدم (**عقلاً: أنه لو لم يكن قديماً.. للزم افتقاره إلى محدث**) يحدثه ويوجده (**وذلك مستحيل**) في حقه تعالى.

(و)دليل القدم (**نقلاً: قوله تعالى ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ﴾** {الحديد: ٣})، وقوله ﷺ: ((**اللهمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ**)) أخرجه مسلم وأحمد.

❁ ❁ ❁



الدرس السادس
في معنى البقاء في حق الله تعالى ومخالفته للحوادث
والدليل على ذلك

معنى البقاء في حق الله عز وجل هو انتفاء العدم اللاحق لوجوده؛ لأن وجوده تعالى لا آخر له.

والدليل على ذلك عقلاً: أنه لو أمكن أن يلحقه العدم.. لانتفى عنه القدم؛ وذلك محال.


الشرح

الدرس السادس
في معنى البقاء في حق الله تعالى ومخالفته للحوادث
والدليل على ذلك

(**معنى البقاء في حق الله عز وجل هو انتفاء العدم اللاحق لوجوده**) تعالى، إذ أن وجوده تعالى لا يلحقه عدم، بمعنى عدم الآخرية لوجوده، أو عدم اختتام الوجود ذاتاً وصفاتاً؛ (**لأن وجوده تعالى لا آخر له**).قال صاحب الجوهرة:

وواجب له الوجود والقدم   كذا بقاء لا يشاب بالعدم

(**والدليل على ذلك عقلاً: أنه لو أمكن أن يلحقه العدم**) أي: لو جاز له العدم (**لانتفى عنه القدم؛ وذلك محال**) كما بيّنَّا ذلك في صفة القدم.

قال صاحب الجوهرة:

ونقلاً: قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾.

الشرح

وكل ما جاز عليه العدمُ عليه قطعاً يستحيل القِدَمُ

(و) دليل ذلك (**نقلاً: قوله تعالى** ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ ﴾ {الحديد: ٣}، **وقوله تعالى** ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ {الرحمن: ٢٧})

تنبيه:

عدمنا نحن في الأزل لا أول له، فكنا معدومين، ولا أول لهذا العدم، وله آخر عندما وُجِدنا، والمخلوقات لها أول في وجودها ولها آخر، أما نعيم الجنة وعذاب النار.. فلهما أول ولا آخر لهما، فإن دوام نعيم أهل الجنة واستمرار عذاب أهل النار أبد الآبدين.. مما عُلِم من الدين بالضرورة، والأدلة على ذلك في الكتاب والسنة كثيرة، فكلٌ من نعيم الجنة وعذاب النارً باقٍ؛ لكن شرعاً لا عقلاً؛ لأن العقل يجوِّز عدمها.[1]

وقد كفر الجهمية القائلين بفناء الجنة والنار وأهلهما؛ لمخالفتهم الكتاب والسنة.

أما الحق تعالى في علاه.. فلا أول له ولا آخر كما تقدم.

(١) انظر البيجوري (٨٩)، وعون المريد (١/ ٢٩٢).

ومعنى مخالفته للحوادث: أنه تعالى ليس مماثلاً لشيء منها لا في الذات، ولا في الصفات، ولا في الأفعال، ....

الشرح

فيتلخص من ذلك أربعة أقسام، وهي:

١- أن الله تعالى لا أول له ولا آخر.

٢- أن عدمنا في الأزل لا أول له وله آخر.

٣- أن المخلوقات لها أول وآخر.

٤- نعيم الجنة وعذاب النار لهما أول، وليس لهما آخر.

مخالفته للحوادث:

(**ومعنى مخالفته للحوادث: أنه تعالى ليس مماثلاً لشيء منها لا في الذات، ولا في الصفات، ولا في الأفعال**) فليس كذاته ذات ، ولا كصفاته صفات، ولا كفعله فعلٌ، فهو مخالف للحوادث التي يلحقها العدم، ومعنى المخالفة لِما ذُكر هو: عبارة عن سلب الجرمية والعرضية والكلية والجزئية ولوازمها عنه تعالى.

فلازم الجرمية: التحيّز؛ لأن كل جرم يشغل حيّزاً من الفراغ.

ولازم العرضية: القيام بالغير؛ لأن العرض هو ما يقوم بغيره.

ولازم الكلية: الكِبَر.

ولازم الجزئية: الصغر.

ولا مثيل له في ذلكوالدليل على ذلك عقلاً: أنه لو كان مماثله شيءٌ منها.. لكان حادثاً، والحادث لا يكون إلهاً؛ تعالى الله عن ذلك علواً ....

الشرح

وإنما وجب له تعالى سلب الجرمية والعرضية والكلية والجزئية؛ لأن الحوادث إما: جواهر، أو أعراض تقوم بالغير، أو أزمنة، أو أمكنة، أو جهات، أو حدود، ولا شيء منها بواجب الوجود؛ لما ثبت لها من الحدوث، واستحالة القدم عليها. (١)

فالحق تعالى في علاه لا مثيل له في الذات والصفات والأفعال، ولا نظير (**ولا مثيل له في ذلك**).

والمثيل: هو المساوي في جميع الوجوه.

والشبيه: هو المساوي في أغلب الوجوه.

والنظير: هو المساوي في بعض الوجوه.

وكل ذلك منفي عنه سبحانه وتعالى، كما تقدم.

(**والدليل على ذلك**) أي: على مخالفته للحوادث (**عقلاً: أنه لو كان مماثله شيءٌ منها.. لكان**) سبحانه وتعالى (**حادثاً، والحادث لا يكون إلهاً**)؛ لأنه أي: الحادث يفتقر إلى موجد يوجده، (**تعالى الله عن ذلك علواً**

(١) انظر شرح الصاوي (١٤٩).

كبيراً، ونقلاً: قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾

الشرح

كبيراً، و) دليل ذلك (نقلاً: قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ {الشورى: ١١}).

قال صاحب الجوهرة:

وأنه لما ينال العدم   مخالف برهان هذا القدم

أي: دليل مخالفته سبحانه للحوادث هو دليل القدم؛ وذلك بأنه لو لم يكن مخالفاً لها لكان مماثلاً، ولو كان مماثلاً لها لكان حادث، وقد سبق ثبوت قدمه تعالى.

تنبيه:

قد يوجد عند البعض إشكال في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ {الشورى: ١١} ، وهو أن الكاف بمعنى مثل، فيصير المعنى (ليس مثل مثله شيء)، فالمنفي حينئذٍ يكون مثل المثل، لا المثل، فتوهم الآية حينئذٍ وجود المثل.

وأجيب عن ذلك بأجوبة:

أولها: أن المقصود من الآية نفي مثل ذاته تعالى لا نفي مثل مثله، أي: أن المثل بمعنى الذات، ودخلت عليها الكاف على هذا التقدير، فأصبح

....

الشرح

المعنى:(ليس كذاته شيء).

ثانيها: أن الكاف زائدة لغير توكيد.

ثالثها: أن الكاف صلة، أي: زائدة لتأكيد نفي المثل، فالمعنى:(انتفى المثل انتفاءً مؤكداً).

رابعها: أن الكاف أدَّى المقصود أصالة وهو نفي الشبيه، وأدى المقصود إلى التدليل على النفي، كما تقول:(مثل فلان لا يكذب)، فأنت لم ترد شخصاً آخر يماثل المذكور، مبرأً من نقصة الكذب، بل أردت تبرئة المذكور.

خامسها: أن الكاف من باب الكناية، وفيها طريقان:

الأول: أنها من باب قولك:((مثلك لا يبخل)) بمعنى أنت لا تبخل، وهذا على طريق العرب من أنهم إذ قصدوا سَلب أوصاف الذم أو النقص عن أحدٍ لا يسندونها إليه تأدباً وتشريفاً، فلذا كان قولك للكريم:((مثلك لا يبخل)) أحسن من قولك:((أنت لا تبخل))؛ لأن فيه إيهام اتصافه بالبخل ثم سلبه عنه، فقولوه تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ {الشورى: ١١} .. أحسن من قول:(ليس كالله شيء)، أو (ليس مثله شيء).

....

الشرح

الطريق الثاني: أنه يلزم من نفي مثل المثل نفي المثل؛ لأن مثل المثل لازم للمثل؛ لأنهما متماثلان، وبإثبات المثل أو نفيه يثبت أو ينتفي المماثل أيضاً، ونفي اللازم يدل على نفي الملزوم، ولأنه لو فُرض وجود المثل لكان الله مثلاً لذلك المثل، وهو لا يصح نفيه لوجوب وجوده، وقد دلت الآية على نفي مثل المثل، فلزم من ذلك نفي المثل، وهذا هو المراد، فالقصد نفي مثله تعالى بأبلغ وجه، إذ الكناية أبلغ من التصريح لتضمنها إثبات الشيء بدليل.

وسادسها: أي: سادس الأجوبة على هذه الشبهة: أن مثل بمعنى المَثَل بفتحتين: أي: الصفة.

وسابعها: أنه بمعنى نفس نحو: ﴿ فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ ﴾ {البقرة: ١٣٧}، أي: بنفس ما آمنتم به.[(١)]

مسألة:

يجب على المكلف شرعاً أن يعتقد أن الله تعالى ليس كمثله شيء، ومن ذلك أنه تعالى ليس بجسم؛ لأنه لو كان جسماً لكان مُؤَلَفاً، والمؤَلَفُ أكثر من شيء، قال النسفي في شرح العمدة: ((الجسم اسم مركب))، وهو سبحانه

---

(١) انظر شرح الصاوي (١٦١-١٦٢)، وعون المريد (١/ ٢٩٩).

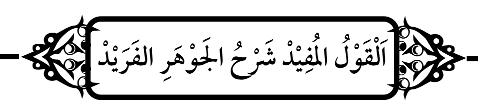
....

الشرح

واحد أحد؛ ولأن كل جسم مؤلف من جواهر، وكل جوهر متحيز، وكل متحيز لا يخلوا عن أن يكون – في متحيزه- ساكنا أو متحركاً، وكلا الحركة والسكون حادثان، والجوهر يستحيل خلوّه عن الافتراق والاجتماع والهيئة والمقدار، وهذه أوصاف الحدوث، وما لا يخلوا عن الحوادث فلا يسبقها، أي: لا يسبق الحوادث، إذا لو سبقها لكان عارياً عنها، وما لا يسبق الحوادث فهو حادث، إذاً: فالجواهر حادثة وبالتالي فالأجسام التي تتألف من الجواهر حادثة، وهو سبحانه وتعالى ليس بعرض؛ لأن العرض لا يقوم بنفسه، ولابد له من محل يقوم به، ولا يصح بقاؤه، وهو سبحانه قائم بنفس، لم يزل موجوداً، ولا يقبل العدم، قال الإمام الغزالي في الاقتصاد في الاعتقاد:((العرض ما يحتاج إلى جسم في تقومه)) اهـ.[١]



(١)انظر عون المريد (١/ ٢٩٥-٢٩٦).



الدرس السابع

في معنى قيامه تعالى بنفسه والدليل على ذلك

معنى قيامه بنفسه: هو عبارة عن استغنائه تعالى عمن سواه، وعدم احتياجه إلى ما عداه، فلا يفتقر إلى محل، أي: ذات سوى ذاته، ....


الشرح

الدرس السابع

في معنى قيامه تعالى بنفسه والدليل على ذلك

(**معنى قيامه بنفسه: هو عبارة عن استغنائه تعالى عمن سواه، وعدم احتياجه إلى ما عداه، فلا يفتقر إلى محل**) ومعنى المحل هنا (**أي: ذات سوى ذاته**)، لا بمعنى المكان؛ لأن نفي ذلك عُلم من مخالفته للحوادث، أي: عُلم من إثبات صفة مخالفته للحوادث.. أنه لا يفتقر إلى مكان؛ لأن الحواد ث تفتقر إلى مكان كما تقدم حيث أثبتنا سلب الجرمية والعرضية والكلية والجزئية ولوازمها.

۞ معنى الباء والنفس في قولنا (بنفسه):

أختلف أهل العلم في معنى الباء في قولنا (بنفسه) إلى أقوال وهي:

١) أنها للآلة: وهو قول للسكتاني، ونحوه للشيخ يحيى الشاوي، وزاد الشيخ يحيى: بأن فائدة ذلك تظهر في المقابل، أي: قيامه بنفسه لا بغيره، فالمعنى أن الغير ليس آلة في قيامه تعالى، فهو نظير ما سبق في

....

الشرح

وجوده تعالى لذاته لا لعلة، وبذلك يتخلص من إساءة الأدب، لو جُعلت نفسه آلة.

٢) أن الباء للسببية، وهو أولى؛ لأن الآلة واسطة الفعل، كقطعت بالسكين، ولا تناسب هنا.

٣) أنها للتعدية، وهو لا يناسب أيضاً؛ لأن مجرور الباء التي للتعدية يكون مفعولاً به معنى كـ﴿ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ ﴾ {البقرة: ١٧}.

٤) أن الباء بمعنى (في)، وهو قول الشيخ أحمد بن عبدالفتاح الملَّوي حيث اقتصر عليه في حاشيته، فهي للظرفية المجازية، فالمعنى قيامه في نفسه ليس باعتبار شيء آخر معه. قال الشيخ الصاوي في شرحه على الجوهرة:((وهو أقرب)) أي: هذا القول.[1]

أما النفس فالمراد بها (الذات)؛ لأن النفس لها عدة إطلاقات منها:

١) الذات، كما هنا.

٢) الدم، كما في قولهم: (ما لا نفس له سائلة لا ينجس) أي: لا

(١) انظر الصاوي على الجوهرة (١٥١).

....

الشرح

دم له.

٣) الأَنَفَة، كما في قولهم:(فلان ذو نفس).

٤) العقوبة، قيل ومنه قوله تعالى ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥ ﴾ {آل عمران: ٢٨}، أي: عقوبته.

والحق أنه يجوز إطلاق النفس على ذات الله تعالى من غير مشاكلة كما في قوله تعالى:﴿ كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَ ﴾ {الأنعام: ٥٤}، وقوله تعالى: ﴿ وَٱصۡطَنَعۡتُكَ لِنَفۡسِي ﴾ {طه: ٤١}، خلافاً لمن زعم أنها لا تطلق عليه إلا مشاكلة، كما في قوله تعالى :﴿ تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَ ﴾ {المائدة: ١١٦}.

والمشاكلة لغةً: المماثلة.

واصطلاحاً: ذكر الشيء بلفظ غيره، لوقوعه في صحبته تحقيقاً أو تقديراً.

فمثال التحقيقي:قوله تعالى: ﴿ تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَ ﴾ {المائدة: ١١٦}، وقوله تعالى:﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ

ولا إلى مخصص أي: فاعل يخصصه بالوجود

الشرح

ٱلْمَـٰكِرِينَ ﴾ {آل عمران: ٥٤}، فإن إطلاق النفس والمكر في جانب البارئ تعالى إنما هو المشاكلة.

ومثال التقديري: قوله تعالى: ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ﴾ {البقرة: ١٣٨}، أي: تطهير الله؛ لأن الإيمان يطهر النفوس.[1]

قال في (عون المريد): ((الصحيح جواز إطلاق النفس على ذات الله تعالى، باعتبار مأخذه من (النفيس)؛ لأنه سبحانه أنفس الأشياء وأعزها، قال تعالى: ﴿ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ﴾ {المائدة: ١١٦}.

أما النفس باعتبار مأخذه من (النفس) فلا يصح إطلاقه على الله)) اهـ.[2]

(**ولا**) يفتقر المولى تعالى (**إلى مخصص أي: فاعل يخصصه**[3] **بالوجود**)، فمعنى أنه تعالى لا يحتاج على مخصص: أي: أنه لا يحتاج إلى موجد يوجده، وهذا وإن كان يستغنى عنه بصفة القدم أي: أنه يعرف

(١) انظر عقود الجمان (١١٠-١١١).

(٢) عون المريد (١/ ٣٠٩).

(٣) في المخطوط (فاعل مخصصه) ولعلعه تصحيف.

....

الشرح

بإثبات صفة القدم المتقدمة؛ إلا أنه لابد من ذكره بالتفصيل هنا؛ لأنه لا يكتفي في علم التوحيد بدلالة الالتزام، فلا يقال أن القدم يستلزم أنه تعالى لا يفتقر إلى موجد يوجده، فلا داعي لذكره هنا، كما أن خطر الجهل بالعقائد شديد، فاحتاج إلى التفصيل.

فيتلخص من ذلك أن معنى القيام بالنفس شيئان:

عدم افتقاره تعالى إلى المخصص كما ذكرنا ، وعدم افتقاره إلى المحل ، فأما عدم افتقاره إلى المحل.. فيراد به عدم افتقاره لذات يقوم بها، لا عدم افتقاره إلى مكان؛ لأنه منفي في حقه تعالى بصفة المخالفة للحوادث، كما تقدم.

فائدة:

مما تقدم.. علم أنه سبحانه وتعالى مستغنٍ عن المحل والمخصص معاً، أما صفاته .. فهي مستغنية عن المخصص، وقائمة بذاته تعالى، ولا يعبر عنها بالافتقار إلى الذات؛ لما فيه من الإيهام بأنه تعالى يفتقر إلى غيره.

وذوات الحوادث مفتقرة إلى المخصص، وصفاتها مفتقرة إلى الذات والمخصص معاً.

والدليل على ذلك عقلا: أنه لو احتاج إلى محل .. لكان صفة؛ وهو محال.

ولو احتاج إلى مخصص.. لكان حادث، وذلك محال.

ونقلاً: قوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ {فاطر: ١٥}.

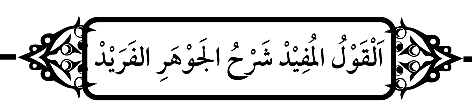
الشرح

(**والدليل على ذلك عقلا: أنه لو احتاج إلى محل .. لكان صفة**) ولو كان صفة لما اتصف بصفات المعاني والمعنوية، (**وهو محال**)؛ لأنها واجبة القيام به تعالى، وإذا بطل كونه صفة.. بطل افتقاره إلى المحل، وثبت عدم الإفتقار.

(**ولو احتاج إلى مخصص.. لكان حادث؛ وذلك محال**) حيث سبق وجوب وجوده وقدمه وبقائه ذاتاً وصفاتاً.

(و) دليل قيامه بنفسه (**نقلاً: قوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ {فاطر: ١٥}**).



الدرس الثامن

في معنى الوحدانية في حقه تعالى والدليل على ذلك

ومعنى الوحدانية في حقه تعالى.. أنه سبحانه وتعالى لا ثاني له في الذات، ولا الصفات ، ولا الأفعال، ولا مشابهة له في ذلك، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.


الشرح

الدرس الثامن

في معنى الوحدانية في حقه تعالى والدليل على ذلك

(ومعنى الوحدانية في حقه تعالى.. أنه سبحانه وتعالى لا ثاني له في الذات، ولا الصفات ، ولا الأفعال)، بل (ولا) حتى **(مشابهة له في ذلك، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً)**.

ومبحث صفة الوحدانية لله.. هو أشرف المباحث؛ لذا سمي هذا العلم بـ(علم التوحيد) إذ هو المقصود من هذا الفن.

واعلم أنه لما ثبت أنه لا خالق سوى الله تعالى.. لزم أنه لا يستحق العبادة غيره، إذ أن توحيد الربوبية وتوحيد الإلوهية -أي: استحقاق العبادة- متلازمان عرفاً وشرعاً، فالقول بأحدهما قول بالآخر، والإشراك في أحدهما إشراك في الآخر.

فمن اعتقد أنه لا رب، ولا خالق إلا الله تعالى.. لم يرَ مستحقاً للعبادة

....

الشرح

إلا هو سبحانه.

ومن اعتقد أنه لا يستحق العبادة غيره سبحانه وتعالى.. كان ذلك بناء منه على أنه لا رب إلا الله.

ومن أشرك مع الله غيره في العبادة كان لا محالة قائلاً بربوبية هذا الغير، هذا ما لا يُعرف في الناس سواه، فإن من لا تعتقد له الربوبية.. استحالة أن يُتخذ معبوداً، لهذا نجد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يكتفون بالدعوة إلى التوحيد لأحدهما: الربوبية والإلوهية، ويصفون كلاً منهما موضع الآخر.[1]

الحاصل:

أنه يلزم من توحيد الإلوهية توحيد الربوبية، دون العكس في القضية لقوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ {لقمان: ٢٥}، وقوله حكاية عنهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ {الزمر: ٣}.

أما تقسيم التوحيد إلى ربوبية وإلوهية وأسماء وصفات بحيث يجعل كل واحد منهم منقسم عن الآخر.. فهذا من البدع في الدين لم ينزل الله بها من

---

(١) انظر عون المريد (١/ ٣١٠)، والبيجوري (٩٧).

ومعنى الوحدانية في الذات: أنها ليست مركبة من أجزاء متعددة.


الشرح

سلطان.

والمراد بصفة الوحدانية هنا: وحدة الذات والصفات والأفعال.

(**ومعنى الوحدانية في الذات: أنها ليست مركبة من أجزاء متعددة**)، إذ الشيء المركب من أجزاء يكون(الكل) فيه محتاجاً إلى أجزائه، ويكون كل جزء منها محتاجاً إلى أن تنضم إليه بقية الأجزاء، ولابد من حضورها معه، فإنه لا يقال عن كل عنصر من عناصر المركب وحده (كل)، فنفي التركيب نفي الاحتياج كذلك، وقد تقدم في صفة المخالفة للحوادث أنه عبارة عن سلب الكلية، ولازمها(الكبر)، والجزئية ولازمها (الصغر) وكل سمات الحدوث.

قال تعالى: ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴾ {البقرة: ١٦٣}، وقال تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ {الإخلاص: ١}، فبالآية الأولى انتفى التعدد، وانتفى أن يكون هناك (واحد) مثله سبحانه وتعالى، لكن هذه الآية لم تنفِ أن يكون مركباً، إذ قد يكون الشيء واحداً ومركباً، فجاء قوله في الآية الثانية ﴿ أَحَدٌ ﴾ إشارة إلى كونه تعالى في ذاته وماهيته منزهاً عن التركيب، فبقوله تعالى: ﴿ أَحَدٌ ﴾ .. نفى عن ذاته أنواع

ومعنى الوحدانية في الصفات: أنه سبحانه وتعالى ليس له صفتان فأكثر من جنس واحد كقدرتين.

الشرح

الكثرة، وأبطل قول النصارى في التثليث، فإنهم أي: النصارى جعلوا الله تعالى مركباً من ثلاثة، حيث زعموا أنه مكوّن من أقانيم: الأب والابن والروح، والمراد بالأقنوم هو الصفة التي هي ظهور الشئ وبروزه وتجليه لغيره وليست الصفة غير الموصوف، وهو الجوهر والشخص، وزعموا أن هذه الثلاثة واحدة وهو الله تعالى، فأبطل الله زعمهم بإثبات (الأحدية)، وحكم عليهم بالكفر فقال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ {المائدة: ٧٣}.

ووحدة الذات تنفي عن الله تعالى كمين وهما:

١- الكم المتصل في الذات: وهو تركيبها من أجزاء.

٢- الكم المنفصل في الذات: وهو تعدد الذات، فهو سبحانه وتعالى من حيث الذات أحدي، فلا تركيب، وواحدي، فلا تعدد.

(**ومعنى الوحدانية في الصفات: أنه سبحانه وتعالى ليس له صفتان فأكثر من جنس واحد**)، أي: عدم تعددها (**كقدرتين**)، أو إرادتين، ولا يوجد لأحد صفة تشبه صفته، قال صاحب الجوهرة:

ووحدة أوجب لها ومثل ذي إرادة والعلم لكن عم ذي

....

الشرح

أي: أوجب وحدة للصفة فليست متعددة من جنس.

فوحدة الصفات تنفي عن الله تعالى كمين كذلك، وهما:

١- الكم المتصل في الصفات: وهو التعدد في صفات الله من جنس واحد، فليس له قدرتان، ولا إرادتان، ولا حياتات، ولا علمان؛ بل هي قدرة واحدة، وإرادة واحدة، وحياة واحدة، وعلم واحد، وكذلك بقية الصفات؛ لأن الصفات معانٍ، والمعاني لا تتعدد.

٢- الكم المنفصل في الصفات: وهو أن يكون لغير الله تعالى صفة تشبه صفة الله تعال، كأن يكون لمخلوق قدرة تشبه قدرة الله، أو إرادة تشبه إرادة الله تعالى.

تنبيه:

ربما رد بعضهم مسألة (الكم المتصل) بحجة أن الكم المتصل يَنْصَبُ أصلاً على شيء ذي أجزاء، وهذا المعنى لا يتضح في الصفات.

فالجواب: أن العلماء نزَّلوا كون الصفات قائمة بذات واحدة منزلة التركيب، لا التركيب نفسه؛ لأنه في حقه تعالى مستحيل.[1]

---

(١) انظر عون المريد (١/ ٣١٢).

ومعنى الوحدانية في الأفعال.. ليس لغيره معه فعل، وهو الفاعل المختار

الشرح

(**ومعنى الوحدانية في الأفعال.. ليس لغيره معه فعل**) أو تأثير في فعل من الأفعال، (**وهو**) سبحانه (**الفاعل المختار**) لفعله، وهو الذي يخلق أفعال العباد، قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ {الصافات: ٩٦}، وقال تعالى: ﴿ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ {البروج: ١٦}.

وهذا يسمى عند العارفين (بوحدة الأفعال)، فلا شيء يؤثر بطبعه أو بقوةٍ فيه؛ بل هذا أمر باطل، وقد ظهر في القضية أربع فرق:

الأولى: تقول أن الشيء يؤثر بطبعه، كأن يعتقد أن الأسباب العادية كالنار والسكين والأكل والشرب تؤثر في مسبباتها كالحرق والقطع والشبع والري، أي: يعتقد أن النار ترحق بطبعها وذاتها، وكذلك السكين تقطع، والأكل يشبع، والشرب يروي، كل ذلك بطبعه وذاته، ومعتقد ذلك كافر بالإجماع.[1]

الثانية: تقول أن السكين تقطع والنار تحرق بقوة خلقها الله فيها، وفي كفر معتقد ذلك قولان، الأصح أنه ليس بكافر بل هو فاسق مبتدع.[2]

الثالثة: تقول إن الله هو المؤثر، ولكنهم جعلوا بين الأسباب

(١) انظر البيجوري (١٩٧).

(٢) انظر البيجوري (١٩٧).

....

الشرح

ومسبباتها تلازماً عقلياً بحيث لا يصح تخلفها، فمعتقد ذلك جاهل، وربما جرَّه ذلك إلى الكفر والعياذ بالله.

الرابعة: تقول أن المؤثر هو الله تعالى، ولكنهم جعلوا بين الأسباب ومسبباتها تلازماً عادياً، بحيث يصح تخلفها، **فهذا هو اعتقاد أهل الإيمان من أهل التوحيد.**

وللعبد في الأفعال وجه اكتساب كما ذهب إلى ذلك أهل السنة والجماعة، فليس العبد مختاراً اختياراً كلياً لكل ما يفعله، وليس هو مستقلاً عن الله، كما قال المعتزلة، ولا هو كالدُّمية ليس له وجه اختيار، كما قال الجبرية، بل جعل الله له وجه اختيار، وهو أي: الاختيار بقدرته سبحانه وتعالى وإرادته، وليس العبد هو الخالق لهذا الاختيار، فصار بهذا الخالق الحقيقي للأشياء هو الله، حتى وجه الاكتساب في العبد هو من الله سبحانه وتعالى ولو شاء لسلبه إياه فصارت حركته دون اختياره كمن ترتعش يده لمرض به فإنها تتحرك دون اختيار.

مذهب أهل السنة والجماعة في هذه المسألة:

مذهب أهل السنة والجماعة إلى أن أفعال العبد الاختيارية واقعة بقدرة الله تعالى وحدها، وليس لقدرة العبد تأثير فيها؛ بل الله تعالى أجرى

....

الشرح

عادته بأن يُوجِد في العبد قدرة واختيارا، فإن لم يكن تمّ مانع أوجد فيه فعله المذكور مقارناً لهذه القدرة وهذا الاختيار اللذَين أوجدهما الله تعالى فيه، فيكون فعل العبد –على هذا– مخلوقاً لله تعالى إبداعاً وإحداثاً، ومكسوباً للعبد.

والمراد بكسب العبد:

هو مقارنة وجود الفعل بقدرته واختياره، من غير أن يكون ثمة تأثير منه أو مدخل في وجوده سوى أنه أي: العبد كان محلاً لظهور الفعل.[1]

ويتبين لنا –كما ذكر الإمام الغزالي– الفرق بين حركة العبد التي خلت عن كسبه واختياره وبين ما فيها كسب له في مثال بسيط يُرد به على من يقول أن العبد مجبور كلياً، وهو:

أن الإنسان المصاب برعشة في يده لمرض، أو كبير السن الذي ترتعش يده.. لا يستطيع إيقافها، فهي حركة لا اختيار له فيها مطلقاً، بخلاف تحريكها من السليم فالفرق واضح بين الاثنين.

قال صاحب الجوهرة:

وعندنا للعبد كسب كُلِّفا ولم يكن مؤثراً فلتعرفا

(١) انظر البيجوري (١٩٨).

....

الشرح

فلــيس مجبــوراً ولا اختيــارا وليس كــلاً يفعــل اختيــارا

ووحدة الأفعال تنفي عن الله تعالى الكم المنفصل في الأفعال فقط وهو: أن يكون لغير الله تعالى فعل من الأفعال على وجه الخلق والإيجاد، فلا خالق إلا الله، وحيث يُنسب فعل لغير الله يُنسب على وجه الكسب والاختيار.

ويتبين لنا هذا المعنى في قوله تعالى ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ {الأنفال: ١٧}، أي: وما رميت يا محمد خلقاً وإيجاداً، إذ رميت تسبباً واكتساباً، ولكن الله رمى خلقاً وإيجاداً.

وأما الكم المتصل في الأفعال.. فإن فُسِر (بتعدد الأفعال) فهو ثابت لله تعالى، لا يصح نفيه؛ لأن ما في الكون من خلق ورزق وإحياء وإماتة لا يكاد يحصى، وهو فعله تعالى.

وإن فُسِر الكم المتصل (بمشاركة غير الله لله سبحانه) في فعل من الأفعال.. فهو –لا شك– منفي بوحدانية الأفعال.[1]

---

(١) انظر عون المريد (١/ ٣١٣).

....

الشرح

والخلاصة:

أن صفة الوحدانية نفت كموما خمسة، والمراد بالكم هنا التعدد، وهذه الكموم هي:

١) الكم المتصل في الذات: وهو التركيب فيها.

٢) الكم المنفصل في الذات: وهو التعدد والنظير.[١]

٣) الكم المتصل في الصفات: وهو التعدد في صفات الله تعالى من جنس واحد، والتركيب فيها.

٤) الكم المنفصل في الصفات: وهو أن يكون لغير الله صفة تشبه صفته تعالى.

٥) الكم المنفصل في الأفعال: وهو المشاركة له فيها.

وأما الكم المتصل في الأفعال فإنه لا ينفى فيها كما تقدم التفصيل فيه، وهذا على مختار الإمام الأشعري من أن صفات الأفعال حادثة؛ لأنها عنده عبارة عن: تعلقات القدرة التنجيزية الحادثة، والتنجيز هو الإيجاد أو الإعدام بالفعل، فالتعلق التنجيزي للأفعال عند الأشاعرة حادث.

---

(١) انظر شرح الصاوي (١٥٤)، وهداية المريد (٣١)، وعون المريد (١/ ٣١٢).

....

الشرح

مثال ذلك: إذا أراد الله تعالى إيجاد أحدنا من الأزل، فما أراده نفذه بقدرته، فقدرته أنجزت وجود هذا الشخص، فإنجاز هذا الفعل حادث، كما سنذكره إن شاء الله عند (صفة القدرة).

وأما الماتريدية: فصفات الأفعال عندهم قديمة، إذ هي عبارة عن: صفة التكوين القديمة ، فعلى هذا يكون عندهم الكمان منفيان أيضاً، وهما الكم المنفصل في الأفعال والكم المتصل فيها.[1]

تنبيه:

القرآن من أوله إلى آخره مبين للتوحيد وصفة الوحدانية، فإن القرآن إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله؛ فهو التوحيد العلمي الخبري، وإما دعوة إلى عبادته وحده؛ وترك وخلع ما يُعبد من دونه؛ فهو التوحيد الإرادي الطلبي، وإما أمر ونهي وإلزام بطاعته؛ فهذا من حقوق التوحيد ومكملاته، وإما إخبار منه تعالى عن إكرامه لأهل التوحيد في الدنيا والآخرة؛ فهو جزاء توحيده، وإما إخبار عن أهل الشرك وما يقع لهم في الدنيا من النكال، وفي الآخرة من العقاب؛ فهو جزاء من خرج عن حكم

(١) انظر شرح الصاوي (١٥٥)، والبيجوري (١٤٥).

والدليل على ذلك عقلاً: أنه لو كان متعدداً لم يُوجِد شيئاً من هذه المخلوقات

الشرح

التوحيد، فجميع ما في القرآن توحيد.[1]

فائدة:

لم يكفر بالوحدانية إلا بعض الإنس فقط، أما الجن.. فلا يعتقدون الشرك بالله سبحانه، وليس معنى ذلك أنه لا يوجد فيهم كافر، فذلك مخالف للنصوص، وإنما الكفر فيهم بغير الشرك.[2]

(والدليل على ذلك) أي: على أن الله واحد في ذاته وصفاته وأفعاله **(عقلاً: أنه لو كان متعدداً لم يُوجِد شيئاً من هذه المخلوقات)** فوجود الأشياء بهذا النظام العجيب.. مبطل للتعدد؛ لأنه لو كانا إلهين.. فإما أن يتفقا أو يختلفا، فإن اتفقا.. فلا يمكن أن يوجدا الشيء معاً؛ لأن معنى ذلك ورود مؤثرين معاً على أثر واحد، وهذا محال؛ لأنه لا يجتمع مؤثران معاً، كمطرقة الحداد فإنهما لا يقعان معاً في مكان واحد، ولا يمكن أيضاً لهذين الإلهين أن يوجداه مرتباً؛ لأنه إن أوجده الأول فالثاني لا محل له، فكيف يوجد ما هو موجود؟، ولا يمكن كذلك أن يختص أحدهما ببعضه والآخر

---

(١) انظر عون المريد (١/ ٣١١).

(٢) انظر هداية المريد (٣١)، وشرح الصاوي (١٥٣).

ونقلاً: قوله تعالى: ﴿ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ ﴾.

و﴿ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾{الكهف: ١١٠}.

الشرح

ببعضه الآخر؛ لأنه إذا تعلقت قدرة الأول بشيء فمعناه انسداد الطريق أمام قدرة الثاني للتعلق به، وهذا عجز يقضي بأنه ليس إله.

وإن اختلفا، بأن أراد أحدهما إيجاد العالم مثلاً، وأراد الآخر إعدامه.. فلا يمكن أن ينفذ مرادهما معاً؛ لأنه يترتب على ذلك اجتماع الضدين، وهو محال، ولا يمكن أن ينفذ مرادُ أحدهما دون الآخر؛ لأن ذلك يعني عجز الذي لم ينفذ مراده، وهو بالتالي ليس بإله، إنما الذي نفذ مراده هو الإله.

فثبت بذلك بطلان التعدد، وإذا بطل التعدد ثبتت الوحدانية.

قال صاحب الجوهرة:

قيامه بالنفس وحدانية منزَّهاً أوصافه سنيَّهْ
عن ضد أو شبهٍ شريكٍ مطلقا ووالدٍ كذا الولد والأصدقا

(و) دليل ذلك (**نقلاً: قوله تعالى** ﴿ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ ﴾ {الكهف: ١١٠}، و) قوله تعالى:(﴿ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ {الأنبياء: ٢٢})، واعلم أن (إلا) في هذه الآية الكريمة هي صفة لآلهة بمعنى (غير)، فهي اسمٌ؛ لكن لم يظهر إعرابها إلا فيما بعدها لكونها على صورة الحرف، ولا يجوز أن تكون (إلا) هنا أداة استثناء، لا من جهة المعنى ولا من جهة اللفظ.

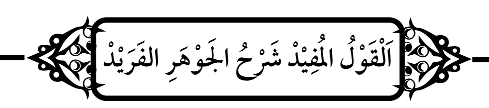
....

الشرح

أما من جهة المعنى: فلأنه يلزم من ذلك نفي التوحيد، إذ التقدير (لو كان فيهما آلهة ليس فيهم الله لفسدتا)، فيقتضي بمفهومه أنه لو كان فيهما الله لم تفسد، وهو باطل، إذ معنى هذا الكلام أن الله ليس فيهم ولهذا فسدت، ومعناه كذلك إثبات آلهة مع الله.

وأما من جهة اللفظ: فلأن المستثنى منه يُشترط أن يكون عاماً، وآلهةٌ جمع مُنكّر في الإثبات، فلا عموم له، فلا يصح استثناء منه.





الدرس التاسع

في معنى القدرة والإرادة في حقه عز وجل

ومعنى القدرة في حقه عز وجل هي: صفة قديمة قائمة بذاته تعالى يتأتى بها إيجاد كل ممكن وإعدامه..


الشرح

الدرس التاسع

في معنى القدرة والإرادة في حقه عز وجل

لما تكلم المصنف رحمه الله تعالى ونفعنا الله به عن صفة النفسية، والصفات السلبية.. شرع في الحديث عن صفات المعاني، وبدأ رحمه الله بصفة القدرة لظهور تأثيرها، فقال:

(**ومعنى القدرة في حقه عز وجل**) لغةً هي: القوة و الاستطاعة.

واصطلاحاً (**هي: صفة قديمة قائمة بذاته تعالى يتأتى بها إيجاد كل ممكن وإعدامه**)، وهذا التعريف مع سائر التعاريف المذكورة للصفات لا تتناول الحقيقة؛ لأنه لا يعلم كنه ذاته وصفاته إلا هو سبحانه، وإنما هذه رسوم،[1] والمراد بكلمة (رسوم).. القسم الثاني من التعريفات في علم المنطق التي هي عند أهل المنطق ثلاثة أقسا م:(الحد، والرسم، والتعريف باللفظ)، فأما الحد: فهو تعريف الجنس.

---

(١) انظر البيجوري (١٠٥)، وعون المريد (١/ ٣٢٤)، وهداية المريد (٣٤).

....

الشرح

وأما الرسم: فهو التعريف بالآثار، كتعريف الإنسان بالحيوان الناطق.

وأما التعريف باللفظ: فهو إبدال اللفظ بلفظٍ مرادف له أشهر منه، كتعريف الغضنفر بالأسد.

وللقدرة تعلقات سبعة، أشار المصنف رحمه الله تعالى في التعريف إلى واحد منها بقوله ((يتأتى بها)) وهي:

١) تعلق صلوحي قديم: ومعنى التعلق الصلوحي: هو صلاحيتها في الأزل للإيجاد والإعدام، فمهمتها أي: القدرة الإيجاد والإعدام للمكنات كما تقدم، وكما سيأتي بيانه أكثر إن شاء الله تعالى.

وبقية التلعقات الستة هي:

٢) تعلق قبضة: وهو تعلقها بعدمنا فيما لا يزال قبل وجودنا، بمعنى أن الله تعالى إن شاء قطع ذلك العدم بقدرته وأبدله بالوجود، وإن شاء أبقى ذلك العدم بقدرته، وكذلك إن شاء أبقى استمرار الوجود، أو إن شاء قطعه.

٣) تعلق بالفعل: وهو تعلقها بإيجادنا بالفعل بعد العدم السابق.

٤) تعلق قبضة: وهو تعلقها باستمرار الوجود بعد العدم.

....

الشرح

٥) تعلق بالفعل: وهو تعلقها بإعدامنا بالفعل بعد وجودنا.

٦) تعلق قبضة: وهو تعلقها باستمرار العدم بعد الوجود.

٧) تعلقها بالفعل: وهو تعلقها بإيجادنا بالفعل حين البعث يوم القيامة.

والتعلق هو: طلب الصفة أمراً زائداً على قيامها بالذات، أي: اقتضائها واستلزامها، وهذا حقيقة في التعلق بالفعل، وهو التنجيزي، أي: إنجازه بمعنى حدوثه في الوقت الذي أراده الله.

وأما إطلاق التعلق على صلاحية الصفة – في الأزل – لشيء، أو على كون الشيء في القبضة.. فمجاز؛ لأنه ليس تعلقاً حقيقة.[1]

وقيل: أن التعلق هو: من مواقف العقول، فلا يعلمه إلا الله، والتحقيق هو التعريف الأول.[2]

(١) انظر عون المريد (١/ ٣٢٥).

(٢) انظر البيجوري (١٠٦)، وعون المريد (١/ ٣٢٥).

....

الشرح

والتعلق لا يكون إلا لصفات المعاني فقط،[1] ومن هنا نفهم أن التعلق التنجيزي للقدرة حادث وليس بقديم؛ لأنها تتعلق بحدوث الفعل في الوقت والزمن الذي أراده الله، فتعلقها بحدوثها أي: بالإنجاز حادث؛ لأن وقوع الفعل حادث، كما تقدم.

ومعنى تعلق القبضة: أن الممكن في قبضة القدرة، فإن شاء الله تعالى أبقاه على عدمه، وإن شاء أوجده، وإن شاء أعدمه.

وأما العدم الأزلي.. فلا تتعلق به القدرة اتفاقاً؛ لأنه واجب لا جائز، وإلا لجاز وجودنا في الأزل، وهذا باطل؛ لما يلزم عليه من تعدد ذوات القدماء.

فتعلق القدرة في وجود الممكنات أمر متفق عليه، وأما في عدمه الطارئ بعد الوجود.. فمختلف فيه على قولين وهما:

الأول: أنها تتعلق به تعلق تأثير، فإن شاء الله أبقاه بقدرته، وإن شاء قطعه وأبدله بالعدم بقدرته، وهو قول الأقل من أهل العلم كالقاضي الباقلاني.

---

(١) انظر هداية المريد (٤٤).

....

الشرح

الثاني: أنها لا تتعلق بإعدامنا بعد وجودنا؛ بل إذا أراد الله عدم الممكن قطع عنه الإمداد، فينعدم بنفسه، كالفتيلة إذا ما انقطع عنها الزيت انطفأت بنفسها.

والقدرة لا تتعلق بالواجب ولا بالمستحيل كما تقدم؛لأن تعلقها كما تقدم تعلق إيجاد أو إعدام، فأنها إن تعلقت بالواجب.. فإما لتوجده، وهو موجود أصلاً؛ لأنه واجب الوجود، وإما لتعدمه، وهو لا يقبل العدم؛ ولأنها إن تعلقت بالمستحيل فإما لتوجده، وهو لا يقبل الوجود بحال، أو لتعدمه، وهو معدوم أصلاً.

وقد ذكرنا أن البعض قد يثير شبهة ولا بأس بإعادة ذكرها وبيان بطلانها هنا لمزيد إيضاح، وهي:

أن عدم تعلق القدرة بالواجب والمستحيل يعدُّ عجزاً، والجواب هو:

أن عدم تعلق القدرة بالواجب والمستحيل إنما كان لأنهما خارجان عن وظيفتها، وهي الإيجاد والإعدام، وليس ذلك عجزاً إذ أن العجز إنما يكون إذا كان المتعلق من وظائف القدرة .

وهنا نضرب مثلاً بسيطاً لتقريب الفهم، وهو:

على وفق الإرادة، والدليل على ذلك عقلاً: أنه لو لو كان عاجزاً لم يوجد شيئاً من هذه المخلوقات، ونقلاً: قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٞ﴾.

الشرح

أن وظيفة العين الإبصار، فهي تبصر، ولكنها لا تسمع، فهل يُعدُّ نقصا فيها إن لم تسمع الصوت؟، وكذلك الأذن تسمع ولا تبصر، فهل يُعدُّ عجزاً إن لم ترَ الأذن؟، إذا ليس بعجز أن لا تسمع العين؛ لأن السمع خارج عن وظيفتها، ولا يعد عجزاً إن لم ترَ الأذن؛ إذ الإبصار خارج عن وظيفتها، ولله المثل الأعلى.

والقدرة إنما توجد الممكن وتعدمه (**على وفق الإرادة**)، أي: أن ما خصصه تعالى بإرادته أبرزته القدرة، فالإرادة سابقة على القدرة كما سيظهر لنا إن شاء الله تعالى عند ذكر الإرادة قريباً.

(**والدليل على ذلك عقلاً:**) أي: على صفة القدرة (**أنه لو**) لم يتصف بالقدرة لاتصف بضدها وهو العجز، و(**لو كان عاجزاً لم يوجد شيئاً من هذه المخلوقات**) كيف وقد ظهرت؟، فظهورها منافٍ للعجز، وبانتفائه تثبت القدرة.

(و) دليل القدرة (**نقلاً: قوله تعالى:** ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٞ﴾ {البقرة: ٢٠}).

والمراد بالممكن: ما ليس بواجب للوجود، ولا العدم.

الشرح

(**والمراد بالممكن**) كما بيّنا: (**ما ليس بواجب للوجود، ولا**) بواجب (**العدم**).

وقدرته تعالى واحدة غير متعددة كما بينا ذلك في صفة الوحدانية؛ لأن تعددها يقتضي لزوم اجتماع مؤثرين على أثر واحد في نفس الوقت، وهذا لا يقبله عقل ولا نقل، ومثلها بقية الصفات كما تقدم.

فائدة:

القدرة لا تنتهي عند طائفة من الممكنات، كأن تتعلق بهذه الطائفة دون غيرها، بل هي عامة التعلق بجميعها، لا يخرج عنها أي ممكن.

وكذلك متعلقات القدرة لا تنتهي إلى حد، ولا إلى نهاية في جانب المستقبل، أي: بما يخص المستقبل، إذ منها نعيم الجنان وعذاب النيران، وكلاهما متجدد أبدي، أما ما وجد من متعلقات في الخارج أي: عن هذين الشيئين كنعيم الدنيا وعمر المخلوقات فيها.. فهو متناهٍ؛ لأن كل ما حصره الوجود من الممكنات فهو متناهٍ.[1]

قال صاحب الجوهر:

فقدرةٌ بممكن تعلقت بلا تناهي ما به تعلقت

(١) انظر عون المريد (١/ ٤١٥)، والبيجوري (١٣٦)، وهداية المريد (٤٥).

ومعنى الإرادة في حقه عز وجل هي: صفة قديمة قائمة بذاته تعالى، يخصص بها الممكن ببعض ما يجوز عليه، كالغنى بدلاً عن الفقر، والعلم بدلاً عن الجهل.

الشرح

الإرادة:

(**ومعنى الإرادة في حقه عز وجل**) لغةً: مطلق القصد.

وعرفاً (**هي: صفة قديمة قائمة بذاته تعالى، يخصص بها الممكن ببعض ما يجوز عليه**) على وفق العلم.

ومما يجوز على الممكن: الوجود والعدم، وكونه في زمن مضى- أو في زمن حاضر أو في زمن مستقبل، و (**كالغنى بدلاً عن الفقر، والعلم بدلاً عن الجهل**) والعكس.

وللإرادة تعلقان وهما:

١) تعلق صلوحي قديم: وهو صلاحية الصفة أزلاً للتخصيص، إذ لا مكره لها ولا مانع.

٢) تعلق تنجزي قديم: وهو وقع التخصيص بالفعل أزلاً، وثبوتها وفق العلم، فالحق سبحانه وتعالى قد خصص الأشياء الممكنة – أزلا- بما ستكون عليه، من أوصاف وأمكنة وأزمنة وغيرها، واختار لها بعض ما يجوز عليها ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ﴾ {القصص: ٦٨} .

....

الشرح

فتعلق الإرادة بالممكن تعلق تخصيص أي: تخصيص ما سيكون عليه، على تلعق العلم الكاشف كما سيأتي إن شاء الله تعالى، وكلا التعلقين أزلي، فلا سبق بين التعلقين، مع تغاير نوعي التعلق، فتعلق الإرادة تعلق تخصيص، وتعلق العلم تعلق انكشاف، وأن ما علم الله أن لا يكون لم تتعلق به الإرادة ليكون، قال تعالى ﴿ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴾ {الأنفال: ٢٣} ، فلم يكن الإسماع؛ لأنه ما علم فيهم خيراً، وبالتالي ما أراده؛ لأنه لو أراده لكان، والله علم أنه لا يكون.[١]

وتعلق الإرادة سابق على تلعق القدرة؛ لأن الإرادة تخصص، والقدرة توجد أو تعدم ما خصصته الإرادة، فتعلق القدرة تالياً لتعلق الإرادة وتوقفها عليها، وقد قدم المصنف رحمه الله ذكر القدرة على الإرادة لأن تأثير القدرة في الممكن أظهر من تأثير الإرادة، إذ أن إبراز الممكن إلى ساحة الوجود دليل على القدرة، والتعلق التنجيزي للإرادة تعلقاً أزلياً، فيكون سابقاً على تعلق القدرة التنجيزي لكونه حادثاً، كما تقدم.

---

(١) انظر عون المريد (١/ ٣٤١).

....

الشرح

والإرادة كالقدرة لا تتعلق بالواجب ولا بالمستحيل؛ إذ هي مخصصة للقدرة ، ولكنها تتعلق بالممكن الذي يشمل الخير والشر، والنفع والضر، خلافاً للمعتزلة الذين قالوا أنها مقتصرة على الخير والنفع فقط.

قال صاحب الجوهرة:

وجائز عليه خلق الشر — والخير كالاسلام وجهل الكفر

ومثل الشرور الأمور الخسيسة، فالأصح فيها الجواز في مقام التعليم وعلى هذا لا يقال: الله خالق القردة والخنازير إلا في مقام التعليم،[1] تقديراً لعموم تعلق القدرة والإرادة، أي: أن ذلك داخل في عموم تعلقات القدرة والإرادة.

قال في عون المريد:((ومن الأدب الجم ما قاله بعضهم في هذا الشأن، قال: من سألنا عن الشرور – بلفظ الحوادث – قلنا: إن الله تعالى أراد حدوث جميع الحوادث، وهذه منها، ولا نقول أدباً: إنه – عز وجل – أراد الشرور، وهذا الأدب فرع من غصن أدب الجن النضير المزهر حين قالوا: بعد ما لمسوا السماء فوجودها قد ملئت حرساً شديداً وشهباً ﴿ وَأَنَّا لَا نَدۡرِيٓ

---

(١) انظر البيجوري (١٠٩).

....

الشرح

أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴾ {الجن: ١٠}، فمع ذكر (الشر) بُني الفعل للمجهول تحاشياً من أن يقولوا (أشرا أراد الله بمن في الأرض)، وحين ذُكر (الرشد) بُني للمعلوم، وأسند لله تعالى حيث قالوا: ﴿ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴾ .

وعن الغلامين اليتيمين قال: ﴿ فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا ﴾ {الكهف: ٨٢}، وقد قال من جميع ما بدر منه ﴿ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ﴾ {الكهف: ٨٢}، وعلى هذا المنهج الكريم جرى قوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ {آل عمران: ٢٦})). اهـ[1]

أما قوله صلى الله عليه وسلم:((**وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ**)) أخرجه مسلم.. فقد قال الإمام النووي في الأذكار:((وأما قوله صلى الله عليه وسلم :((**وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ**))..فاعلم أن مذهب أهل الحق من المحدثين والفقهاء والمتكلمين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من علماء المسلمين أن جميع الكائنات

---

(١) عون المريد (١/ ٣٤٥-٣٤٦).

....

الشرح

خيرها وشرها ، نفعها وضرها كلها من الله سبحانه وتعالى ، وبإرادته وتقديره ، وإذا ثبت هذا فلابد من تأويل هذا الحديث ، فذكر العلماء فيه أجوبة : أحدها وهو أشهرها قاله النضر بن شميل والأئمة بعده : معناه : والشر لا يتقرب به إليك ، والثاني : لا يصعد إليك ، إنما يصعد الكلم الطيب ، والثالث : لا يضاف إليك أدبا ، فلا يقال : يا خالق الشر وإن كان خالقه ، كما لا يقال : يا خالق الخنازير وإن كان خالقها ، والرابع : ليس شرا بالنسبة إلى حكمتك ، فإنك لا تخلق شيئا عبثا)) اهـ.[1]

وقد يقع للإنسان مكروه فيما يظن؛ بينما وقوعه منع عنه ما هو شر منه فكان وقوعه لحكمة حيث تسبب في منع ما هو أعظم منه، فلا يكون حينئذٍ شر.

۞ وهل المعاصي تقع بإرادته سبحانه وتعالى؟

مذهب السلف وأئمة الأمة أن الله تعالى خالق كل شيء ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ {الصافات: ٩٦}، وما شاء الله كان، وما لم يشاء لم يكن، فلا يخرج ممكن عن تعلق إرادته، خلافاً للمعتزلة الذين قصروا الإرادة على الخير والنفع والطاعة، وجعلوا المعاصي والشرور كلها حادثة بغير إرادته، وقالوا: هو كاره لها، فإن قصدوا كراهية عقلية أي: أكثر مما يريد.. فلا نسلم

---

(١) الأذكار (طبعة دار الشرق العربي) (٤٩).

....

الشرح

لهم في ذلك لمخالفة النصوص؛ ولأن ذلك يقتضي أن يحصل في الكون شيء دون إرادته؛ بل غصباً عنه، وهذا أمر شنيع، وهذا هو مقصودهم في الكراهة.

وأما الكراهة الشرعية التي هي النهي عن المعاصي والآثام.. فهو مما أجمع عليه المسلمون قاطبة، فالله لا يرضى لعباده الكفر، ولا يأمر بالفحشاء ولا بالذنوب، وإن كان هذا كله واقع بإرادته، لكنه سبحانه وتعالى لا يحبه ولا يرضاه، بل يبغضه ويذم أهله، ويعاقب عليه.

فإن قال قائل: لِما يعاقب على الذنب وقد وقع بإرادته؟

فالجواب: أن الله سبحانه وتعالى لم يجعل الإنسان مجبوراً في جميع أموره، ولا مختاراً لجميع أموره، بل جعل له جزء اختيار يسمى بالكسب كما تقدم، فالإنسان لا يخلق أفعاله ولا يختارها جميعاً؛ بل له جزء اختيار، ويثبت ذلك بقوله تعالى ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ {التكوير: ٢٩}، فهذا يثبت وجود اختيار للإنسان؛ لأن الله تعالى أسند المشيئة إلى الإنسان بالفعل ﴿تَشَآءُونَ﴾، ويثبت كذلك إطلاق مشيئة الله تعالى وعموم تعلقها.

والإنسان يشعر من نفسه بأن له إرادة جزئية يختار بها بين الأشياء المطروحة له في ساحة التكليف الواسعة، والتكليف بحد ذاته دليل على

....

الشرح

وجود جزء اختيار لدى الإنسان؛ وإلا لم يكن له معنى، ويشعر الإنسان كذلك أن له قدرة يبلغ بها ما اختاره وأراده، سواء كان معصية أو طاعة، خيراً أو شراً، قال تعالى ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ {الكهف: ٢٩}، فبهذه الجزئية من الاختيار يكون عليها العقاب ولها الثواب.

وقد تقدم كلام قال صاحب الجوهرة:

وعندنا للعبد كسب كُلِّفا ... ولم يكن مؤثراً فلتعرفا
فليس مجبوراً ولا اختيارا ... وليس كلاً يفعل اختيارا

مسألة:

الإرادة غير الأمر، بمعنى أن الإرادة ليست عين الأمر، ولا مستلزمة له، والدليل على ذلك:

أن الله تعالى قد (يريد ويأمر)، فتلتقي الإرادة والأمر، كإيمان من علم الله منهم الإيمان، فأنه تعالى أرد منهم الإيمان وأمرهم به.

وقد (يريد ولا يأمر)، كالكفر الواقع ممن علم الله أنهم لا يؤمنون، وكالمعاصي ممن علم الله تعال أنهم يقعون فيها، فإنه أراد ذلك؛ لأنه علم أزلاً أنهم سيكفرون، لكنه لم يأمر به.

....

الشرح

وقد (يأمر ولا يريد)، كإيمان من علم منهم الكفر، وإنما أمرهم بالإيمان مع أنه لم يُرده منهم ليظهر في عالم الحكمة والعمل ما علمه الله أزلاً، فيكون الحساب على ما ظهر منهم لا على ما علمه فيهم، قال تعالى ﴿ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ﴾ {الأنفال: ٢٣} ، وكذلك أمر الله سيدنا إبراهيم أن يذبح ابنه إسماعيل ولم يُرِدْ ذلك.

وقد (لا يأمر ولا يريد)، ككفر من علم منهم الإيمان، فإنه تعالى لم يُرِدْهُ منهم، ولم يأمرهم به.

والإرادة كذلك غير العلم أي: أنها ليست عين العلم، ولا مستلزمة له؛ لأن العلم يتعلق بالواجب والمستحيل والجائز -كما سيأتي إن شاء الله تعالى-، أما الإرادة فإنها تتعلق بالجائز فقط، كما تقدم.

والإرادة كذلك غير الرضا الذي هو قبول الشيء والإثابة عليه؛ لأن الإرادة قد تتعلق بما لا يرضى به الله تعالى (كالكفر الواقع من الكفار)، فإنه تعال أراده ولا يرضى به، وهذا ثابت بالعقل.

قال صاحب الجوهرة:

وقـــــدرة إرادة وغـــــايرت أمــراً وعلـماً والرضـا كـما ثبـت

والدليل على ذلك عقلاً: أنه لو كان مُكْرَهاً.. لكان عاجزاً، وكونه عاجزاً محال، ونقلاً: قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾

الشرح

وهل الإرادة هي المشيئة؟

مذهب الجمهور اتحاد المشيئة والإرادة وأنه يطلق أحدهما على الآخر، فكل ما يشاؤه الله تعال فهو – من حيث أنه مشاء له – مراد له، وكل ما يريده فهو – من حيث أنه مراد له – مشاء له.(١)

ثم ذكر المصنف رحمه الله ونفعنا به دليل الإرادة عقلاً ونقلاً، فقال:

(**والدليل على ذلك عقلاً: أنه لو كان**) الله تعالى (**مُكْرَهاً.. لكان عاجزاً، وكونه عاجزاً**) أمر (**محال**)؛ لأن ذلك نقصٌ، والحق سبحانه وتعالى منزه عن النقص.

(و) دليل الإرادة (**نقلاً: قوله تعالى ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾** {البقرة: ١٨٥}) وقوله تعالى ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ {البروج: ١٦}، وقوله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ {المائدة: ١}، وقوله تعالى ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يُرِيدُ﴾ {الحج: ١٦}.

---

(١) انظر البيجوري (١٣٠).

الدرس العاشر

في معنى العلم والحياة في حقه عز وجل

معنى العلم في حقه عز وجل هو: صفة قديمة قائمة بذاته تعالى، ينكشف بها كل المعلومات انكشافاً تاماً من غير سبق خفاء.


الشرح

الدرس العاشر

في معنى العلم والحياة في حقه عز وجل

(**معنى العلم في حقه عز وجل هو: صفة قديمة**) أزلية (**قائمة بذاته تعالى،**) متعلقةٌ بجميع الواجبات والجائزات والمستحيلات، (**ينكشف بها كل المعلومات انكشافاً تاماً**) على وجه الإحاطة على ما هي (**من غير سبق خفاء**).

فتعلق صفة العلم تعلق انكشاف تامٍ من غير سبق خفاء بجميع الواجبات والجائزات والمستحيلات.

وتعلق العلم تعلق تنجيزي قديم، فيعلم الله تعالى الأشياء أزلاً على ما هي عليه، إجمالاً وتفصيلاً، وكونها وجدت في الماضي أو موجودة في الحال، أو ستوجد في المستقبل، فهي أطوار من المعلومات لا توجب تغيّراً في تعلق العلم، فالمتغيّر إنما هو صفة المعلوم، لا تعلق العلم.

....

الشرح

وليس لصفة العلم تعلق صلوحي قديم، ولا تنجيزي حادث، وإلا لزم الجهل؛ لأن من كان صالحاً لأن يعلم ليس بعالم حينئذٍ، والتنجيزي الحادث قبل أن يتعلق سَبَقَهُ جهل.[1]

وعلمه تعالى ليس بمكتسب، ولا يجوز شرعاً وعقلاً أن يطلق أو يعتقد أن علمه تعالى مكتسب ؛ لاستحالته، ولأن العلم الكسبي في العرف هو: العلم الحاصل عن النظر والاستدلال، كقولنا: العالم متغيّر، وكل متغير حادث، إذاً ينتج عن ذلك (أن العالم حادث)، وهذه النتيجة وصلنا إليها عن طريق النظر والاستدلال، فهي علم مكتسب.

وقيل أن العلم الكسبي هو: ما تعلقت به القدرة التنجيزية الحادثة، فيشمل العالم الحادث بالأبصار أو الشم أو غيرها من الحواس، وعلى كلا التعريفين لا يقال لعلم الله تعالى كسبي؛ لأنه يلزم من ذلك قيام الحوادث به تعالى، ويلزم أيضاً سبق الجهل في حقه، وهذا محال.

قال صاحب الجوهر:

وعلمه ولا يقال مكتسب فاتبع سبيل لحق واطرح الريب

ويتضح الفرق بين علمه تعالى وبين علمنا فيما يأتي:

(١) انظر عون المريد (١/ ٣٥٣)، والبيجوري (١١١).

....

الشرح

١- أن علمنا مكتسب، وعلم الله تعال ليس بالمكتسب.

٢- أن علمنا يسبقه خفاء، وليس علم الله مسبوق بخفاء.

٣- أن علمنا بالأشياء محدود أي: لا نحيط بكل شيء، وعلمه تعالى محيط بكل شيء.

٤- أن علمنا معرض للنسيان، ولا كذلك علم الله، قال تعالى ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ {مريم: ٦٤}.

٥- علمنا قد يخطئ، ولا كذلك علم الله تعالى

وعلمه تعالى لا تتناهى تعلقاته، و هو علم واحد بإجماع من يعتد بإجماعه كبقية الصفات التي لا تتعدد من جنس واحد كما تقدم، ولم يذهب أحدٌ إلى تعدد علم الله تعالى بعدد المعلومات إلا أبا سهيل الصعلوكي.[1]

فعلمه تعالى واحد وهي صفة متعلقة بالواجبات والمستحيلات والجائزات، أي: أن تعلقها أعم من تعلق القدرة والإرادة.

قال صاحب الجوهرة:

ووحدة أوجب لها ومثل ذي   إرادة والعلم لكن عمّ ذي
وعم أيضاً واجباً والممتنع   ....

---

(١) انظر البيجوري (١٣٨).

والدليل على ذلك عقلاً: أنه لو لم يكن عالماً.. لكان جاهلاً، وكونه جاهلاً محال، ونقلاً: قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ {الأنفال: ٧٥}.

الشرح

(**والدليل على ذلك**) أي: على صفة العلم (**عقلاً: أنه لو لم يكن عالماً.. لكان جاهلاً، وكونه جاهلاً محال**)، وأنه تعالى فاعل فعلاً متقناً محكماً بالقصد والاختيار، وكل من كان كذلك يجب له العلم.

(و) الدليل على صفة العلم (**نقلاً: قوله تعالى**) في أكثر من موضع في القرآن (﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ {الأنفال: ٧٥}).

ولربما قال قائلٌ: هذا كله دليل على علمه بالجائزات، فأين الدليل على علمه بالواجبات والمستحيلات؟

أجيب: بأن دليل ذلك هو دليل عدم افتقاره تعالى لمخصص؛ لأنه لو لم يعلم الواجبات والمستحيلات.. لكان محتاجاً إلى من يكمّله، ويلزم أن يكون حادثاً، فيفتقر للمخصص، وقد قام الدليل على عدم افتقاره للمخصص.[1]

(١) انظر عون المريد (١/ ٣٥٥).

ومعنى الحياة في حقه عز وجل هي: صفة قديمة قائمة بذاته تعالى تخصص لمن قامت به الإدراكَ.

الشرح

الحياة:

(**ومعنى الحياة في حقه عز وجل هي: صفة قديمة قائمة بذاته تعالى تخصص لمن قامت به الإدراكَ**) بفتح الكاف، وهذا التعريف هو تعريف الإمام السنوسي، وهو يشمل الحياة القديمة والحادثة.

ومعنى(تخصص لمن قامت به الإدراك) أي: تصحح لمن قامت به أن يتصف بصفات الإدراك، أي: القدرة والإرادة والعلم، إذ الحياة شرط فيهما، لاستحالة وجود هذه الصفات دون صفة الحياة.

وبعضهم عرف الحياة القديمة فقال: هي صفة أزلية تقتضي صحة الإتصاف بالعلم وبغيره من الصفات الواجبة.[1]

أما في حقنا نحن البشر فقد ينتفي العلم مع وجود الحياة، كما في المجنون.

وحياة الله تعالى لذاته، فهي ليست بروح، وحياتنا بسبب الروح، وحياتنا يسبقها عدم، بخلاف حياته تعالى.

---

(١) انظر البيجوري (١١٣).

والدليل على ذلك عقلاً: أنه لو لم يكن حياً.. لكان ميتاً، وكونه ميتاً محال، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، ونقلاً: قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾.

الشرح

وصفة الحياة لا تتعلق بشيء لا موجود ولا معدوم، فليست هي من الصفات المتعلقة؛ لأنها صفة أزلية مصححة لمن قامت به أن يتصف بصفات المعاني والمعنوية، فهي شرط في الجميع، ولا تقتضي أمراً زائداً غير حصول معناها لمن قامت به (وهو الذات).[1]

قال صاحب الجوهرة:

ثم الحياة ما بشيء تعلقت ....

(**والدليل على ذلك**) أي: على صفة الحياة (**عقلاً: أنه لو لم يكن حياً.. لكان ميتاً، وكونه ميتاً محال، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً،** و) الدليل على صفة الحياة (**نقلاً: قوله تعالى﴿ هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ {غافر: ٦٥}**).

❁ ❁ ❁

(١) انظر هداية المريد (٤٦)، وعون المريد (١/ ٤٣١).

الدرس الحادي عشر

في معنى السمع والبصر في حقه تعالى

ومعنى السمع في حقه عز وجل هي: صفة قديمة قائمة بذاته تعالى ينكشف بها كل الموجودات انكشافاً تاماً من غير سبق خفاء.


الشرح

الدرس الحادي عشر

في معنى السمع والبصر في حقه تعالى

(**ومعنى السمع في حقه عز وجل هي: صفة**) وجودية (**قديمة قائمة بذاته تعالى ينكشف بها كل الموجودات انكشافاً تاماً من غير سبق خفاء**)، وإلى هذا ذهب السنوسي، وقال السعد: يتعلق السمع بالمسموعات، قال البيجوري في كلام السعد هذا:((فإما أن مراده المسموعات في حقه تعالى، وهي الموجودات (الأصوات وغيرها) فيوافق ما تقدم _ أي: قول السنوسي -، أو أن مراده المسموعات في حقنا وهي الأصوات فقط، فيكون مخالفاً للسنوسي ومن تبعه)) اهـ.[1]

والسمع الحادث هو: قوة تُدرك بها الأصوات – عادة – على وجه مخصوص، كأن لا يكون مفرطاً في البعد مثلاً، وقد يدرك السمع الحادث

(١) البيجوري (١١٧).

والدليل على ذلك عقلاً: أنه لو لم يكن متصفاً بالسمع لاتصف بضده وهو نقص والنقص عليه محال، ونقلاً: قوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ {المجادلة: ١}.

الشرح

غير الأصوات، فقد سمع سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام كلام الله القديم، وهو ليس بحرف ولا بصوت كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

ولصفة السمع ثلاثة تعلقات ، وهي:

١) تنجيزي قديم: وهو التعلق بذات الله تعالى وصفاته.

٢) صلوحي قديم: وهو صلاحية التعلق بنا قبل وجودنا.

٣) تنجيزي حادث: وهو التعلق بنا بعد وجودنا.

ومتعلقات صفة السمع غير متناهية، إذ أنها متعلقة بكل موجود كما أسلفنا.

(**والدليل على ذلك**) أي: على صفة السمع (**عقلاً: أنه لو لم يكن متصفاً بالسمع لاتصف بضده وهو نقص والنقص عليه محال**)، فهو المتصف بكل صفات الكمال، (و) الدليل على صفة السمع (**نقلاً: قوله تعالى ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾** {المجادلة: ١})، وقوله تعالى

ومعنى البصر في حقه عز وجل هو: صفة قديمة قائمة بذاته تعالى ينكشف بها كل الموجودات انكشافاً تاماً من غير سبق خفاء.

الشرح

في أكثر من موضع في كتابه ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾ {التوبة: ١٠٣}، وقوله تعالى: ﴿أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ﴾ {طه: ٤٦}.

البصر:

(**ومعنى البصر في حقه عز وجل هو: صفة**) وجودية (**قديمة قائمة بذاته تعالى ينكشف بها كل الموجودات**) الذوات وغيرها (**انكشافاً تاماً من غير سبق خفاء**) فيبصر سبحانه وتعالى جميع الموجودات حتى الأصوات، ولو خفية، وهي طريقة السنوسي ومن تبعه، وقال السعد: تتعلق بالمبصرات، فإما مراده المبصرات في حقه تعالى فيشمل الذوات وغيرها، أو المبصرات في حقنا فيشمل الذوات والألوان فقط؛ لأن **البصر الحادث** هو: قوة تدرك المبصرات في جهة مخصوصة وعلى صفة مخصوصة من عدم البعد البعيد، أو القرب الشديد، وطاقتنا البصرية لم يقدَّر لها عادة أن تتعلق برؤية كل الأشياء القابلة للرؤية، كالملائكة والجن وغيرها، ولو شاء الله أن نرى لرأينا وسمعنا، كما وقع للرسل عليهم الصلاة والسلام، فقد كان عليه الصلاة والسلام يتلقى من جبريل الوحي بمحضر

....

الشرح

من الصحابة دون أن يروا أو يسمعوا.[1]

وعلى هذا فصفتا السمع والبصر تتعلقان بكل موجود يُرى ويُسمع.

قال صاحب الجوهرة:

وكل موجود أنط للسمع به ... كذا البصر إدراكه إن قيل به

وللبصر ثلاث تعلقات، هي نفس تعلقات السمع المار ذكرها.

فائدة:

السمع والبصر غير العلم، فهما صفتان زائدتان على العلم قطعاً، وهذا هو قول أهل السنة والجماعة، وكونه عليماً لا يستغن به عن كونه سميعاً بصيراً، ومن قال أن وصفه بالعلم يغني عن وصفه بالسمع والبصر.. فإن قوله هذا يلزمه أن يسويه سبحانه وتعالى بالأعمى الذي يعلم أن السماء خضراء ولا يراها، والأصم الذي يعلم أن في الناس أصواتاً ولا يسمعها، ونحن نجد الفرق الضروري بين علمنا بالشيء حال غيبته عنا وبين تعلق سمعنا وبصرنا به حال حضوره، ولله المثل الأعلى.

والآيات القرآنية تثبت أن العلم غير السمع والبصر، فمنها قوله تعالى ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ {البقرة: ١٢٧}، وقوله تعالى:

---

(١) انظر عون المريد (١/ ٣٧٦-٣٧٧)، والبيجوري (١١٧).

والدليل على ذلك عقلاً: أنه لو لم يكن بصيراً لاتصف بضده وهو نقص، والنقص عليه محال، و نقلاً: قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ {الشورى: ١١}.

الشرح

﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ {البقرة: ١٣٧}، وقوله تعالى ﴿وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ {الأنعام: ١٣}، ولو كان السمع عين العلم.. لما كان للإخبار بالعليم بعد السميع من فائدة، وحاشا للقرآن أن يأتي بما لا فائدة فيه.[1]

وكذلك صفة الكلام الآتية معنا قريبا إن شاء الله تعالى هي مغايرة للعلم، وإن كانت كلها متعلقة بالواجبات والمستحيلات والجائزات .

قال صاحب الجوهرة بعد ذكر السمع والبصر والكلام:

وغير علم هذه كما ثبت ....

(والدليل على ذلك) أي: على صفة البصر. **(عقلاً: أنه لو لم يكن بصيراً لاتصف بضده وهو)** العمى، والاتصاف بالضد **(نقص، والنقص عليه محال).**

(و) الدليل على صفة البصر. **(نقلاً: قوله تعالى ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ {الشورى: ١١}).**

---

(١) انظر عون المريد (١/ ١٨٠-١٨١).

الدرس الثاني عشر
في معنى الكلام في حقه عز وجل

ومعنى الكلام في حقه عز وجل هو: صفة قديمة قائمة بذاته، ليست بحرف ولا صوت.



الدرس الثاني عشر
في معنى الكلام في حقه عز وجل

(**ومعنى الكلام في حقه عز وجل هو: صفة قديمة قائمة بذاته، ليست بحرف ولا صوت**) منزهة عن التقدم والتأخر والإعراب والبناء، ومنزهة عن السكون النفسي **بأن لا يدبر في نفسه الكلام مع القدرة عليه**، ومنزهة عن الآفة الباطنية **بأن لا يَقْدِر على ذلك** أي: على الكلام، كما في حالة الخرس والطفولية، فهما مانعان من الكلام الظاهري، والآفة الباطنية تمنع من الكلام النفسي والله منزه عنها.[1]

وهذا التعريف.. هو تعريف كلام الله تعالى بمعنى الكلام النفسي- القديم؛ لأن كلام الله تعالى يطلق على الكلام النفسي- القديم، وهو الذي سبق تعريفه.

---

(١) انظر البيجوري (١١٣).

....

الشرح

كما يطلق على الكلام اللفظي بمعنى: أنه خلقه تعالى، وليس لأحد في أصل تركيبه كسب، وعلى هذا المعنى يحمل قول السيدة عائشة:((**ما بين دفتي المصحف كلام الله**))، وكل من أنكر أن ما بين دفتي المصحف كلام الله.. فقد كفر، إلا إذا لم يرد به الكلام النفيس القديم، بل أراد به اللفظ الذي نقرأه؛ لأن اللفظ الذي نقرأه حادث، ومع كونه حادث.. لا يجوز أن يقال: (القرآن حادث) إلا في مقام التعليم؛ لأنه أي: لفظ القرآن يطلق أيضاً على الصفة القائمة بذاته الله، فربما يُتَوَهَّمُ من إطلاق أن (القرآن حادث) أن الصفة القائمة بذاته تعالى حادثة، ولذلك ضُرب الإمام أحمد بن حنبل إمام أهل السنة رضي الله عنه وحبس على أن يقول ذلك فلم يرضَ.[1]

قال صاحب الجوهرة:

ونـــزِّه القـــرآن أي كلامـــه عـــن الحـــدوث واحـــذر انتقامـــه

أما ما ورد في النصوص سواء في القرآن أو في السنة مما يدل ظاهره على حدوث كلام الله، والتي تمسك بها المعتزلة لإثبات حدوث كلام الله.. فهي محمولة على اللفظ المنزَّل على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، أي: على القرآن بمعنى اللفظ ، لا بمعنى الكلام الذي هو المعنى النفسي الأزلي

(١) انظر البيجوري (١١٥).

والدليل على ذلك عقلاً: أنه لو لم يتصف به.. لاتصف بضده، وهو نقص، والنقص عليه محال،

الشرح

القائم بذاته، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾ {القدر: ١}، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ﴾ {الحجر: ٩}، وأما قوله تعالى: ﴿مَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّن رَّبِّهِم مُّحۡدَثٍ إِلَّا ٱسۡتَمَعُوهُ وَهُمۡ يَلۡعَبُونَ﴾ {الأنبياء: ٢}، وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ مُحۡدَثٍ إِلَّا كَانُواْ عَنۡهُ مُعۡرِضِينَ﴾ {الشعراء: ٥}.. فالمراد به محدث النزول، أي: أنه حادث في نزول ألفاظه على قلب النبي صلى الله عليه وسلم.

قال صاحب الجوهرة:

فكل نص للحدوث دلّا ... إحملْ على اللفظ الذي قد دلّا

وكلامه تعالى النفسي القديم القائم بذاته .. عام التعلق بالواجبات والجائزات والمستحيلات، ولا تتناهى متعلقاته، ومتعلق صفة الكلام بالواجبات والجائزات والمستحيلات.. تعلق دلالة.

(**والدليل على ذلك**) أي: على صفة الكلام (**عقلاً: أنه لو لم يتصف به.. لاتصف بضده، وهو**) الخرس، والاتصاف به (**نقص، والنقص عليه محال**).

والدليل على ذلك نقلاً: قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا﴾ {النساء: ١٦٤}.

وتنقسم هذه الصفة إلى خمسة أقسام:

أمر، ونهي، ووعد، ووعيد، وإخبار، فمثال الأمر: ﴿وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ﴾، ومثال الوعد: ﴿وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ

الشرح

(والدليل على ذلك نقلاً: قوله تعالى ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا﴾ {النساء: ١٦٤}).

وفي هذه الآية دليل على كلامه تعالى لسيدنا موسى حيث أنه أسمعه كلامه القديم ولم يكن حادثاً قطعاً.

(و) كلامه تعالى صفة واحدة، لا تعدد فيها، لكن (**تنقسم هذه الصفة إلى خمسة أقسام**) اعتبارية، فمن حيث تعلقه بطلب فعل.. هو (**أمر**، و)من حيث تعلقه بطلب ترك.. فهو (**نهي**، و) من حيث تعلقه بالثواب .. فهو (**وعد**، و) من حيث تعلقه بالعقاب.. فهو (**وعيد**، و) من حيث تعلقه بقصة ونحوها.. فهو (**إخبار**).

ثم ذكر المصنف رحمه الله تعالى أمثلة لهذه الأقسام فقال:

(**فمثال الأمر**: ﴿وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ﴾ {الحج: ٧٧}، **ومثال الوعد**: ﴿وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ

ٱلْمَأْوَىٰ ﴾، ومثال الوعيد: ﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾، ومثال الإخبار: كقصة فرعون ونحوها.

الشرح

ٱلْمَأْوَىٰ ﴾ {النازعات: ٤٠ – ٤١}، **ومثال الوعيد:** ﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾ {النازعات: ٣٧ – ٣٩}، **ومثال الإخبار: كقصة فرعون ونحوها**)، وقد تكرر ذكرها في القرآن الكريم في أكثر من موضع. وتعلق الكلام بالنسبة لغير الأمر والنهي فيما ذكر من الأقسام تنجيزي قديم، وأما بالنسبة لها.. ففيه تفصيل:

١) إن لم يشترط فيها وجود المأمور والمنهي.. فتعلقه تنجزي قديم كذلك؛ اكتفاءً بوجود المأمور والمنهي في علم الله تعالى وتقديره.

٢) إن أُشترط فيهما وجود المأمور والمنهي.. كان التعلق فيهما صلوحياً قبل وجود المأمور والمنهي، وتنجيزياً حادثاً بعد وجودهما.

صفة الإدراك:

أختلف أهل العلم في إثبات صفة الإدراك، وهي في حق الحادث تصور حقيقة الشيء المدرَك، وأما في حقه تعالى – على القول بها – فهي: صفة قديمة قائمة بذاته تعالى تسمى الإدراك، قيل يدرك بها كل موجود، وقيل: يدرك بها الملموسات (كالنعومة)، والمشمومات (كالروائح)،

....

الشرح

والمذوقات (كالحلاوة) من غير اتصال بمحالها التي هي الأجسام ولا تكيف بكيفيتها؛ لأن الاتصال والتكيف إنما هو عادي في حصول الإدراك وقد ينفك.

وذهب أهل العلم في الكلام عن إثبات صفة الإدراك إلى ثلاثة مذاهب، وهي:[١]

الأول:إثباتها، وذهب إلى ذلك الإمام الباقلاني وإمام الحرمين، **ودليلهم هو**:أنها كمال، وكل كمال واجب لله؛ لأنه لو لم يتصف بها لاتصف بضدها، وهو نقص، والنقص عليه محال، فوجب الاتصاف بها من غير اتصال بالأجسام، ومن غير وصول اللذات والآلام له تعالى.

الثاني:نفيها، **ودليلهم هو**: أنه لو اتصف بها للزم الاتصال بمحالها لزوماً عقلياً فلا يتصور انفكاكه، والاتصال مستحيل، فلذا يستحيل الاتصاف بها – وقد تقدم أن المثبت لها قد جعلوه تلازماً عادياً بحيث يمكن انفكاكه –، وردوا أصحاب هذا القول – أي: القول الثاني – على قول المثبتين (أنه لو لم يتصف بها – أي: بصفة الإدراك – لاتصف بغيرها).. بأنها فاسدة؛ لأن العلم الواجب له تعالى ينفي الاتصاف بضدها، فعلمه

(١) انظر البيجوري (١٢١)، وعون المريد (١/ ٣٨٦).

....

الشرح

تعالى محيط بمتعلقاتها، وهو كافٍ منها، كذلك قالوا: أنه لم يرد بهذه الصفة الدليل السمعي.

وهذا الاختلاف بين هذين المذهبين مبني على الاختلاف في دليل الصفات الثلاث: السمع والبصر والكلام، فمن أثبتها بالدليل العقلي، وقال أنها صفات كمال لابد أن يتصف بها وإن لم يتصف بها لاتصف بضدها وهو نقص والنقص محال.. أثبت صفة الإدراك بنفس الإثبات.

ومن أثبت الصفات الثلاث بالدليل السمعي.. نفى صفة الإدراك؛ لأنه لم يرد بها سمع.

قال صاحب الجوهرة:

حياته كذا الكلام السمع ثم البصر بذي أتانا السمع

الثالث: من المذاهب هو: التوقف عن القول بالإثبات أو النفي، وذهب إلى ذلك قوم من المتكلمين كالمقترح، وابن التلمساني وبعض المتأخرين؛ لتعارض الأدلة.

وهذا المذهب الثالث هو الأسلم، وهو أصح من القولين[1]

قال صاحب الجوهرة:

---

(١) انظر البيجوري (١٢٢)، وعون المريد (١/ ٣٨٧).

....

الشرح

فهـل لـه إدراك أو لا خلـف　　وعنـد قـوم صـح فيـه الوقـف

وللإدراك –إن قيل به – ثلاث تعلقات كتعلقات السمع والبصر، فهذه الثلاث متحدة في التعلق مع أنها متعددة، وتعلقها هو تعلق انكشاف، إلا أن كل منها له حقيقة في الانكشاف ليست عين حقيقة غيره، ولا يعلم الحقيقة إلا الله تعالى.

وهذه التلعقات هي:

١. تنجزي قديم: وهو التعلق بذات الله وصفاته.
٢. صلوحي قديم: وهو صلاحية التعلق بنا قبل وجودنا.
٣. تنجيزي حادث: وهو التعلق بنا بعد وجودنا.

والإدراك على القول به يتعلق بكل موجود، وعلى قول آخر أنه يتعلق بالملموسات والمشمومات والمذوقات من غير اتصال بمحالها، كما تقدم.

تتمة:

ولم يتعرض المصنف رحمه الله ونفعنا به إلى الصفات المعنوية؛ لأنها كنتيجة لما قبلها، وقد سميت بالمعنوية نسبة للسبع المعاني؛ لأن الاتصاف بها كالفرع للاتصاف بالمعاني، باعتبار التعقل، لا باعتبار التأخر الزمني.

....

الشرح

والفرق بين المعاني والمعنوية.. أن المعاني صفات وجودية، والمعنوية صفات ثبوتية، بمعنى أن الصفات المعنوية هي عبارة عن: قيام المعاني بالذات، أي: تثبت الصفاتُ المعنوية قيامَ صفات المعاني بالذات، وهذا هو المعتمد، كما تقدم.

فالمعاني ملزمة للمعنوية عقلاً، والمعنوية لازمة للمعاني، بمعنى أنه يلزم من كونه قادراً وعالماً.. أنه موصوف بالقدرة والعلم، كما يلزم من اتصافه بالقدرة والعلم.. كونه قادراً وعالماً، وأن الصفات المعنوية واجبة له تعالى إجماعاً على مذهب أهل السنة والمعتزلة كذلك،[1] وقد تقدم كل ذلك، كما تقدم ذكر حكم من نفى صفات المعاني أو نفى الصفات المعنوية.




(١) انظر البيجوري (١٢٤).

الدرس الثالث عشر
الصفات المستحيلة والجائزة

....


الشرح

الدرس الثالث عشر
الصفات المستحيلة والجائزة

تعرض المصنف رحمه الله ونفعنا الله به إلى الصفات المستحيلة بالرغم من أن إثبات الصفات الواجبة يستلزم نفي ضدها، لكن هذا على طريق القوم من عدم الاكتفاء بدلالة الالتزام ولا بدلالة التضمن، بل مالوا إلى الدلالة المطابقة في العقائد؛ لخطر الجهل في علم التوحيد.

وقد تقدم أن المستحيل هو: ما لا يتصور في العقل وجوده، أو ما لا يقبل الثبوت بحال.

أما الضد لغة: فهو مطلق المنافي سواء كان وجودياً أو عدمياً.

واصطلاحاً: هو ما يشمل أمرين وجوديين بينهما غاية الاختلاف بحيث لا يجتمعان، ويرتفعان بأمر ثالث، كالبياض والسواد.[1]

والمراد بالضد في هذا القسم هو معناه اللغوي، فلا يقتصر على الأمر الوجودي بل يشمل الوجودي والعدمي.

---

(١) انظر عون المريد (١/ ٥٠٧).

الصفات المستحيلة في حق الله عز وجل عشرون صفة، وهي أضداد الصفات الواجبة، وهي:

العدم، والحدوث، والفناء، والمماثلة للحوادث، والاحتياج، والتعدد،و العجز والكراهية، ....

الشرح

و(**الصفات المستحيلة في حق الله عز وجل**) أي: على ذاته (**عشرون صفة، وهي أضداد الصفات الواجبة، وهي:**)

١. (**العدم**)،وهو ضد الوجود.

٢. (و) الثانية (**الحدوث**)، وهي ضد القدم.

٣. (و) الثالثة (**الفناء**)، وهي ضد البقاء.

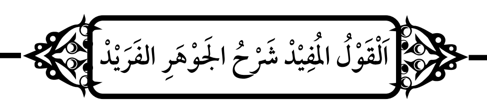
٤. (و) الرابعة (**المماثلة للحوادث**)، وهي ضد المخالفة للحوادث.

٥. (و)الخامسة (**الاحتياج**)، وهي ضد قيامه بنفسه.

٦. (و)السادس (**التعدد**)، وهي ضد الوحدانية، فمن المستحيل أن يكون تعالى متعدد في ذاته أو صفاته أو أفعاله، وقد تقدم في صفة الوحدانية بيان ذلك.

٧. (و)السابعة (**العجز**)، وهي ضد القدرة.

٨. (و)الثامنة (**الكراهية**)، وهي ضد الإرادة، فيستحيل أن يُوجِد اللهُ شيئاً مع الإكراه، أو يعدمه مع الإكراه أو النسيان أو السهو، أو مع التعليل أو مع الطبع.



والجهل، والموت، و الصمم، والعمى، و البكم، وكونه عاجزاً، ومكرهاً، وجاهلاً، وميتاً،وأصم، و أبكم، تعالى الله عن ذلك علوا كبيراً.

الشرح

٩. (و) التاسعة (**الجهل**)، وهي ضد العلم، كما يستحيل في حقه تعالى ما في معنى الجهل كالظن والشك والوهم والنوم.

١٠. (و) العاشرة (**الموت**)، وهي ضد الحياة.

١١. (و) الحادية عشر (**الصمم**)، وهي ضد السمع.

١٢. (و) الثانية عشر (**العمى**)، وهي ضد البصر.

١٣. (و) الثالثة عشر (**البكم**)، وهي ضد الكلام.

١٤. (و) الرابعة عشر (**كونه عاجزاً**)، وهي ضد كونه قادراً.

١٥. (و) الخامسة عشر كونه (**مكرهاً**)، وهي ضد كونه مريداً.

١٦. (و) السادسة عشر كونه (**جاهلاً**)، وهي ضد كونه عالماً.

١٧. (و) السابعة عشرة كونه (**ميتاً**)، وهي ضد كونه حياً.

١٨. (و) الثامنة عشر كونه (**أصم**)، وهي ضد كونه سميعاً.

١٩. (و) التاسعة عشر كونه (**أبكم**)، وهي ضد كونه بصيراً.

٢٠. (و) الصفة العشرون من الصفات المستحيلة في حقه تعالى كونه (**أبكم**) ، وهي ضد كونه متكلماً، (**تعالى الله عن ذلك علوا كبيراً**).

الجائزة في حقه عز وجل.. صفة واحدة وهي: فعل كل ممكن أو تركه، كجعل الشقي سعيداً و عكسه، وإرسال الرسل.

والدليل على ذلك عقلاً: أنه لو وجب عليه سبحانه وتعالى فعل شيء وتركه لصار مكرهاً، وذلك محال.



وإثبات العقائد الواجبة يثبت نفي ضدها فلا نحتاج إلى إثبات هنا.

قال صاحب الجوهرة:

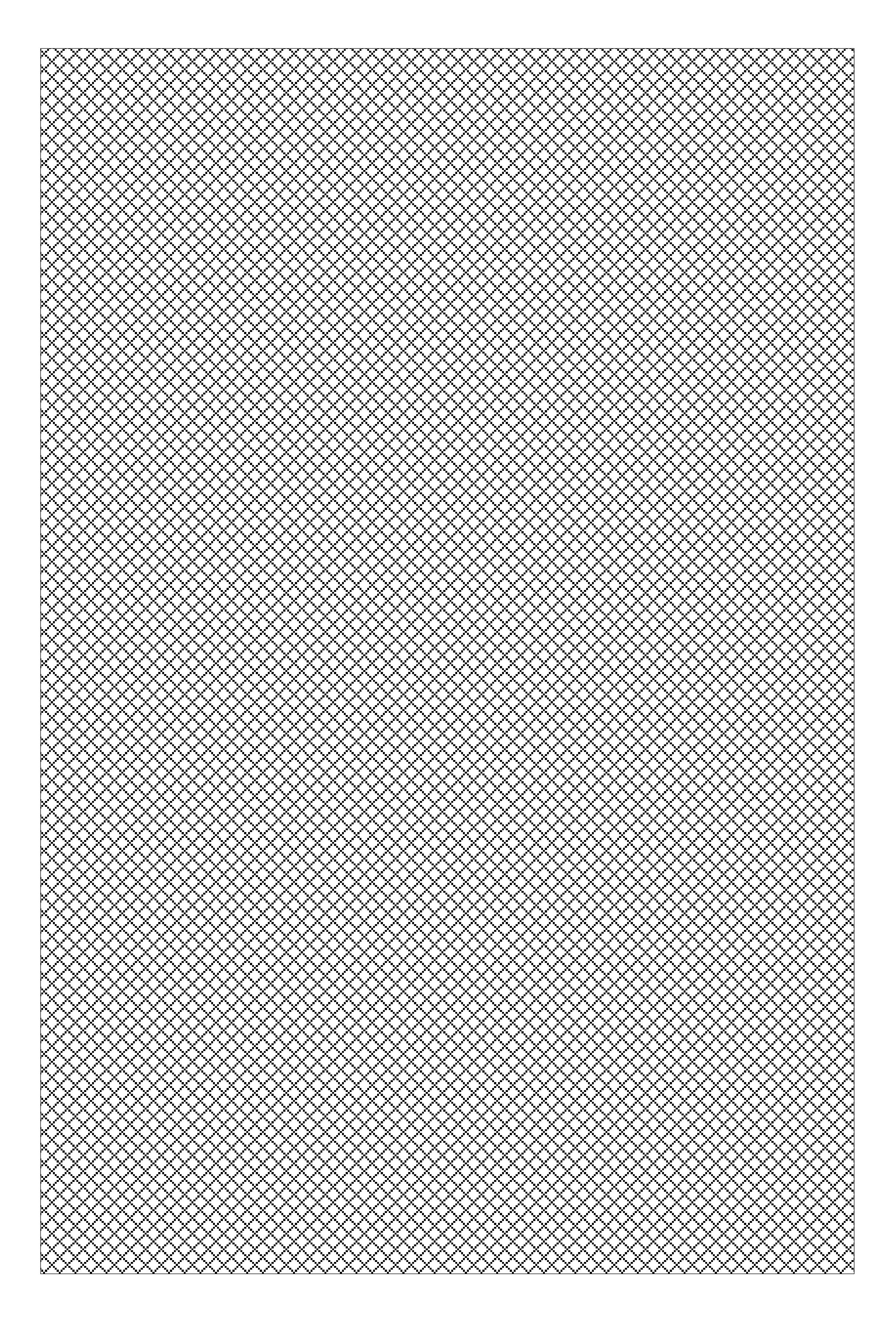
ويستحيل ضد ذي الصفات   في حقه كالكون في الجهات

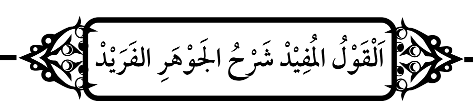
(و) الصفة (**الجائزة في حقه عز وجل.. صفة واحدة وهي: فعل كل ممكن أو تركه، كجعل الشقي سعيداً و عكسه، وإرسال الرسل**)، فلا يجب عليه شيء من الممكنات، كما لا يستحيل، وهذا خلاف المعتزلة فإنهم قالوا بوجوب بعض الممكنات عليه تعالى، كقولهم: بوجوب الصلاح والأصلح عليه في حق خلقه، وقد تقدم في الدرس الثاني بيان بطلان هذا القول، وأما أهل السنة والجماعة فعندهم الصلاح والأصلح جائز في حقه تعالى، ولا يجب عليه شيء؛ لأنه هو الخالق المتصرف في الوجود، فمن الذي يوجب عليه شيء.

(**والدليل على ذلك عقلاً: أنه لو وجب عليه سبحانه وتعالى فعل شيء وتركه لصار مكرهاً، وذلك محال**).



القسم الثاني من أقسام التوحيد (النبويات)

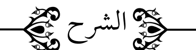




الدرس الرابع عشر

في القسم الثاني من أقسام التوحيد وهي النبويات

القسم الثاني من أقسام التوحيد..النبويات، وهي: الأمور المتعلقة بالرسل عليهم الصلاة والسلام


الشرح

الدرس الرابع عشر

في القسم الثاني من أقسام التوحيد وهي النبويات

و(**القسم الثاني من أقسام**) علم (**التوحيد**) هو(**النبويات، وهي:**) جميع (**الأمور المتعلقة بالرسل عليهم الصلاة والسلام**)، وذكره المصنف رحمه الله هنا أي: بعد الكلام عن الصفة الجائزة؛ لأن إرسال الرسل في حق الله تعالى جائزٌ عقلاً كما هو مذهب أهل السنة والجماعة، قال صاحب الجوهرة:

لله والجائز والمتنعا ومثل ذا لرسله فاستمعا

وقال أيضاً:

ومنه إرسال جميع الرسلِ فلا وجوب بل بمحض الفضلِ

وليس إرسال الرسل بواجب كما ذهب إليه المعتزلة والفلاسفة، حيث جعله المعتزلة من الأصلح للخلق، فأوجبوا عليه تعالى فعل الصلاح والأصلح لعباده كما تقدم الكلام عنه، وأما الفلاسفة فبنوا الوجوب على قولهم بالتعليل أو الطبيعة، فقالوا يلزم من وجوده تعالى وجود العالم

....

الشرح

بالتعليل، بأن يكون سبحانه وتعالى علة للعالم أو بالطبع، ويلزم من وجود العالم وجود من يصلحه، وهذا بناءُ من الفلاسفة على أن العالم قديم، ولا ينشأ عن الله إلا الأصلح، وهؤلاء كفار بهذه العقيدة ، قال الدردير في خريدته:

ومن يقل بالطبع أو بالعلة ... فذاك كفر عند أهل الملة

ويرد هذا أنه سبحانه فاعل بالاختيار لا بطريق الإجبار.[1]

وليس بعث الرسل كذلك في حقه تعالى بمستحيل ، كما ذهب إلى ذلك السَّمُنية والبراهمة، وقد عللوا قولهم هذا بأن إرسالهم عبث؛ لأنه يستغنى عنهم بالعقل، بأن يُجعل مناط فعل شيء تحسين العقل إياه، ومناط ترك الشيء تقبيح العقل إياه، والعبث على الله محال، فيكون إرسال الرسل محال.

وهذا كلام باطل؛ لأن العقل بمفرده لا يهتدي إلى الصواب دائماً، ولا إلى الأفعال المنجية في الآخرة، أي: أن حظ العقل من ذلك الجواز، وأما الوقوع فيوجد من الشرع، فإن الحاجة إلى الرسل للإنباء عمّا بعد الموت من

(١) انظر شرح الصاوي (٢٧٠)، والبيجوري (٢٦٩).

....

الشرح

الحشر والنشر والثواب والعقاب والخلود في الدارين، وحظ العقول من ذلك الجواز فقط.

كما أن العقل لا يهدي حتى إلى الأدوية المفيدة للصحة، فحاجة الخلق إلى الأنبياء والرسل كحاجتهم إلى الأطباء، إذ الرسالة سفارة بين الحق تعالى وبين عباده ليزيح بها عللهم فيما قصرت عنه عقولهم.(١)

قال صاحب الجوهرة في أن إرسال الرسل بمحض الفضل لا وجوباً:

لكن بذا إيماننا قد وجبا فدع هوى قوم بهم قد لعبا

وإذا علمنا أن إرسال الرسل جائز عقلاً.. نعلم أنه غير واجب عليه تعالى، يعني عقلاً، وأما شرعاً فهو واجب، وليس المراد بالوجوب هنا أنه واجب على الله تعالى، بل هو واجب وقوعاً؛ لأن الله أراد ذلك، وتَعَلَّقَ علمه به، وما أراده الله تعالى وتعلق به علمه لابد من وقوعه.(٢)

والجائز عقلاً هو : ما يجوِّز العقل وجوده وعدمه من غير نظر لشرع– لا يمتنع وجود شيء منه، ولا عدمه إلا ما أخبر بوقوعه ، فيجب شرعاً لا عقلاً.

---

(١) انظر قواعد العقائد (٢١٣).

(٢) انظر شرح الصاوي (٢٧١).

كـالإيمان بهـم ومعرفـة مـا لهـم مـن الصـفات الواجبـة والجـائزة والمسـتحيلة، ومعنى الإيمان بالرسل هو أنه سبحانه وتعالى أرسل لخلقه رسـلاً مـن البشر. معصومون من المعاصي صغيرها وكبيرها.

الشرح

وما أخبر الشرع بعدم وقوعه.. فيمتنع، لا لذاته؛ بـل لإخبـار الشرـع بذلك، قال تعالى ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ﴾ {القصص: ٦٨}.[١]

والأمور المتعلقة بالرسل عليهم الصلاة والسلام في هـذا القسـم.. (**كالإيمـان بهـم ومعرفـة مـا لهـم مـن الصـفات الواجبـة والجـائزة والمستحيلة، ومعنى الإيمان بالرسل هو**) التصديق بـ(**أنه سبحانه وتعالى أرسل لخلقه رسلاً من البشر**)، وأنهم (**معصومون من المعاصي صغيرها وكبيرها**).

والعصمة لغةً: مطلق الحفظ.

واصـطلاحاً: حفـظ الله تعـالى للمكلـف مـن الـذنب مـع اسـتحالة وقوعه، وبهذا المعنى لا يجوز أن نسألها، أما إن سألها إنسان وأراد بها المعنى اللغوي الذي هو مطلق الحفظ.. فإنه جائز.[٢]

---

(١) انظر بشرى الكريم (طبعة دار المنهاج) ٦٢-٦٣.

(٢) انظر البيجوري (٣٠٣).

....

الشرح

فالرسل معصومون أي: محفوظون في ظواهرهم وبواطنهم عليهم الصلاة والسلام من التلبس بمنهي عنه، ولو نهي كراهة أو خلاف الأولى، فأفعالهم دائرة بين الواجب والمندوب.(١)

ودليل ذلك أنهم لو قاموا بفعل محرم أو مكروه أو خلاف الأولى.. لكنَّا مأمورين به؛ لأن الله تعالى أمرنا باتِّباعهم في أقوالهم وأفعالهم وأحوالهم من غير تفصيل، وهو تعالى لا يأمر بمحرم ولا مكروه ولا خلاف الأولى.(٢)

وقت وجوب العصمة:

اختلف أهل العلم في وقت وجوب العصمة لهم عليهم الصلاة والسلام على مذهبين:

الأول: أنها واجبة لهم من أول الولادة إلى آخر العمر.

الثاني: أنها تجب لهم في زمن النبوة، أما قبلها فهي غير واجبة.

والمعتمد في هذا ما قاله العلامة محمد بخيت المطيعي من أنهم معصومون قبل النبوة وبعدها، أي: استمراريتها معهم، فلا يصدر منهم

(١) انظر شرح الصاوي (٢٧٥)، وهداية المريد (٧٤).

(٢) انظر هداية المريد (٧٤).

....

الشرح

ذنب لاستحالة كل ما ينفِّر عنهم قبل النبوة.[١]

تساؤل:

قد يتساءل البعض ويقول: أن هناك بعض الأنبياء فيما يظهر لنا قد وقع في المخالفة، كسيدنا آدم أبو البشر، وسيدنا موسى، وأخوة يوسف على القول بنبوتهم، فكيف يكون ذلك؟

فالجواب هو: أن كل ما أوهم المعصية منهم.. فمؤول بأنه من حسنات الأبرار سيئات المقربين، ولا يجوز التكلم به في غير مورده إلا في مقام البيان.

فأما ما وقع من سيدنا آدم عليه السلام.. فهي معصية لا كالمعاصي؛ لأنه تأول الأمر لسر بينه وبين خالقه وإن لم نعلمه،[٢] ولم يكن متعمد الوقوع بل كان ناسيا أي غير عاص بدليل قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴾ {طه: ١١٥}.

وأما سيدنا موسى.. فلم يكن قصده قتل الرجل، فكيف تعدُّ

---

(١) انظر البيجوري (٢٧٤).

(٢) انظر هداية المريد (٧٤).

....

الشرح

معصية؛ إذ أنها لا تكون معصية إلا إن قصدها.

ويُحتمل أن يقال: إنه لكفر القبطي كان مستحقاً للقتل، بيد أنه عليه السلام لم يقصد إلا تخليص الذي من شيعته، فأدَّى به ذلك إلى القتل من غير قصد.[1]

وأما إخوة يوسف على القول بنبوتهم فالجواب ما قاله الصاوي في شرحه على الجوهرة، حيث قال: ((أنهم وإن كانوا أنبياء إلا أنهم ليسوا برسل شرعيين- و سيأتي إن شاء الله تعالى الفرق بين النبي والرسل -، فللنبي أن يفعل بمقتضى الحقيقة وباطن الأمر، كما في خرق السفينة، وقتل الغلام الواقع من الخضر عليه السلام – وهذا على القول بنبوته – فهو بحسب الظاهر حرام، وبحسب الباطن مصلحة.

وأخوة يوسف أعلمهم الله بالإلهام أو بالوحي أن يوسف يملك مصر، وتحصل له السيادة العظمى بها، فتعين عليهم أن يفعلوا أموراً وإن كان ظاهرها الحرام، إلا أنها في الباطن والواقع واجبة عليهم، ليتوصلوا

(١) انظر البيجوري (٢٧٧).

وأنهم صادقين في جميع ما أخبروا به عن الله تعالى.

والحكمة من إرسالهم هداية الخلق لطريق الحق، وهي أن يبينوا لهم ما يجب عليهم وما يُندب، وما يكره، وما يجوز، وما يحرم، وما يصح، وما يبطل من الأحكام الشرعية، وتكميل معاشهم معادهم.

الشرح

بذلك إلى وصوله إلى مصر، ففعلهم هذا حرام ظاهراً مأمورين به باطناً، ويقال فيهم كما قال الخضر ﴿ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ﴾ الكهف: ٨٢)) اهـ.[1]

(و) معنى الإيمان بهم.. أن نعتقد (**أنهم صادقين في جميع ما أخبروا به عن الله تعالى**) ومن ذلك الملائكة وأخبار القبر والجنة والنار، وغيرها من الغيبيات.

(**والحكمة من إرسالهم**) هي (**هداية الخلق لطريق الحق، وهي أن يبينوا لهم ما يجب عليهم**)، كالإيمان بالله وحده وأسمائه وصفاته، (**وما يُندب**) ليتَّبِعوا فينالوا الأجر والثواب والرفعة، (**وما يكره، وما يجوز، وما يحرم، وما يصح، وما يبطل من الأحكام الشرعية**) لتصح عباداتهم ومعاملاتهم، وتكون أقرب وأرجى للقبول، (و) كذلك من حكمة إرسال الرسل.. (**تكميل معاشهم**) أي: أمور دنياهم وما يحتاجونه فيها، وأمور (**معادهم**) وهي آخرتهم ليعملوا لها فيفوزوا فيها.

---

(١) شرح الصاوي (٢٧٥-٢٧٦).

الدرس الخامس عشر
في معرفة الرسل إجمالاً وتفصيلاً

الواجب معرفته منهم إجمالاً ثلاثمائة وثلاثة عشرة، وقيل أربعة عشرة، وقيل خمسة عشرة والصحيح لا يعلم عددهم إلا الله تعالى لقوله تعالى ﴿مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾، والواجب معرفتهم تفصيلاً خمسة وعشرون، وهم:

آدم، وإدريس، ونوح، وهود، وصالح، وإبراهيم، ولوط، وإسماعيل،


الشرح

الدرس الخامس عشر
في معرفة الرسل إجمالاً وتفصيلاً

و(**الواجب معرفته منهم**) أي: من الرسل (**إجمالاً**) أي: دون خوض في تفصيلهم ومعرفة أسمائهم، هم:(**ثلاثمائة وثلاثة عشرة، وقيل**) و(**أربعة عشرة، وقيل**) و(**خمسة عشرة**).

وكل هذا على سبيل التقريب لا التحقيق، (**والصحيح لا يعلم عددهم إلا الله تعالى لقوله تعالى ﴿مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾** {غافر: ٧٨}، **والواجب معرفتهم**) من الرسل (**تفصيلاً خمسة وعشرون، وهم**) على الترتيب الزمني في إرسالهم:

(**آدم، وإدريس ، ونوح، وهود، وصالح، وإبراهيم، ولوط، وإسماعيل،**

وإسحاق، ويعقوب، ويوسف، وأيوب، وشعيب، وهارون، وموسى، واليسع، وذو الكفل، وداود، وسليمان، وإلياس، ويونس، وزكريا، ويحيى، وعيسى، ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

و عدد الأنبياء مائة ألف وأربعة وعشرون ألف.

والرسول هو: إنسان ذكر حر من بني آدم سليم من منفِّر طبعاً وعن دناءة أب، ....

الشرح

وإسحاق، ويعقوب، ويوسف، وأيوب، وشعيب، وهارون، وموسى، واليسع، وذو الكفل، وداود، وسليمان، وإلياس، ويونس، وزكريا، ويحيى، وعيسى، ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم)، فهؤلاء كلهم ذكروا في القرآن المنزل على قلب النبي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

(و) الواجب معرفته إجمالاً: أن (**عدد الأنبياء مائة ألف وأربعة وعشرون ألف**) (١٢٤٠٠٠) بعدد أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع.

ثم بين المصنف رحمه الله تعالى ونفعنا به الفرق بين الرسول والنبي فقال:

(**والرسول هو: إنسان ذكر حر من بني آدم سليم من منفِّر طبعاً**) أي: ما تنفر منه الطباع، كالجذام والعياذ بالله، (و) سليم (**عن دناءة أب**)

وعن خناء أم أوحى الله إليه بشرع وأُمر بتبليغه، فإن لم يؤمر بتبليغه.. فهو نبي.

الشرح

كأن يكون أبوه زبالاً مثلاً، (و) سليم (**عن خناء أم**) أي: فحش أم، (**أوحى الله إليه بشرع وأُمر بتبليغه، فإن لم يؤمر بتبليغه.. فهو نبي**)، لكن يجب عليه إخبار الناس بنبوته حتى لا يقعوا في سوء الأدب معه.

فالفرق بين الرسول والنبي: أن الرسول أوحي إليه بشرع وأمر بتبليغه، بينما النبي أوحي إليه بشرع ولم يؤمر بتبليغه، وقد لا يأتي النبي بشرع جديد؛ بل يأتي بشرع من كان قبله من الرسل، وعلى هذا (**كل رسول نبي وليس كل نبي رسول**).

الدرس السادس عشر

فيما يجب للرسل معرفتة على المكلف شرعاً إجمالاً

الواجب معرفته على المكلف شرعاً في حق الرسل عليهم الصلاة والسلام إجمالاً هو: أن يعتقد أنهم أكمل الناس خلقاً وعقلاً وعلماً، بعثهم الله وأظهر صدقهم بالمعجزات الظاهرات، ....

الشرح

الدرس السادس عشر

فيما يجب للرسل معرفتة على المكلف شرعاً إجمالاً

يجب على المكلف شرعاً أن يعرف أموراً في حق الرسل إجمالاً وتفصيلاً، فـ(**الواجب معرفته على المكلف شرعاً في حق الرسل عليهم الصلاة والسلام إجمالاً هو: أن يعتقد**) اعتقاداً جازماً (**أنهم أكمل الناس خلقاً وعقلاً وعلماً**)، وإلا لم يكونوا مؤهلين لحمل الرسالة، ويجب اعتقاد أنهم (**بعثهم الله وأظهر صدقهم بالمعجزات الظاهرات**).

قال صاحب الجوهرة:

بالمعجزات أُيدوا تكرما وعصمة الباري لكلٍّ حتما

فلا تكتسب النبوة للعبد بمباشرة أسباب مخصوصة؛ لأن النبوة اختصاص العبد لسماع وحيٍ من الله تعالى بحكم شرعي تكليفي، سواء أمر بتبليغه أم لا ، وهكذا الرسالة لكن بشرط أن يؤمر بالتبليغ، كما تقدم.

وأنهم بلَّغوا أمره ونهيه ووعده ووعيده، والفرق بين المعجزة والكرامة والاستدراج هو: أن المعجزة أمر خارق للعادة مقرون بدعوى النبوة، كانشقاق القمر لنبينا ....

الشرح

وفسر الفلاسفة النبوة بأنها: صفاء وتجلٍ للنفس يحدث لها من الرياضات، وبالتخلي عن الأمور الذميمة، وبالتخلق بالأخلاق الحميدة، فلهذا عندهم النبوة مكتسبة وهي من أقوى المسائل التي كفرت بها الفلاسفة، ويلزم قولهم باكتسابها تجويز نبي بعد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أو معه، وذلك مستلزم لتكذيب القرآن والسنة.[1]

قال صاحب الجوهرة:

ولم تكن نبوة مكتسبةْ ولو رقى في الخير أعلى عقبهْ

بل ذاك فضل الله يؤتيه لمنْ يشاءُ جلَّ اللهُ واهب المننْ

(و) يجب على المكلف شرعاً أيضا أن يعتقد (**أنهم بلَّغوا أمره ونهيه ووعده ووعيده**) ولم يكتموا شيئاً كما سيأتي إن شاء الله تعالى بيان ذلك.

(**والفرق بين المعجزة والكرامة**) والمعونة، (**والاستدراج**) والإهانة مع أن الكل خارق للعادة (**هو: أن المعجزة أمر خارق للعادة مقرون بدعوى النبوة**) أي: يصدر عن نبي أو رسول، (**كانشقاق القمر لنبينا**

(١) انظر البيجوري (٢٨٧).

محمد صلى الله عليه وسلم.

الشرح

محمد صلى الله عليه وسلم)، فهو أمر خارق للعادة وقع لنبي، قال تعالى﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴾ {القمر: ١}.

واعتبر المحققون في المعجزة ثمانية قيود:

الأول: أن تكون قولاً كالقرآن، أوفعلاً كنبع الماء من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم أو تركاً كعدم إحراق النار لسيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام. فأما الصفة القديمة – كما إذا قال: آية صدقي أن الله متصف بالقدرة.. فليست بمعجزة.

الثاني: أن تكون خارقة للعادة، والعادة ما درج عليه الناس واستمروا مرة بعد أخرى، فغير الخارق ليس بمعجزة، كما لو قال: آية صدقي أن تطلع الشمس من المشرق وتغرب من المغرب.

الثالث: أن تكون على يد مدعي النبوة أو الرسالة، فتخرج الكرامة والمعونة والاستدراج وغيرها.

الرابع: أن تكون مقرونة بدعوة النبوة أو الرسالة حقيقة، أو حكماً بأن تأخرت زمن يسير، فيخرج بذلك الإرهاص، وهو ما كان قبل النبوة أو

....

الشرح

الرسالة تأسيساً لها،كإظلال الغمام للنبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة، أو كظهور النور في جبين أبيه عبدالله.

الخامس : أن تكون موافقة للدعوى، فخرج المخالف لها، كما إذا قال: آية صدقه انفلاق البحر، فانفلق الجبل.

السادس: أن لا تكون مكذِّبة له، فخرجت المكذِّبة، كما إذا قال: آية صدقي نطق هذا الجماد، فنطق الجماد بأنه مفترٍ كذّاب، بخلاف ما إذا قال: آية صدقي نطق هذا الإنسان الميت وإحياؤه فأحيي، ونطق بأنه مفتر كذَّاب.. فلا عبرة بقوله أي: الميت، والفرق بينهما.. أن الجماد لا اختيار له فكان تكذيبه معتبر؛ لأنه أمر إلهي، والإنسان له اختيار فلم يعتبر تكذيبه إذ أنه قد يختار الكفر على الإيمان ويكفر بهذا النبي.

السابع: أن تتعذر معارضته، فخرج بذلك السحر، ومنه الشعبذة وهي خفة في اليد، يرى أن لها حقيقة ولا حقيقة لها، والسحر ليس من الخوارق؛ لأنه معتاد عند تعاطي أسبابه.

والكرامة: أمر خارق للعادة تظهر على يد عبد ظاهر الصلاح، غير مقرون بدعوى النبوة، كوجود فاكهة الصيف في وقت الشتاء لسيدتنا مريم عليها السلام.

الشرح

الثامن: أن لا تكون في زمن نقض العادة، أي: زمن تنقض فيه العادة وتظهر خوارق العادات أصلاً، كزمن طلوع الشمس من مغربها، وخرج أيضاً ما يقع من الدجال، كأمره للسماء فتمطر، وللأرض فتنبت.(١)

(والكرامة: أمر خارق للعادة تظهر على يد عبد ظاهر الصلاح، غير مقرون) هذا الأمر **(بدعوى النبوة، كوجود فاكهة الصيف في وقت الشتاء لسيدتنا مريم عليها السلام)** والعكس، وقد حكى الله في كتابه ذلك فقال: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ {آل عمران: ٣٧} ، وقد تواترت الروايات - كما ذكر الفخر الرازي في تفسيره عند هذه الآية - من أن سيدنا زكرياء كان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف مثل القصب، وفاكهة الصيف في الشتاء مثل العنب، كما في تفسير ابن عباس للآية، وفي (السراج المنير) للإمام الشربيني قال: ((قال الربيع بن أنس: كان

---

(١) انظر البيجوري (٢٩٩-٣٠٠).

والاستدراج هو: ما يظهر على يد غير مستقيم فاسق مارق.

الشرح

زكريا إذا خرج يغلق عليها سبعة أبواب، فإذا دخل عليها غرفتها وجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف فإذا وجد عندها ذلك))اهـ.

ولهذا من أنكر أصل الكرامات فقد كفر؛ لأنه ينكر القرآن حيث ورد في القرآن ذكر الكرامات، أما من أنكر كرامة بعينها من غير ما ذكر في القرآن ومن غير ما تواتر روايتها..فلا يكفر .

و المعونة: فهي ما يظهره الله على يد العوام تخليصاً لهم من شدة.

وأما الإرهاصة: فهي ما يظهر الله من خوارق العادات لنبي أو رسول قبل البعثة.

(**والاستدراج هو: ما يظهر على يد**) شخص (**غير مستقيم**)؛ بل (**فاسق مارق**)، فالمقصود من ظهوره.. استدراجه وخديعته والمكر به، كما قال تعالى ﴿ فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴾ {القلم: ٤٤ – ٤٥}.

والإهانة: هي ما يظهر على يد فاسقٍ تكذيباً له، كما وقع لمسيلمة الكذاب، فإنه مسح على عين أعور لتبرأ فعميت الصحيحة، وتفل في بئر ليكون ماؤها عذباً فغارت.

الدرس السابع عشر
فيما يجب على المكلف معرفته شرعاً للرسل تفصيلاً

يجب على المكلف شرعاً أن يعرف في حق الرسل عليهم الصلاة والسلام تفصيلاً تسع صفات، أربع منها واجبة وهي: الصدق والتبليغ والأمانة والفطانة، والمراد بالصدق في حقهم: الصدق في دعوى الرسالة وفي.........



الدرس السابع عشر
فيما يجب على المكلف معرفته شرعاً للرسل تفصيلاً

بعد أن ذكر المؤلف رحمه الله ونفعنا به ما يجب على المكلف شرعاً أن يعرفه في حق الرسل إجمالاً، تكلم عن ما يجب على المكلف معرفته في حقهم تفصيلاً فقال: (**يجب على المكلف شرعاً أن يعرف في حق الرسل عليهم الصلاة والسلام تفصيلاً تسع صفات، أربع منها واجبة**) عقلاً ونقلاً، لكن الأولى هو الدليل النقلي،[1] والمراد بالوجوب هنا هو الذي لا يقبل الانفكاك، فهذه الصفات الأربع ملازمة للرسل عليهم الصلاة والسلام كملازمة الظل للشاخص.

(و) هذه الصفات الأربع (**هي: الصدق والتبليغ والأمانة والفطانة، والمراد بالصدق في حقهم: الصدق في دعوى الرسالة وفي**

(١) انظر شرح الصاوي (٢٧٤).

الأحكام التي يبلغونها عن الله تعالى.

والدليل على صدقهم: أنه لو جاز عليهم الكذب للزم الكذب في خبره، وذلك محال.

الشرح

الأحكام التي يبلغونها عن الله تعالى)، ومطابقة خبرهم للواقع ولو بحسب اعتقادهم.

(**والدليل على**) وجوب (**صدقهم: أنه لو جاز عليهم الكذب للزم الكذب في خبره**) تعالى، أي: أنهم لو لم يصدقوا.. للزم الكذب في خبره تعالى لتصديقه لهم بالمعجزات، إذ أن المعجزة نازلة منزلة قوله تعالى (صدق عبدي في كل ما يبلغ عني)، فالله تعالى هو الذي أيّدهم بالمعجزات التي تعني تصديقهم، وتصديق الكاذب كذب، (**وذلك**) أي: الكذب (**محال**) في حقه تعالى، فينتج عن ذلك أن عدم صدقهم محال، وإذا استحال عدم الصدق.. وجب الصدق، وهو المطلوب.[١]

فائدة:

وجوب الصدق للأنبياء داخل في العصمة التي تقدم الحديث عنها، لكن العلماء يبرزون هذه الصفة لأهميتها في حق الأنبياء.[٢]

---

(١) انظر البيجوري (٢٧٨).

(٢) انظر المختصر المفيد للشيخ نوح القضاة (طبعة دار الرازي) (١٢٥).

والمراد بالأمانة في حقهم عليهم الصلاة والسلام هي:

حفظ ظواهرهم وبواطنهم عن الوقوع في المحرمات والمكروهات.

والدليل على ذلك: أنهم لو كانوا يفعلون محرماً أو مكروهاً..

الشرح

(**والمراد بالأمانة في حقهم عليهم الصلاة والسلام هي:**) العصمة، وللعلماء فيها عدة تعاريف ، غير أنها متقاربة، وأحسنها هو: أن العصمة ملكة في نفسانية تمنع صاحبها الفجور.[1]

فتكون الأمانة على هذا هي: (**حفظ ظواهرهم وبواطنهم عن الوقوع في المحرمات**) إجماعاً،[2] (و) كذا عن الوقوع في (**المكروهات**) وخلاف الأولى، فهم محفوظين عنها؛ لكن قد يقع منهم المكروه وخلاف الأولى، لا على وجهها؛ بل على وجه التشريع، ليدل على أن هذا الأمر جائز وإن كان خلاف الأولى أو مكروها، ويكون بفعل ذلك مشرِّعا لأمرٍ لا مريداً فعل المكروه أو خلاف الأولى، وذلك كالبول من قيام، والشرب كذلك، وترك بعض الرغائب.[3]

(**والدليل على ذلك: أنهم لو كانوا يفعلون محرماً أو مكروهاً**) أو خلافاً للأولى بقصد فعل الاثنين الأخيرين لا بقصد التشريع كما بينا..

---

(١) انظر البيجوري (٢٧٤).

(٢) انظر شرح الصاوي (٢٧٥).

(٣) انظر شرح الصاوي (٢٧٥).

لانقلب ذلك المحرم والمكروه طاعةً، وهو محال.

الشرح

(**لانقلب ذلك المحرم والمكروه**) وخلاف الأولى (**طاعةً**)؛ لأن الله أمرنا باتباعهم، (**وهو محال**)، كما تقدم الكلام عن ذلك عند ذكر وقت وجوب العصمة.

الدرس الثامن عشر

التبليغ والفطانة

والمراد بالتبليغ في حقهم عليهم الصلاة والسلام: هي إيصال الأحكام التي أمروا بتبليغها للخلق، إذ هم مأمورون بذلك.

الشرح

الدرس الثامن عشر

التبليغ والفطانة

(والمراد بالتبليغ في حقهم عليهم الصلاة والسلام: هي إيصال الأحكام التي أمروا بتبليغها للخلق، إذ هم مأمورون بذلك)، بخلاف ما أمروا بكتمانه، أو خيّروا فيه، فقد لا يبلغونه، وخاصة إذا كانت عقول الناس لا تحتمله كالأمور الغيبية.

والتبليغ خاص بالرسل دون الأنبياء، فالرسل والأنبياء يشتركون في هذه الصفات الواجبة عدا التبليغ فهو خاص بالرسل كما تبين لنا من تعريف الرسول والنبي المتقدمين.

وقال بعض أهل العلم أن التبليغ من صفات الأنبياء أيضاً؛ لأنه يجب على النبي أن يبلغ أنه نبي ليحترم،[1] لكن هذا لا يعدُّ تبليغاً للأحكام، بل هو إخبار بالنبوة بخلاف الرسل فهم يبلغون الأحكام.

---

(١) انظر البيجوري (٢٧٤).

والدليل على ذلك أنهم لو كتموا شيئاً مما أمروا بتبليغه للخلق.. لكنَّا مأمورين بكتم العلم؛ لأن الله أمرنا بالإقتداء بهم، ولا يصح أن نؤمر بذلك؛ لأن كاتم العلم ملعون.

الشرح

(والدليل على ذلك) أي: على التبليغ **(أنهم لو كتموا شيئاً مما أمروا بتبليغه للخلق.. لكنَّا مأمورين بكتم العلم؛ لأن الله أمرنا بالإقتداء بهم، ولا يصح أن نؤمر بذلك؛ لأن كاتم العلم ملعون)** كما ورد في الخبر عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:((**مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ فَكَتَمَهُ.. أُلْجِمَ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**)) أخرجه أحمد،وأبو داود، والترمذي، وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ:قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:((**مَنْ كَتَمَ عِلْمًا مِمَّا يَنْفَعُ الله بِهِ فِي أَمْرِ النَّاسِ أَمْرِ الدِّينِ أَلْجَمَهُ الله يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ النَّارِ**)) أخرجه ابن ماجه؛ ولأن عدم التبليغ يقتضي المعصية، والمعصية مستحيلة عليهم، قال تعالى ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ** ﴾ {المائدة: ٦٧}.

فائدة:

ما جاء به الرسل ثلاثة أقسام:

١) قسم أُمِرُوا بتبليغه، فلم يكتموا منه حرفاً.

والمراد بالفطانة في حقهم عليهم الصلاة والسلام هي: التفطن والتَّيقظ لإلزام الخصوم، وإبطال دعاويهم الكاذبة.

والدليل عل ذلك: أنه لو انتفت عنهم الفطانة.. لما قدروا أن يقيموا الحجة على خصمهم، وذلك محال.

الشرح

٢) قسم أمروا بكتمانه، فلم يبلغوا منه حرفاً.

٣) قسم خُيِّروا بين كتمانه وتبليغه، فبلغوا البعض وكتموا البعض.[1]

(والمراد بالفطانة في حقهم عليهم الصلاة والسلام هي: التفطن والتَّيقظ لإلزام الخصوم، وإبطال دعاويهم الكاذبة)، أي: قوة الذكاء وقوة الملاحظة والحجة بحيث يستطيعون إقامة الحجة على صدق ما يدعون إليه، ويستطيعون كذلك إبطال شبهة المخالفين لهم.

(والدليل عل ذلك: أنه لو انتفت عنهم الفطانة.. لما قدروا أن يقيموا الحجة على خصمهم، وذلك محال)؛ ولأنهم مبلِّغون عن الله تعالى فلابد أن يجعل فيهم من الذكاء وقوة الحجة ما يجعل تبليغهم حجة على الناس وهم يتعرضون دائماً في دعوتهم إلى الله عز وجل لخصوم يجادلونهم، فلا يمكن دفعهم إلا بهذه الخصلة، قال تعالى: ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ

(١) انظر شرح الصاوي (٢٧٧).

....

الشرح

ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ﴾ {الأنعام: ٨٣}، وقال أيضاً ﴿ قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ {هود: ٣٢}، أي: خاصمتنا فأطلت، أو أتيت بأنواع، وقال تعالى أيضاً﴿ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ {النحل: ١٢٥}.

تنبيه:

قد يقال أن هذه الآيات واردة في بعضهم، فلا تدل على ثبوتها لجميعهم.

وأجيب على ذلك:

بأنه لما ثبت الكمال لبعضهم ثبت لكلهم، وإن كانوا أنبياء فقط، أي: ليسوا برسل؛ لأنها قد تَرِد شبهةٌ وهي أن الأنبياء غير مكلفين بالتبليغ فلما يحتاجون إلى الفطانة مع عدم وجود جدال، إذ أن الجدال غالباً ينتج عن البلاغ؟ فالرد هو: أن اللائق بمنصب النبوة أن يكون عندهم من الفطانة ما يردون به الخصم على تقدير وقوع جدال معه، بحيث لو وقع الجدال لاستطاعوا إبطال دعاويه ودحض حجته، نعم الواجب للأنبياء مطلق الفطنة، وإنما للرسل كمالها، إذ هم شهود الله على عباده والشاهد لا يكون

....

الشرح

مغفلاً.[(١)]

تتمة:

ما مرّ من الواجب في حق الرسل.. يقتضي العقلُ السليم وجودها في الرسل والأنبياء ليكونوا حجة على الناس، وهناك أمور أخرى يشترط وجودها في الرسل والأنبياء دل على ذلك الشرع وهي:

١. البشرية: فالله تعالى أرسل الرسل إلى البشر، إذاً يجب أن يكون الرسل بشراً ، لتمكن البشر من الإقتداء بهم في سلوكهم، والأخذ عنهم؛ لأن الله تعالى أمرنا بالإقتداء فقال تعالى ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ {الأحزاب: ٢١}، وقال لنا ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ ﴾ {الحشر: ٧}، وقد طلب الكفار قديماً رسلاً من الملائكة، فرد الله عليهم بقوله ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴾ {الأنعام: ٩}، ولو جعل اللهُ الرسلَ ملائكة فإن من المستحيل الإقتداء بهم؛ لأنهم أجسام نورانية لا يأكلون ولا يشربون ولا ينامون.

---

(١) انظر البيجوري (٢٧٩).

....

الشرح

٢. الحرية: فالرقيق لا يملك أمر نفسه، بل هو متبع لغيره فكيف يكون رسولاً يقود الأمة؟! ثم هو يباع ويُشترى، فكيف سيكون له احترام؟! أم كيف سيتفرغ للبلاغ؟! وأما على القول بنبوة لقمان والحال أنه عبد.. فالمراد أنه كان أسمر اللون يشبه العبد، والصحيح أنه عبد صالح.

٣. الذكورة: قال تعالى ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰٓ ﴾ {يوسف: ١٠٩}،والحكمة في جعل الرسل ذكوراً هي : أن الرسول يجب أن يختلط بالناس لإبلاغ الدعوة والرسالة، ولو جعل الله من الرسل امرأة فإن هذه الخلطة قد تعرِّض المرأة لسفاهة السفهاء، والمرأة مأمورة بالابتعاد عن الرجال، وكذلك الرجل أقدر على تحمل أعباء الدعوة والتبليغ، وأما مريم فالمعتمد أنها صديقة، قال تعالى ﴿ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ ﴾ {المائدة: ٧٥}، وأما قوله تعالى ﴿ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ ﴾ {القصص: ٧} فالمراد به الإلهام لا وحي نبوة.

....

الشرح

٤. كمال العقل والذكاء وقوة الرأي: لأن هذا سلاح النبي والرسل، فلابد أن يزوده الله تعالى به ليتمكن من تبليغ الدعوة، وقد كان الكفار يتهمون الرسل بالجنون، ورد الله ذلك عليهم في أكثر من موضع في القرآن، قال تعالى ﴿ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴾ {القلم: ٢}.

٥. السلامة من كل ما يَنْفُرُ منه طبع الناس من مرض وغيره: لأن الله تعالى يقيم الحجة على الناس بما يسمعونه ويشاهدونه من الرسول والنبي، فكيف يستمعون إليه ويجتمعون به وفيه ما ينفّر الطباع منه، ولهذا يجب رد ما في قصص بني إسرائيل عن الأنبياء من أن بعضهم أصيب بأمراض منفِّره؛ نعم قد يصاب الرسل والأنبياء ببعض الأمراض الشديدة؛ لأنهم بشر كما تقدم، لكن ما ينفر الناس من صاحبه.. فهم سالمون منه.[1]

❁ ❁ ❁

(١) انظر المختصر المفيد (طبعة دار الرازي) (١٢٦-١٢٧).

الدرس التاسع عشر

في الصفات المستحيلة والجائزة في حقهم عليهم الصلاة والسلام

والصفات المستحيلة في حقهم عليهم الصلاة والسلام.. أربع صفات، وهي أضداد الصفات الواجبة:

فضد الصدق..الكذب، وضد الأمانة..الخيانة، ....


الشرح

الدرس التاسع عشر

في الصفات المستحيلة والجائزة في حقهم عليهم الصلاة والسلام

بعد أن ذكر المصنف رحمه الله ونفعنا به الأربع الواجبة من الصفات التسع التي يجب على المكلف شرعاً أن يعرفها في حق الرسل عليهم الصلاة والسلام.. ذكر هنا بقية الصفات الخمس فقال:(**والصفات المستحيلة في حقهم عليهم الصلاة والسلام.. أربع صفات، وهي أضداد الصفات الواجبة**):

(**فـ**) أولها (**ضد الصدق**) وهو (**الكذب**): وهو الإخبار بما يخالف الواقع.

(**و**) ثانيها (**ضد الأمانة**) وهي (**الخيانة**) أي: الوقوع في المخالفات الشرعية قبل النبوة وبعدها.

وضد التبليغ..الكتمان، وضد الفطانة..البلادة.

الشرح

(و) ثالثها **(ضد التبليغ)** وهو **(الكتمان)** أي: كتمان أي شيء مما أمروا بتبليغه.

(و) رابعها **(ضد الفطانة)** وهي **(البلادة)** أي: البلاهة والغفلة وعدم الفطنة.

قال صاحب الجوهرة:

وواجب في حقهمْ الأمانةْ وصدقهم وضِفْ له الفطانةْ
ومثل ذا تبليغهم لما أُتوا ويستحيل ضدها كما رووا

وهناك أمران يستحيل وجودهما في الأنبياء والمرسلين لم يذكرها المصنف رحمه الله:

الأول: الجنون، قليله وكثيره.

والثاني: السهو في الإخبار البلاغية وغيرها، كالأقوال الدينية الإنشائية، وأما السهو في الأفعال البلاغية وغيرها فجائز للتشريع ، كالسهو في الصلاة لبيان الحكم، لكن سهوهم لم يكن ناشئاً عن انشغالهم بغير ربهم، وفي ذلك قال بعضهم:

يا سائلي عن رسول الله كيف سها والسهو من كل قلب غافل لاهي
لقد غاب عن كل شيء سره فسها عما سوى الله فالتعظيم لله

والصفات الجائزة في حقهم عليهم الصلاة والسلام.. صفة واحدة،

الشرح

أما النسيان في الأمور البلاغية فهو ممتنع قبل التبليغ، قوليه كانت أو فعلية، وأما بعد التبليغ:

- فيجوز نسيان ما ذكر على أنه أي: النسيان من الله تعالى.
- أما نسيان الشيطان فمستحيل عليهم إذ ليس له عليهم سلطان، وقول يوشع ﴿ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾ {الكهف: ٦٣} .. تواضع منه، أو قبل نبوته وعلمه بحال نفسه، وإلا فهو رحماني بشهادة ﴿ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِۚ ﴾ {لكهف: ٦٤}.

فائدة:

وسوسة الشيطان لسيدنا آدم كان بتمثيل ظاهري، أي: تمثل له في الظاهر، والممنوع في حق الأنبياء والرسل سلطانه على بواطنهم، فبالجملة يجوز على ظواهرهم ما لا يجوز على البشر مما لا يؤدي إلى نقص، وأما بواطنهم.. فمنزهة أبداً متعلقة بربهم.[1]

(**والصفات الجائزة في حقهم عليهم الصلاة والسلام.. صفة واحدة**) وبها تتم التسع الصفات، والمراد بالجائز هنا هو: ما لا يجب عقلاً ثبوته لهم ولا نفيه عنهم.

(١) انظر البيجوري (٢٨٣)

وهي: اتصافهم بالأعراض البشرية التي لا تؤدي إلى نقص في مراتبهم العليّة، كالأكل والشرب والجماع والمرض الخفيف، ....

الشرح

(و) هذه الصفة الجائزة (**هي: اتصافهم بالأعراض البشرية التي لا تؤدي إلى نقص في مراتبهم العليّة، كالأكل والشرب والجماع**) الحلال،(**والمرض الخفيف**) الذي لا ينفّر الناس عنهم.

قال صاحب الجوهرة:

وجائزٌ في حقهم كالأكلِ ... وكالجماعِ للنسا في الحلِّ

وتمثيل المصنف رحمه الله هنا لما يجوز بالأكل والشرب والجماع الحلال.. فيه إشارة إلى أنه لا فرق بين أن يكون الجائز في حقهم من توابع الصحة التي لا يُستغنى عنها عادة كالأكل والشرب، أو التي يُستغنى عنها كالجماع للنساء، لكن الجماع مشروط في حال الحل، بأن كان بالملك أو بالنكاح، فيجوز لهم الوطء بالملك، ولو للأَمَة الكتابية، بخلاف المجوسية ونحوها كالوثنية.

ومن الأعراض التي لا تؤدي إلى نقص.. الإغماء، إلا أنه قُيِّد بالإغماء

بخلاف ما فيه نقص كالجنون والجذام والبرص والعمى، فهم منزهون عن ذلك.

الشرح

غير الطويل، (**بخلاف ما فيه نقص كالجنون**) قليله وكثيره ؛ لأنه نقص كما تقدم.

(و) بخلاف (**الجذام والبرص والعمى**) وغير ذلك من الأمور المنفِّرة، (**فهم منزهون عن ذلك**).

أما ما كان من سيدنا يعقوب عليه الصلاة والسلام.. فهو حجاب على العين من تواصل الدموع، ولذلك لما جاءه البشير عاد بصيراً، وما كان بسيدنا أيوب عليه الصلاة والسلام من البلاء لم يكن منفِّراً، أما ما اشتهر عنه من الحكايات المنفِّرة فهي باطلة من فعل اليهود.

❁ ❁ ❁

الدرس العشرون

فيما يجب علينا اعتقاده في حق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم

الواجب اعتقاده في حق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هو: اعتقاد أنه عليه الصلاة والسلام أرسله الله إلى كافة الخلق للإنس والجن ....

الشرح

الدرس العشرون

فيما يجب علينا اعتقاده في حق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم

(**الواجب**) على المكلف شرعاً (**اعتقاده في حق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هو: اعتقاد أنه عليه الصلاة والسلام أرسله الله إلى كافة الخلق للإنس والجن**) حيث أن الرسل السابقين كانوا يُرسَلون إلى أقوامهم خاصة، أما نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فقد أرسل للخلق كافة، فعن جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:((**أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِنْ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلِي نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا وَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ وَأُحِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ**)).

تكليفاً،[(١)] **وغيرهم تشريفاً لقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾، وقوله تعالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾**{الفرقان: ١}.

الشرح

وكان إرساله صلى الله عليه وسلم إلى الثقلين الإنس والجن(**تكليفاً**) فقد كلفه الله بالرسالة، وهم مكلفون بالإيمان به وما جاء به صلى الله عليه وسلم إجمالاً وتفصيلاً، ولا فرق في ذلك بين الإنس والجن.

(**و**) أما (**غيرهم**) كالملائكة فإرساله لهم صلى الله عليه وسلم (**تشريفاً**) لا تكليفاً (**لقوله تعالى ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾** {سبأ: ٢٨} ، **وقوله تعالى ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾** {الفرقان: ١}).

وشمل قولنا الإنس والجن.. يأجوج ومأجوج، وهم أولاد يافث بن نوح، وقيل غير ذلك، فقد قال ابن كثير في تفسيره:((هم سلالة آدم كما ثبت في الصحيحين))اهـ، وأراد بذلك ما ورد عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :((**يَقُولُ الله: يَا آدَمُ، فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ**

(١) في المخطوط (إجماعاً) وفي المطبوع (تكليفاً)، ولعل الثاني هو الأقرب لتناسبه مع العبارة التي تليها.

....

الشرح

وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ قَالَ يَقُولُ أَخْرِجْ بَعْثَ النَّارِ قَالَ وَمَا بَعْثُ النَّارِ قَالَ مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَ مِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ فَذَاكَ حِينَ يَشِيبُ الصَّغِيرُ ﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾ {الحج: ٢})).

فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ الله أَيُّنَا ذَلِكَ الرَّجُلُ، قَالَ:((أَبْشِرُوا فَإِنَّ مِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ أَلْفًا وَمِنْكُمْ رَجُلٌ ثُمَّ قَالَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنِّي لَأَطْمَعُ أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ))، قَالَ: فَحَمِدْنَا اللهَ وَكَبَّرْنَا، ثُمَّ قَالَ:((وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنِّي لَأَطْمَعُ أَنْ تَكُونُوا شَطْرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ إِنَّ مَثَلَكُمْ فِي الْأُمَمِ كَمَثَلِ الشَّعَرَةِ الْبَيْضَاءِ فِي جِلْدِ الثَّوْرِ الْأَسْوَدِ أَوْ الرَّقْمَةِ فِي ذِرَاعِ الْحِمَارِ)) أخرجه البخاري ومسلم.

وأما شمول الرسالة للجن.. فقد نص الله على ذلك فقال ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾ {الجن: ١} إلى آخر سورة الجن، وكذلك قوله تعالى﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾ {الأحقاف: ٢٩}.

وأنه بلَّغ الرسالة، وأدَّى الأمانة، وكشف الغمَّة، وجلا الظلمة، وجاهد في الله حق جهاده، وأنه يجب على الخلق تصديقه صلى الله عليه وسلم، ومتابعته فيما أمرهم به ونهاهم عنه، ....

الشرح

فائدة:

الحكمة من أن الرسل السابقين كانوا يبعثون إلى أقوامهم خاصة.. أن الناس كانوا في زمن الأنبياء السابقين متباعدين في أوطانهم، بدائيين في حياتهم، فلو أُرسل إليهم جميعاً رسولٌ واحدٌ.. لعسر عليه إبلاغهم، وكذلك ما يناسب بعضهم من الشرائع قد لا يناسب البعض الآخر، فلما تواصل البشر بالأسفار التجارية وغيرها، وتقدموا مدنياً، وتشابهت حاجاتهم.. أرسل الله تعالى إليهم جميعاً سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بشريعة واحدة تنظم حياتهم على أحسن وجه، ولها من الخصائص ما يجعلها صالحة ومصلحة لكل زمان ومكان.[1]

(و) يجب على المكلف شرعاً أن يعتقد (**أنه**) صلى الله عليه وسلم (**بلَّغ الرسالة**) التي أرسله الله بها، (**وأدَّى الأمانة**) للأمة، فلم يكتم منها شيء، (**وكشف الغمَّة، وجلا الظلمة**) أي: غمة وظلمة الجهل والكفر، (**وجاهد في الله حق جهاده**) دون تقصير ولا تأخير، (**وأنه يجب على الخلق تصديقه صلى الله عليه وسلم، ومتابعته فيما أمرهم به ونهاهم عنه**)؛

(١) انظر المختصر المفيد (١٣٩).

ومحبته واحترامه وتوقيره، وحفظ شريعته، ويحرم عليهم تكذيبه، وأنَّ حكم المكذِّب له كافر فاجر، والمخالف له عاصٍ خاسر، وأنّ سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين، لا نبي بعده، ....

الشرح

لأنه لا ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحي يوحى، (و) يجب عليهم (**محبته واحترامه وتوقيره**) صلى الله عليه وسلم، قال تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ {الأعراف: ١٥٧}.

(و) يجب عليهم كذلك (**حفظ شريعته**) من التحريف والتبديل والتغيير والتشكيك، وذلك بالعلم ووجود العلماء فيهم، (**ويحرم عليهم تكذيبه**) فيما أمر أو زجر، (**وأنَّ حكم المكذِّب له كافر فاجر، والمخالف له عاصٍ خاسر، و**)يجب أن يعتقدوا (**أنّ سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين**) والمرسلين، (**لا نبي**) ولا رسول (**بعده**)، قال تعالى ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾{الأحزاب: ٤٠}.

وأن حكم شريعته نسخ جميع الشرائع، ....

الشرح

فكل من أدَّعى النبوة بعده صلى الله عليه وسلم.. فهو كذَّاب.

(و) يجب اعتقادهم **(أن حكم شريعته نسخ جميع الشرائع)**.

والنسخ لغة: هو الإزالة والنقل، ومنه نَسَخَتِ الشمس الظل : أي: أزالته، ونَسَخْتُ الكتاب: أي: نقلته.

واصطلاحاً: رفع حكم شرعي بدليل شرعي.

والمراد بالرفع: انقطاع تعلقه بالمكلفين؛ لأنه خطاب الله تعالى، ويستحيل رفعه؛ لأنه قديم، بخلاف التعلق فلا يستحيل رفعه؛ لأنه حادث.

وجميع الأحكام هي منه سبحانه وتعالى، وقد اقتضت حكمته أن يغيّر بعض الأحكام بما يتناسب مع الوضع الجديد للبشر، فنزّل على الرسول اللاحق أحكاماً مخالفة لما أنزل على الرسول السابق، ويكون الواجب على الناس أن يعملوا بالحكم اللاحق، فمثلاً: كان في شريعة سيدنا آدم عليه السلام جواز زواج الأخ من أخته ليتكاثر البشر، إذ لم يكن على ظهر الأرض إلا آدم وحواء وأبناؤهما وبناتهما، فلما كثر البشر.. حَرُمَ الزواج بالأخت؛ لأن بنت العم تغني عنها.

....

الشرح

وفي شريعة سيدنا عيسى عليه السلام أباح الله تعالى لبني إسرائيل بعض ما حرمه عليهم من قَبْلُ عقوبة لهم، قال تعالى عن سيدنا عيسى عليه السلام ﴿ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ﴾ {آل عمران: ٥٠} .

فشريعة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وهي الشريعة الإسلامية ناسخة لجميع الشرائع السابقة، بمعنى:

١) أن كل ما خالف الشريعة الإسلامية من الشرائع السابقة المنزَّلة على الرسل السابقين منسوخ لا يجوز العمل به.

٢) أن ما وافق الشريعة من الشرائع السابقة يجب العمل به؛ لأنه أُنزِل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، لا لأنه نزل في شريعة سابقة.

وفي هذا قال الشافعية: شرع من قبلنا ليس شرعٌ لنا، إلا إن جاء في شرعنا ما يؤيده.

وقال الحنفية: شرع من قبلنا شرع لنا، إلا إذا جاء في شرعنا ما يعارضه.

٣) من اعتقد غير هذا فهو كافر؛ لأن اعتقاده حينئذٍ يخالف عموم رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، والكافر ذليل في الدنيا

....

الشرح

والآخـرة، قـال تعـالى ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْأَخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ {آل عمران: ٨٥}.

ومما ينبغي اعتقاده جواز نسخ بعض الشرع ببعضه الآخر جوازاً وقوعياً لوقوعه بالفعل، نعم: معرفة الله تعالى وتحريم الكفر لا يُنْسَخَان، وكذلك كل ما يتعلق بالعقيدة من مسائل.. لا ينسخ.

والحاصل:

أن في الكلام مقامين: مقام جواز، ومقام وقوع، فمن حيث الجواز – عقلاً – يجوز نسخ الشريعة كلاً أو بعضاً، وأما من حيث الوقوع فلا يجوز نسخ الجميع جوازاً وقوعياً؛ لأن شريعته صلى الله عليه وسلم هي آخر الشرائع التي لا تنسخ.

أنواع النسخ:

والنسخ أنواع:

الأول: نسخ الكتاب بالكتاب:

وهذا النوع منعه بعضهم كأبي موسى الأصفهاني احتجاجاً بقوله تعالى ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ﴾ {فصلت: ٤٢}، والصحيح

....

الشرح

الجواز، لأن الضمير في قوله: (يأتيه) إنما يعود لمجموع القرآن، ومجموعه لا ينسخ اتفاقاً، كما تقدم.

ونسخ الكتاب بالكتاب أنواع، وهي:

١)نسخ التلاوة والحكم معاً:

كما في نحو ((عشر رضعات معلومات يحرمن)) فإنه كان مما يتلى، فنسخ بـ((خمس رضعات يحرمن))، وفي مسلم عن السيدة عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ:((كَانَ فِيمَا أُنْزِلَ مِنْ الْقُرْآنِ عَشْرُ رَضَعَاتٍ مَعْلُومَاتٍ يُحَرِّمْنَ، ثُمَّ نُسِخْنَ بِخَمْسٍ مَعْلُومَاتٍ فَتُوُفِّيَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُنَّ فِيمَا يُقْرَأُ مِنْ الْقُرْآنِ))، فهنا نسخت التلاوة والحكم معاً، أي: في العشر الرضعات، أما في الخمس فهي من النوع الثاني وسنبينه إن شاء الله تعالى فيه.

٢) نسخ التلاوة دون الحكم:

كما في الخمس الرضعات فقد نخست تلاوتها وبقي حكمها، أما معنى قول السيدة عائشة رضي الله عنها:((فَتُوُفِّيَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُنَّ فِيمَا يُقْرَأُ مِنْ الْقُرْآنِ)).. فقد بينه الإمام النووي في شرح مسلم حيث قال: ((وَقَوْلهَا : (فَتُوُفِّيَ رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُنَّ فِيمَا

....

الشرح

يُقْرَأ)هُوَ بِضَمِّ الْيَاء مِنْ (يَقْرَأ)، وَمَعْنَاهُ أَنَّ النَّسْخ بِخَمْس رَضَعَاتٍ تَأَخَّر إِنْزَالُهُ جِدًا حَتَى أَنَّهُ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم تُوفِي وَبَعْض النَّاس يَقْرَأ خَمْس رَضَعَات وَيَجْعَلهَا قُرْآنًا مَتْلُوًّا لِكَوْنِهِ لَمْ يَبْلُغهُ النَّسْخ لِقُرْبِ عَهْده، فَلَمَّا بَلَغَهُمْ النَّسْخ بَعْد ذَلِكَ رَجَعُوا عَنْ ذَلِكَ وَأَجْمَعُوا عَلَى أَنَّ هَذَا لَا يُتْلَى)) اهـ.[1]

ومن أمثلة نسخ التلاوة دون الحكم: (**الشَّيْخُ والشَّيخَةُ إذا زَنَيا فارجُمُوهُمَا البتَّةَ نَكَالًا مِنْ الله وَالله عَلِيمٌ حَكِيمٌ**)، فهذه كانت آية تتلى في كتاب الله تعالى، ثم نسخت التلاوة وبقي الحكم.

٣)نسخ الحكم دون التلاوة:

كما في قوله تعالى ﴿ **وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ** ﴾ {البقرة: ٢٤٠}، فقد بقيت تلاوتها ونسخ حكمها بقوله تعالى﴿ **وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا** ﴾ {البقرة: ٢٣٤}.

الثاني من أنواع النسخ: نسخ السنة بالسنة:

كما في حديث:((**إِنِّي كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ فَزُورُوهَا**)) أخرجه

(١) شرح مسلم للنووي (١٠/ ١٨٣)

....

الشرح

مسلم وأحمد، فإنه صلى الله عليه وسلم نهى في بداية الإسلام عن زيرة القبور، ثم نسخ النهي بالأمر.

الثالث: نسخ السنة بالكتاب:

كما في استقبال بيت المقدس الثابت بالسنة،فإنه نسخ باستقبال الكعبة الثابت بقوله تعالى ﴿ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾ {البقرة: ١٤٤}.

الرابع: نسخ الكتاب بالسنة:

كما في قوله تعالى ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ {البقرة: ١٨٠}، فإنه نسخ بحديث:((**لاَ وَصِيَّةَ لِوَارِثٍ**)) أخرجه ابن ماجه عن أنس.

قال صاحب الجوهرة:

وخُصَّ خير الخلق أن قد تمّما	به الجميع ربُّنا وعمَّما
بعثته فشرعه لا يُنسخُ	بغيره حتى الزمانُ يُنسخُ
ونسخه لشرع غيره وقعْ	حتماً أذلَّ الله من له منعْ
ونسخ بعض شرعه بالبعضِ	أجزْ وما في ذا له من غضِّ

....

الشرح

شبهة قد تثار:

قد يثير أعداء الإسلام شبهة وهي:

كيف ينسخ الله حكماً وهو الذي يعلم بكل شيء، بمعنى هل ينزل الله الحكم للتجربة ثم يتبين له عدم صلاحية الحكم فيغيره، فإن كان ذلك فكيف يكون الله عالماً بكل شيء؟

الجواب:

أن الأمر ليس كذلك، وليست القضية قضية تجربة، إنما ينزل الله تعالى حكماً يتناسب مع وقت وزمن معين، أو لسبب معين، ثم بعد انقضاء هذا الوقت أو السبب.. يغيّر الله الحكم بما يتناسب مع هذا التغيير كما ذكرنا في نسخ الشرائع بعضها ببعض حيث أن كل شريعة تناسب زمناً معيناً ولها أسباب معينة، ولا تتناسب مع الزمن الآخر، فتنسخ بما يتناسب معه، ومن أمثلة ما ذكرنا أن في بداية شريعة سيدنا آدم جواز زواج الرجل بأخته؛ لأنه لا يوجد خلق كثيرون على ظهر الأرض فهذا سبب لجواز ذلك حتى يحصل التكاثر، فلما حصل ووجدت بنت العم غير الله الحكم وحرّم عليه الزواج من أخته؛ لأن السبب قد انتفى واستغني عن الأخت ببنت العم.

والحكمة في إرسالهم.. هداية الخلق لطريق الحق، وإصلاح معاشهم ومعادهم، وتطهيرهم من الرذائل، وتحليهم بالفضائل، والفوز بالسعادة في الدارين.

الشرح

(**والحكمة في إرساله**) صلى الله عليه وسلم هي: (**هداية الخلق لطريق الحق وإصلاح معاشهم**) أي: دنياهم، (**ومعادهم**) أي: آخرتهم، (**وتطهيرهم من الرذائل**) التي كانوا ملطخين بها، (**وتحليهم بالفضائل**) التي جاء بها الإسلام، فأوجد ما لم يكن عندهم منها، وثبَّتَ ما وجد منها فيهم كما قال صلى الله عليه وسلم: (**إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ**) أخرجه الإمام أحمد، وفي رواية البيهقي: (**لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ**)، (و) كل ذلك يوصلهم إلى (**الفوز بالسعادة في الدارين**) دار الدنيا ودار الآخرة.




الدرس الحادي والعشرون

في أوصافه صلى الله عليه وسلم

ويجب علينا أن نعتقد أنه عليه الصلاة والسلام كامل الأوصاف، وأحسن الناس خَلْقاً وخُلُقا، ....

الشرح

الدرس الحادي والعشرون

في أوصافه صلى الله عليه وسلم

(**ويجب علينا أن نعتقد أنه عليه الصلاة والسلام كامل الأوصاف**)، فهو متصف بجميع صفات الكمال البشري، كما قال القائل:

كملت محاسنه فلو أهدى السنا ... للبدر عند تمامه لم يخسفِ

وعلى تفنن واصفيه بوصفه ... يفنى الزمان وفيه ما لم يوصفِ

(و) كان صلى الله عليه وسلم (**أحسن الناس خَلْقاً وخُلُقا**)، فأما خَلقه صلى الله عليه وسلم فإن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ الله عَنْهُ كَانَ يَقُولُ:((أنَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْسَ بِالطَّوِيلِ الْبَائِنِ وَلَا بِالْقَصِيرِ وَلَا بِالْأَبْيَضِ الْأَمْهَقِ وَلَيْسَ بِالْآدَمِ وَلَيْسَ بِالْجَعْدِ الْقَطَطِ وَلَا بِالسَّبْطِ)) أخرجه البخاري ومسلم، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم (رَجُلًا مَرْبُوعًا- أي: متوسطاً بين الطويل والقصير- بَعِيدَ مَا بَيْنَ الْمَنْكِبَيْنِ عَظِيمَ الْجُمَّةِ إِلَى شَحْمَةِ أُذُنَيْهِ) أخرجه مسلم وأحمد.

وكتب الشمائل مليئة بوصفه صلى الله عليه وسلم وهو في حقه قليل

وأفضل الخلق على الإطلاق، ....

الشرح

لأن اللسان تعجز عن وصفه صلى الله عليه وسلم ولا تدرك كنه حقيقته.

وقال القرطبي رحمه الله تعالى في (كتاب الصلاة) :(لم يظهر لنا تمام حسنه صلى الله عليه وسلم ؛ لأنه لو ظهر لنا تمام حسنه.. لما طاقت أعيننا رؤيته صلى الله عليه وسلم)اهـ.

وأما خُلقه صلى الله عليه وسلم.. فقد كان صلى الله عليه وسلم أجود الناس صدراً، وأصدقهم لهجة، وألينهم عريكة، أي: طبيعة، وأكرمهم عشيرة، من رآه بديهة هابه، ومن خالطه معرفة أحبه،كما في سنن الترمذي، يقول واصفه:(لَمْ أَرَ قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ مِثْلَهُ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أخرجه الإمام أحمد.

ومن أراد معرفة أخلاقه صلى الله عليه وسلم فليراجع كتب الشمائل.

(و) هو صلى الله عليه وسلم (**أفضل الخلق على الإطلاق**)، أي: أفضل المخلوقات على العموم الشامل للعلوية منها والسفلية، من البشر والجن والملائكة، في الدنيا والآخرة، في سائر خصال وأوصاف الكمال.

وما ورد عنه صلى الله عليه وسلم من النهي عن تفضيله.. فهو محمول على تفضيل يؤدي إلى تنقيص غيره من الأنبياء، أو قاله صلى الله عليه وسلم تأدبا وتواضعاً.

....

الشرح

ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم:((**لَا تُفَضِّلُوْنِي عَلَى الأَنْبِيَاءِ**))، وقوله:((**لَا تُخَيِّرُونِي عَلَى مُوسَى**))، ومن تتبع الحديث من بدايته عرف السبب، فعن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ الله عَنْهُ قَالَ: اسْتَبَّ رَجُلٌ مِنْ الْمُسْلِمِينَ وَرَجُلٌ مِنْ الْيَهُودِ، فَقَالَ الْمُسْلِمُ: وَالَّذِي اصْطَفَى مُحَمَّدًا عَلَى الْعَالَمِينَ، فِي قَسَمٍ يُقْسِمُ بِهِ، فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: وَالَّذِي اصْطَفَى مُوسَى عَلَى الْعَالَمِينَ، فَرَفَعَ الْمُسْلِمُ يَدَهُ عِنْدَ ذَلِكَ فَلَطَمَ الْيَهُودِيَّ، فَذَهَبَ الْيَهُودِيُّ إِلَى رَسُولِ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَهُ بِالَّذِي كَانَ مِنْ أَمْرِهِ وَأَمْرِ الْمُسْلِمِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:((**لَا تُخَيِّرُونِي عَلَى مُوسَى فَإِنَّ النَّاسَ يَصْعَقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ فَإِذَا مُوسَى بَاطِشٌ بِجَانِبِ الْعَرْشِ فَلَا أَدْرِي أَكَانَ فِيمَنْ صَعِقَ فَأَفَاقَ قَبْلِي أَوْ كَانَ مِمَّنْ اسْتَثْنَى الله**)) أخرجه البخاري ومسلم.

ومن ذلك أيضا قوله صلى الله عليه وسلم:((**لَا تُفَضِّلُوْنِي عَلَى يُوْنُسَ بْنِ مَتَّى**))، وقوله صلى الله عليه وسلم عن الله:((**لَا يَنْبَغِي لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ إِنَّهُ خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى**)) أخرجه البخاري ومسلم.. فقد قال الإمام القرطبي في تفسيره:((وقال أبو المعالي: قوله صلى الله عليه وسلم (لا تفضلوني على يونس بن متى) المعنى فإني لم أكن وأنا في سدرة المنتهى بأقرب إلى الله منه، وهو في قعر البحر في بطن الحوت))؛ لتنزهُّه تعالى عن الجهة والمكان

....

الشرح

فيستوي في حقه سبحانه وتعالى مَن فوق السموات ومن في قاع البحار.

ولعل المراد من قوله صلى الله عليه وسلم:((**لَا يَنْبَغِي لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ إِنَّهُ خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى**)).. هو أنه لم يسبح اللهَ أحدٌ في قعر البحار كما فعل سيدنا يونس بن متّى عليه الصلاة السلام، فلهذا لم ينل الخيرية بالتسبيح في ذلك المكان غيره، ويدل على هذا المعنى الزيادة التي وردت في الحديث عند ابن أبي شيبة في مصنفه حيث أورد الحديث عن سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أنه قال:قال -يعني الله عز وجل- :((**لَيْسَ لِعَبْدٍ لِي أَنْ يَقُولَ إِنَّهُ خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى سَبَّحَ اللهَ فِي الظُّلُمَاتِ**)).

وقد ورد عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ الله عَنْهُ قَالَ:قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:((**أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ خُرُوجًا إِذَا بُعِثُوا وَأَنَا خَطِيبُهُمْ إِذَا وَفَدُوا وَأَنَا مُبَشِّرُهُمْ إِذَا أَيِسُوا لِوَاءُ الْحَمْدِ يَوْمَئِذٍ بِيَدِي وَأَنَا أَكْرَمُ وَلَدِ آدَمَ عَلَى رَبِّي وَلَا فَخْرَ**)) أخرجه الترمذي.

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ الله عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال:((**أَلَا وَأَنَا حَبِيبُ الله وَلَا فَخْرَ وَأَنَا حَامِلُ لِوَاءِ الْحَمْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ وَأَنَا أَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يُحَرِّكُ حِلَقَ الْجَنَّةِ فَيَفْتَحُ الله لِي فَيُدْخِلُنِيهَا وَمَعِي فُقَرَاءُ الْمُؤْمِنِينَ وَلَا فَخْرَ وَأَنَا أَكْرَمُ**

....

الشرح

الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ وَلَا فَخْرَ)) أخرجه الترمذي.

وقوله صلى الله عليه وسلم:((**وَلَا فَخْرَ**)) يحتمل معنيين:

الأول: ولا أفتخر على غيري ولا أتكبر بذلك.

الثاني: ولا فخر فوق هذا الفخر.

وقال ابن عباس:(إن الله فضل محمدا على الأنبياء وعلى أهل السماء، فقالوا: بم يا بن عباس فضله على أهل السماء ؟ فقال: إن الله تعالى قال: ﴿ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ {الأنبياء: ٢٩}.وقال لمحمد صلى الله عليه وسلم: ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ {الفتح: ١ – ٢}.

قالوا: فما فضله على الأنبياء ؟ قال: قال الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ {إبراهيم: ٤} وقال الله عز وجل لمحمد صلى الله عليه وسلم﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ ﴾ {سبأ: ٢٨} فأرسله إلى الجن والإنس)) أخرجه الدارمي في مسنده.

ويأتي بعد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في الأفضلية بقية أولي العزم من الرسل، فأولوا العزم هم: سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وهو

....

الشرح

أفضلهم، ثم سيدنا إبراهيم ، ثم سيدنا موسى، ثم سيدنا عيسى، ثم سيدنا نوح عليهم الصلاة والسلام، فهؤلاء هم أولو العزم أي: الصبر، وتفضيلهم بمقدار ما تعرضوا لهم من الأذى وصبروا عليه، ثم يأتي بعدهم بقية الرسل ثم الأنبياء غير الرسل، وهم متفاضلون عند الله تعالى، وبعدهم في الفضل رؤساء الملائكة وهم: جبريل، وهو أفضل الملائكة على المشهور، فميكائيل، فإسرافيل، فملك الموت، ثم أولياء البشر غير الأنبياء كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي، ثم عامة الملائكة، ثم عامة الناس.

قال في الجوهرة:

وخيرهم مَن وليَ الخلافهْ وأمرُهم في الفضل كالخلافهْ

وقد ذهب القاضي أبو عبدالله الحليمي مع آخرين – كالمعتزلة – إلى أن الملائكة أفضل من الأنبياء ما خلا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

وقد فصل السادة الماتريدية في ذلك فقالوا: أن الأنبياء أفضل من رؤساء الملائكة، ورؤساء الملائكة أفضل من عوام البشر، وليس المراد بالعوام هنا ما يشمل الفسّاق، وعوام البشر المذكورون أفضل من عوام الملائكة.

....

الشرح

ويدخل في الرؤساء من الملائكة حملة العرش، وهم ثمانية يوم القيامة لمزيد الجلال، أما في الدنيا فهم أربعة؛ لأن الله تعالى لما ذكر في الآية الثمانية قال (يومئذٍ) أي: يوم القيامة، أما في الدنيا فهم أربعة.

وقد ذكر الثعلبي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:((حملة العرش اليوم أربعة، فإذا كان يوم القيامة أيّدهم الله بأربعة آخرين فكانوا ثمانية))، وخرّجه الماوردي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((**يَحْمِلُهُ اليَوْمَ أرْبَعَةٌ،وَهُمْ وَيَوْم القِيامَةِ ثَمانِيَةٌ**))، وأخرجه كذلك ابن جرير عن ابن زيد.

ومن رؤساء الملائكة الكروبيون، وهم حافون بالعرش، لقِّبوا بذلك لأنهم متصدون للدعاء برفع الكرب عن الأمة.

والخلاصة:

أن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هو أفضل الخلق على الإطلاق، قال صاحب الجوهرة:

وأفضل الخلق على الإطلاقِ نبينا فمل عن الشقاقِ

ثم سيدنا إبراهيم، ثم سيدنا موسى، ثم سيدنا عيسى، ثم سيدنا نوح، وهؤلاء هم أولوا العزم كما تقدم، ثم بقية الرسل، ثم الأنبياء من غير الرسل، وهم متفاضلون فيما بينهم عند الله تعالى، ثم جبريل، ثم ميكائيل،

وأرجحهم عقلاً،...

الشرح

ثم بقية الرؤساء، ثم عوام البشر. كساداتنا أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، والمراد بالعوام هنا أي: من ليسوا بأنبياء، ثم عوام الملائكة، وهم متفاضلون فيما بينهم عند الله أيضاً.

قال صاحب الجوهرة:

والأنبيـــاء يلونـــهُ في الفضـــلِ وبعـــدهم ملائكـــهْ ذي الفضـــلِ
هـــذا وقـــوم فصَّـــلوا إذ فضـــلَّوا وبعـــد كـــلٍّ بعضَـــه قـــد يفضُـــلُ

فائدة:

يمتنع الهجوم فيما لم يرد فيه توقيف.

قال السعد: ولا قاطع في المقامات.

وقال تاج الدين السبكي:(ليس تفضيل المَلَك على البشر مما يجب اعتقاده ويضر الجهل به، ولو لقي المسلمُ اللهَ ساذجاً من المسألة بالكلية.. لم يكن عليه إثم، والسلامة في السكوت عن هذه المسألة).[١]

(و) كما وجب على المكلف شرع اعتقاد أن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أفضل الخلق على الإطلاق.. يجب عليه أيضاً أن يعتقد أنه صل الله عليه وسلم (**أرجحهم عقلاً**) وذكاءً وفطنة، فهو صلى الله عليه وسلم

(١) انظر المختصر المفيد (١٣٥).

وأصدقهم حديثاً، ....

الشرح

صاحب العقل الكامل، (و) أن يعتقد أيضاً أنه صلى الله عليه وسلم (**أصدقهم حديثاً**) فما صدر عنه الكذب قط؛ بل حتى في المواقف التي أجاز الشرع فيها الكذب.. لم يكذب صلى الله عليه وسلم، بل كان يوري، فيأتي باللفظ الذي يوهم السامع غير المراد كما فعل في غزوة بدر حين خرج يطلب خبر القوم، قال ابن هشام في سيرته مبينا هذه القصة:((ثُمّ ارْتَحَلَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مِنْ ذَفِرَانَ ، فَسَلَكَ عَلَى ثَنَايَا يُقَالُ لَهَا الْأَصَافِرُ ، ثُمّ انْحَطّ مِنْهَا إلَى بَلَدٍ يُقَالُ لَهُ الدّبّةُ وَتَرَكَ الْحَنّانَ بِيَمِينٍ وَهُوَ كَثِيبٌ عَظِيمٌ كَالْجَبَلِ الْعَظِيمِ ثُمّ نَزَلَ قَرِيبًا مِنْ بَدْرٍ فَرَكِبَ هُوَ وَرَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : الرّجُلُ هُوَ أَبُو بَكْرٍ الصّدّيقُ . قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ كَمَا حَدّثَنِي مُحَمّدُ بْنُ يَحْيَى بْن حِبّانَ : حَتّى وَقَفَ عَلَى شَيْخٍ مِنْ الْعَرَبِ ، فَسَأَلَهُ عَنْ قُرَيْشٍ ، وَعَنْ مُحَمّدٍ وَأَصْحَابِهِ وَمَا بَلَغَهُ عَنْهُمْ فَقَالَ الشّيْخُ لَا أُخْبِرُكُمَا حَتّى تُخْبِرَانِي مِمّنْ أَنْتُمَا ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ:((**إذَا أَخْبَرْتنَا أَخْبَرْنَاك**)) قَالَ: أَذَاكَ بِذَاكَ ؟ قَالَ:((**نَعَمْ**)) قَالَ الشّيْخُ فَإِنّهُ بَلَغَنِي أَنّ مُحَمّدًا وَأَصْحَابَهُ خَرَجُوا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا ، فَإِنْ كَانَ صَدَقَ الّذِي أَخْبَرَنِي ، فَهُمْ الْيَوْمَ بِمَكَانِ كَذَا وَكَذَا ، لِلْمَكَانِ الّذِي بِهِ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَبَلَغَنِي أَنّ قُرَيْشًا خَرَجُوا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا ، فَإِنْ كَانَ الّذِي أَخْبَرَنِي صَدَقَنِي فَهُمْ الْيَوْمَ

وأوثقهم أمانة، وأعظمهم حقاً، وأوسعهم رحمة وعلماً،....................

الشرح

بِمَكَانِ كَذَا وَكَذَا لِلْمَكَانِ الّذِي فِيهِ قُرَيْشٌ . فَلَمّا فَرَغَ مِنْ خَبَرِهِ قَالَ: مِمّنْ أَنْتُمَا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ:((**نَحْنُ مِنْ مَاءٍ**)) ثُمّ انْصَرَفَ عَنْهُ قَالَ يَقُولُ الشّيْخُ مَا مِنْ مَاءٍ أَمِنْ مَاءِ الْعِرَاقِ ؟ قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : يُقَالُ ذَلِكَ الشّيْخُ سُفْيَانُ الضّمَرِيّ))اهـ. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقصد ﴿ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴾ {المرسلات: ٢٠}، وظن الرجل أنهم من بقعة أو مكان يقال له ماء.

(و) يجب أن يعتقد المكلف شرعاً كذلك أنه صلى الله عليه وسلم (**أوثقهم أمانة**)، فما خان أمانة قط، بل كان يدعى بمكة بالصادق الأمين، (**وأعظمهم حقاً**) فلا حق لمخلوق أعظم من حقه صلى الله عليه وسلم إذ هدى الأمة وأرشدهم إلى ما فيه نجاتهم في الدنيا والآخرة، وبه أنقذ الله البشرية فأجزه اللهم عنا أفضل ما جازيت نبياً عن أمته.

(**وأوسعهم رحمة وعلماً**) فرحمته شملت العالمين، قال تعالى ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ {الأنبياء: ١٠٧}، وقال تعالى ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ {آل عمران: ١٥٩}، وكان صلى الله عليه وسلم أوسعهم علما، إذ هو منبع العلوم، ومنه يؤخذ

وأن لونه صل الله عليه وسلم أبيض مشرَّبٌ بحمرة، ....

الشرح

العلم، ولا علم يوازي علمه، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم الناس، وأزهد الناس، وأكرم الناس، وأعدل الناس، وأصلح الناس، وأعف الناس، لم تمس يده يد امرأة لا يملك رقها قط، أو تكون ذات محرم منه صلى الله عليه وسلم.

وعن سيدنا علي كرم الله وجهه قال:((**كَانَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجْوَدَ النَّاسِ كَفًّا وَأَشْرَحَهُمْ صَدْرًا وَأَصْدَقَ النَّاسِ لَهْجَةً وَأَلْيَنَهُمْ عَرِيكَةً وَأَكْرَمَهُمْ عِشْرَةً مَنْ رَآهُ بَدِيهَةً هَابَهُ وَمَنْ خَالَطَهُ مَعْرِفَةً أَحَبَّهُ يَقُولُ نَاعِتُهُ لَمْ أَرَ قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ مِثْلَهُ**)) أخرجه الترمذي.

(و) أن يعرف المكلف (**أن لونه صل الله عليه وسلم أبيض مشرَّبٌ بحمرة**) فلم يكن بالأبيض الأمهق، أي: شديد البياض دون حمرة بل كان بياضه مشرَّب بحمرة كما في رواية النسائي وغيره.

وكان صلى الله عليه وسلم:((رَبْعَةً فِي الطُّوْلِ لَيْسَ بِالطَّوِيلِ الْبَائِنِ وَلَا بِالْقَصِيرِ الْبَائِنِ)) كما في البخاري ومسلم، ولكن لو مشى بين الرجلين الطويلين كان أطولهما صلى الله عليه وسلم.

ولم يكن شعره صلى الله عليه وسلم بِالْجَعْدِ الْقَطَطِ وَلَا بِالسَّبْطِ، والجعد من في شعره التواء، والقطط شديد الجعودة، والسبط مسترسل

....

الشرح

الشعر، بل كان صلى الله عليه وسلم وسطاً بين ذلك، كما ورد أنه صلى الله عليه وسلم رَجِلَ الشَّعْرِ أي: في شعره تكسر قليل، كما في الروايات الصحيحة عند البخاري ومسلم وأحمد وغيرهم.

وكان صلى الله عليه وسلم عَظِيمَ الْجُمَّةِ إِلَى شَحْمَةِ أُذُنَيْهِ كما في صحيح مسلم، والجمة هي: مجتمع شعر الرأس وهي أكثر من الوفرة واللمّة، فالوفرة: ما بلغت شحمة الأذن، والجمة ما بلغت المنكب، واللمّة ما بينهما، وقد كان شعره صلى الله عليه وسلم بين الجمة والوفرة، فإن طال لم يجاوز الوفرة.

ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم بِالْمُطَهَّمِ ، أي: البادن الكثير اللحم، وَلَا بِالْمُكَلْثَمِ،أي: مدوّر الوجه، وَكَانَ فِي وَجْهِهِ تَدْوِيرٌ، إذا نظر إليه الناظر ظنّ أنه مدور وهو غير مدور، كما وردكل ذلك عند الترمذي.

وكان صلى الله عليه وسلم أَدْعَجَ الْعَيْنَيْنِ، كما في الصحيح ومعنى أدعج العينين أي: شديد سوادهما، وكان صلى الله عليه وسلم أشكلهما كما في مسلم، أي: في بياضهما حمرة، وكان صلى الله عليه وسلم أَهْدَبُ الْأَشْفَارِ، أي: طويل شعر الأجفان؛ لأن الأشفار بمعنى الأجفان، وكان صلى الله عليه وسلم جَلِيلُ الْمُشَاشِ – أي: العظام – وَالْكَتَدِ – أي: مجتمع الكتفين –

وأنه صلى الله عليه وسلم ولد بمكة المشرفة، ....

الشرح

والمعنى أنه صلى الله عليه وسلم عظيم رؤوس العظام ومجتمع الكتفين.

وكان صلى الله عليه وسلم أَجْرَدُ، أي: غير أشعر البدن، ذَا مَسْرُبَةٍ، وهي الشعر الدقيق الذي كأنه قضيب من الصدر إلى السرة، وكان صلى الله عليه وسلم شثن الكفين والقدمين، أي: غليظهما.

وكان صلى الله عليه وسلم أَبْلَجَ الحَاجِبَيْنِ، أي: كان بين حاجبيه فرجة بيضاء دقيقة كأنها الفضة المخلّطة،كما في مسند الإمام أحمد، وفي بعض الروايات عند الحاكم أنه كان صلى الله عليه وسلم أقرن الحاجبين أي: ملتصقهما، وجُمع بين الروايتين بأن الفرجة البيضاء التي بين الحاجبين لا تتبيّن إلا لمتأمل، فمن روى أن حاجبيه مقرونتان.. فقد رآه من بعد، ومن روى أنه أبلج الحاجبين.. فقد رآه من قرب مع تأملٍ.

وكان صلى الله عليه وسلم أزجِّ الحواجب، أي: مقوسهما مع طول.

وقد ورد في كتب الشمائل الكثير من أوصافه صلى الله عليه وسلم فليراجعها من أراد ذلك.

(و) يجب على المكلف شرعاً؛ بل وعلى الآباء والأمهات أن يعلموا أولادهم الصغار (**أنه صلى الله عليه وسلم ولد بمكة المشرفة**) قبيل الفجر يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول على أصح الأقوال، بعد مضي

وبعث بها، وعمره إذ ذاك أربعون سنة، وهاجر إلى المدينة المنورة ومات ودفن بها، وعمره إذ ذاك ستون سنة على الراجح.

الشرح

خمسين يوماً من إهلاك الله تعالى لجيش أبرهة الأشرم عندما أراد تهديم الكعبة المشرفة.

(و)أنه صلى الله عليه وسلم (**بعث بها**) ي بمكة المكرمة، (**وعمره إذ ذاك أربعون سنة، وهاجر إلى المدينة المنورة**) بعد ثلاثة عشرة سنة من البعثة، وعمره إذ ذاك ثلاث وخمسون سنة، (**ومات ودفن بها**) أي: بالمدينة المنورة (**وعمره إذ ذاك ستون سنة على الراجح**)، وهذه رواية الإمام أحمد في مسنده عن أنس بن مالك ﷺ حيث قال:(تُوُفِّيَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ ابْنُ سِتِّينَ سَنَةً لَيْسَ فِي رَأْسِهِ وَلِحْيَتِهِ عِشْرُونَ شَعْرَةً بَيْضَاءَ)، وفي رواية للإمام أحمد عن بْنَ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قال:(تُوُفِّيَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ ابْنُ خَمْسٍ وَسِتِّينَ)، وقد وردت روايات أخرى عن ابن عباس كما سنذكرها قريبا إن شاء الله تعالى مخالفة لهذه الرواية، وفي رواية مسلم عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ:(قُبِضَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ)، وقد جمع الحافظ ابن كثير في سيرته بين الروايتين بقوله:((وهذا لا ينافى ما تقدم عن أنس؛ لان العرب كثيرا ما تحذف الكسر)) اهـ.

....

الشرح

والرواية المشهورة أنه ابن ثلاث وستين سنة كما هو معروف في كتب السير والمغازي، فعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ الله عَنْهَا:(أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تُوُفِّيَ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ) أخرجه البخاري ومسلم.

وعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ الله عَنْهُمَا قَالَ:(بُعِثَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَرْبَعِينَ سَنَةً فَمَكُثَ بِمَكَّةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً يُوحَى إِلَيْهِ ثُمَّ أُمِرَ بِالْهِجْرَةِ فَهَاجَرَ عَشْرَ سِنِينَ وَمَاتَ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ) أخرجه البخاري ومسلم.

الصحيح في تاريخ وفاته صلى الله عليه وسلم:

وكانت وفاته صلى الله عليه وسلم في شهر ربيع الأول، وفي يوم الاثنين منه بإتفاق أهل العلم، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ:(**وُلِدَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ وَاسْتُنْبِئَ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ وَتُوُفِّيَ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ وَخَرَجَ مُهَاجِرًا مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ وَقَدِمَ الْمَدِينَةَ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ وَرَفَعَ الْحَجَرَ الْأَسْوَدَ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ**) أخرجه الإمام أحمد.

وعَنْ جَرِيرٍ قَالَ: قَالَ لِي حَبْرٌ بِالْيَمَنِ إِنْ كَانَ صَاحِبُكُمْ نَبِيًّا فَقَدْ مَاتَ الْيَوْمَ، قَالَ جَرِيرٌ: فَمَاتَ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. أخرجه الإمام أحمد.

وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: (تُوُفِّيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

....

الشرح

يَوْمَ الِاثْنَيْنِ وَدُفِنَ لَيْلَةَ الْأَرْبِعَاءِ) أخرجه الإمام أحمد.

وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أيضاً أَنَّهَا قَالَتْ:(إِنَّ أَبَا بَكْرٍ قَالَ لَهَا يَا بُنَيَّةُ أَيُّ يَوْمٍ تُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُلْتُ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ) أخرجه البخاري وأحمد.

إلا أن ابن قتيبة ذكر في المعارف أن وفاته صلى الله عليه وسلم كانت يوم الأربعاء، وقال أكثر أهل العلم أن وفاته كانت في الثاني عشر من شهر ربيع الأول، **والصحيح**: أنه لا يمكن أن تكون وفاته صلى الله عليه وسلم في يوم الاثنين المتفق عليه وفي الثاني عشر من ربيع؛ لإجماع المسلمين على أن وقفة عرفة في حجة الوداع كانت يوم الجمعة، وهو التاسع من ذي الحجة من غير خلاف، فعَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ قَالَ:جَاءَ رَجُلٌ مِنْ الْيَهُودِ إِلَى عُمَرَ ﵁ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّكُمْ تَقْرَءُونَ آيَةً فِي كِتَابِكُمْ لَوْ عَلَيْنَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ نَزَلَتْ لَاتَّخَذْنَا ذَلِكَ الْيَوْمَ عِيدًا، قَالَ: وَأَيُّ آيَةٍ هِيَ، قَالَ: قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي ﴾ {المائدة: ٣}، قَالَ، فَقَالَ عُمَرُ ﵁:(وَاللهِ إِنِّي لَأَعْلَمُ الْيَوْمَ الَّذِي نَزَلَتْ فِيهِ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالسَّاعَةَ الَّتِي نَزَلَتْ فِيهَا عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

....

الشرح

عَشِيَّةَ عَرَفَةَ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ) أخرجه البخاري، ومسلم، و أحمد، وغيرهم.

فيكون بذلك دخول شهر ذي الحجة بيوم الخميس، فيكون المحرّم إما يوم الجمعة على تقدير خروج الشهر تسعاً وعشرين يوماً، أو السبت على تقدير خروجه ثلاثين يوماً، فإن كان المحرم بالجمعة.. فيكون صفرٌ بالسبت، وإن كان المحرم بالسبت.. فيكون صفرٌ بالأحد، فإن كان صفر بالسبت.. فيكون ربيع الأول بالأحد، وإن كان صفر بالأحد فيكون ربيع الأول بالإثنين، وكيفما دارت الحال على هذا الحساب.. فلم يكن الثاني عشر من ربيع الأول يوم الاثنين بوجه من الوجوه، ولا الأربعاء أيضاً، لكن يمكن أن يكون في الثاني من الشهر أو الثالث عشر أو الرابع عشر أو الخامس عشر، ولهذا نجد الخلاف في ذلك بين أهل العلم، حيث ذكر الطّبَرِيّ عن ابن الْكَلْبِيّ وَأَبِي مِخْنَفٍ أَنّهُ تُوُفّيَ فِي الثّانِي مِنْ رَبِيعٍ الْأَوّلِ، وهذا لا يبعد إن كانت الثلاثة الأشهر التي قبلها كلها من تسعة وعشرين، وقال الْخَوَارِزْمِيّ أَنّهُ تُوُفّيَ صلى الله عليه وسلم فِي أَوّلِ يَوْمٍ مِنْ رَبِيعٍ الْأَوّلِ،[1] والأقرب إلى الصواب هو أنه صلى الله عليه وسلم توفي يوم الاثنين في

(١) انظر الروض الأنف للإمام الشيخ عبد الرحمن السهيلي (طبعة دار الكتب العلمية) (٤/ ٤٤٠)

....

الشرح

الخامس عشر من ربيع الأول كما ذكره بعض شيوخنا، ويؤيد ذلك ما أخرجه أبو نعيم عن الحارث بن خزمة قال : قدم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المدينة يوم الاثنين لأربع عشرة من ربيع الأول، وكان يوم بدر يوم الاثنين من رمضان ، وتوفى يوم الاثنين لخمس عشرة من ربيع الأول.

الخلاصة:

أن أهل العلم أتفقوا على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي يوم الاثنين، وهذا يجعل من المستحيل أن يصادف يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول الذي ذهب إليه أكثر أهل العلم؛ لأنهم اتفقوا على أن الوقوف بعرفة في حجة الوداع وقع بيوم الجمعة وهو يوم التاسع، وعلى جميع التقادير في خروج الأشهر (ذي الحجة والمحرم وصفر) لن يكون يوم الاثنين هو يوم الثاني عشر من ربيع؛ بل سيكون إما اليوم الثاني منه، أو الثالث عشر أو الرابع عشر أو الخامس عشر، والأقرب هو الخامس عشر،كما ورد في حديث أبي نعيم، والله أعلم.

ودفن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الأربعاء، كما تقدم في الحديث عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أنها قَالَتْ: (**تُوُفِّيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ**

وأنه عليه الصلاة والسلام حي في قبره.

الشرح

وَسَلَّمَ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ وَدُفِنَ لَيْلَةَ الْأَرْبِعَاءِ) أخرجه الإمام أحمد، وقيل: أنه صلى الله عليه وسلم دفن يوم الأربعاء، وقيل: يوم الثلاثاء.

(و)يجب اعتقاد (**أنه عليه الصلاة والسلام حي في قبره**)، فقد ورد عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:((**الْأَنْبِيَاء أَحْيَاء فِي قُبُورهِمْ**)) أخرجه أبويعلى، والبيهقي، وابن عساكر والديلمي.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:((**مَا مِنْ أَحَدٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ إِلَّا رَدَّ الله عَلَيَّ رُوحِي حَتَّى أَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ**)) أخرجه أحمد، وأبو داود، والبيهقي، قال الحافظ ابن حجر في الفتح:(ورواته ثقات)، ولربما وُجِدَ عند البعض إشكال في لفظ الحديث وهو أن ظاهره أن عود الروح إلى الجسد يقتضي انفصالها عنه وهو الموت، والجواب هو ما ذكره الحافظ ابن حجر في الفتح حيث قال:((وقد أجاب العلماء عن ذلك بأجوبة **أحدها**: أن المراد بقوله (رد الله علي روحي) أن رد روحه كانت سابقة عقب دفنه، لا أنها تعاد ثم تنزع ثم تعاد، **الثاني**: سلمنا لكن ليس هو نزع موت بل لا مشقة فيه، **الثالث**: أن المراد بالروح الملك الموكل بذلك، **الرابع**: المراد بالروح النطق فتجوز فيه من جهة خطابنا بما نفهمه، **الخامس**: أنه يستغرق في أمور

....

الشرح

الملأ الأعلى فإذا سلم عليه رجع إليه فهمه ليجيب من سلم عليه)) اهـ.[1]

وقال الإمام أبو عبدالرحمن شرف الحق محمد أشرف الصديقي العظيم آبادي في كتابه (عون المعبود شرح سنن أبي داود): ((قَالَ فِي فَتْح الْوَدُود: إِلَّا رَدَّ اللهُ عَلَيَّ رُوحِي.. مِنْ قَبِيل حَذْف الْمَعْلُول وَإِقَامَة الْعِلَّة مَقَامه، وَهَذَا فَنّ فِي الْكَلَام شَائِع فِي الْجَزَاء وَالْخَبَر مِثْل قَوْله تَعَالَى ﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ ﴾ {آل عمران: ١٨٤}، أي: فَإِنْ كَذَّبُوك فَلَا تَحْزَن فَقَدْ كُذِّبَ .. إِلَخْ، فَحُذِفَ الْجَزَاء وَأُقِيمَ عِلَّته مَقَامه، وَقَوْله تَعَالَى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾ {الكهف: ٣٠}، أي: إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَات فَلَا نُضِيع عَمَلهمْ لِأَنَّا لَا نُضِيع أَجْر مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا، فَكَذَا هَا هُنَا يُقَدَّر الْكَلَام أي: مَا مِنْ أَحَد يُسَلِّم عَلَيَّ إِلَّا أَرُدّ عَلَيْهِ السَّلَام لِأَنِّي حَيّ أَقْدِر عَلَى رَدّ السَّلَام وَقَوْله حَتَّى أَرُدّ عَلَيْهِ، أي: فَسَبَب ذَلِكَ حَتَّى أَرُدّ عَلَيْهِ فَحَتَّى هُنَا حَرْف اِبْتِدَاء تُفِيد السَّبَبِيَّة مِثْل مَرِضَ فُلَان حَتَّى لَا يَرْجُونَهُ، لَا بِمَعْنَى كَيْ، وَبِهَذَا اِتَّضَحَ مَعْنَى الْحَدِيث وَلَا

---

(١) فتح الباري (٦/ ٥٣٢).

....

الشرح

يُخَالِف مَا ثَبَتَ حَيَاة الْأَنْبِيَاء عَلَيْهِمْ السَّلَام)) اهـ.(١) وربما ورد إشكال آخر وهو أنه يستلزم استغراق الزمان كله في ذلك لاتصال الصلاة والسلام عليه في أقطار الأرض ممن لا يُحصى كثرة، وقد أجاب الحافظ ابن حجر على هذا الإشكال بقوله: ((أن أمور الآخرة لا تدرك بالعقل، وأحوال البرزخ أشبه بأحوال الآخرة)) اهـ.(٢)

وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **((حَيَاتِي خَيْرٌ لَكُمْ تُحْدِثُونَ وَيُحْدَثُ لَكُمْ وَوَفَاتِي خَيْرٌ لَكُمْ تُعْرَضُ عَلَيَّ أَعْمَالُكُمْ فَمَا رَأَيْت مِنْ خَيْرٍ حَمِدْت اللهَّ عَلَيْهِ وَمَا رَأَيْت مِنْ شَرٍّ اسْتَغْفَرْت اللهَ لَكُمْ))** أخرجه البزار، قال الهيثمي ورجاله رجال الصحيح.



---

(١) عون المعبود (طبعة شركة القدس للنشر والتوزيع) (٣/ ٥٣١).

(٢) فتح الباري (٦/ ٥٣٢).

الدرس الثاني والعشرون

في نسبه من جهة أبيه وأمه صلى الله عليه وسلم

يجب معرفة نسبه صلى الله عليه وسلم من جهة أبيه وأمه، فأما نسبه من جهة أبيه فهو: سيدنا محمد بن عبدالله



الدرس الثاني والعشرون

في نسبه من جهة أبيه وأمه صلى الله عليه وسلم

(**يجب**) على المكلف شرعاً (**معرفة نسبه صلى الله عليه وسلم من جهة أبيه وأمه**)، كما ينبغي للآباء والأمهات تعليم أولادهم في صغرهم هذا النسب الكريم الشريف المبارك.

(**فأما نسبه من جهة أبيه فهو: سيدنا محمد بن عبدالله**)، ولد أبوه عبدالله بمكة قبل الهجرة بنحو إحدى وثمانين سنة، قيل أنه أصغر أبناء عبدالمطلب، والصحيح أن قُثماً والعباس وحمزة كانوا أصغر منه.

وأم أبيه عبدالله وإخوانه أبي طالب والزبير وعبد الكعبة هي: فاطمة بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم بن مرة بن كعب.

وكان عبدالله يعرف بالذبيح؛ وسبب ذلك أن أباه نذر: لئن ولد له عشرة من الأبناء، وشبوا في حياته.. لينحرنَّ أحدهم عند الكعبة، فشبَّ له عشرة، فضُربت الأقداح بينه، فخرجت على عبدالله، وكان أحبهم إليه، وكان يسهم بينه وبين عشرة من الإبل؛ لأن العشرة من الإبل إذ ذاك دية

....

الشرح

الرجل، فكلما وقع السهم على عبدالله زاد عشرة حتى بلغت الإبل المائة فوقع السهم عليه، فنُحرت وتُركت لا يُصد عنها إنسان أراد أخذ شيء منها ولا طائر ولا سبع، ومن حينئذٍ صارت الدية مائة من الإبل، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم: ((**أَنَا ابْنُ الذَّبِيْحَيْنِ**)) أخرجه الحاكم، والمراد بالذبيحين: عبدالله والده صلى الله عليه وسلم ونبي الله إسماعيل بن إبراهيم عليهم السلام، وهو الصحيح خلافاً لمن قال أن الذبيح هو إسحاق، ودليل ذلك: أن الذبح كان بمكة؛ ولذلك جُعلت القرابين يوم النحر بها، كما جُعل السعي بين الصفا والمروة ورمي الجمار تذكيراً لشأن إسماعيل وأمه، ومعلوم أنهما هما اللذان كانا بمكة دون إسحاق وأمه، ولو كان الذبح بالشام كما يزعم أهل الكتاب ومن تلقى عنهم.. لكانت القرابين والنحر بالشام لا بمكة، وأيضاً مما يدل على أن الذبيح هو إسماعيل عليه السلام ظاهر القرآن الكريم، فإن الله تعالى سمى الذبيح حليماً في قوله تعالى ﴿ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴾ {الصافات: ١٠١}؛ لأنه لا أحلم ممن سلّم نفسه للذبح طاعة لربه ، مع كونه مراهقاً ابن ثمان سنين أو ثلاث عشرة سنة، ولما ذكر الحق تعالى سيدنا إسحاق عليه السلام.. سماه عليما، فقال تعالى: ﴿ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴾

....

الشرح

{الحجر: ٥٣}، وقال أيضاً ﴿ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴾ {الذاريات: ٢٨}، وأيضا فإن الله تعالى بعد أن قص في كتابه قصة الذبح قال ﴿ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ {الصافات: ١١٢}، وأيضا فإن الله تعالى أجرى العادة البشرية أن يكون أكبر الأولاد أحب إلى الوالدين ممن بعده، وسيدنا إبراهيم عليه السلام لما سأل الله الولد ووهبه له.. تعلقت شعبة من قلبه بمحبته، فأمر بذبح المحبوب، فلما قدم على ذبحه وكانت محبة الله أعظم من محبة الولد.. خلصت الخِلّة حينئذٍ من شوائب المشاركة، فلم يبقَ في الذبح مصلحة، إذ كانت المصلحة إنما هي العزم على توطين النفس، وقد حصل المقصود، فنُسخ الأمر، وفُدي الذبيح وصدّق الخليلُ الرؤيا عليهم الصلاة والسلام، ولبعضهم:

إن الذبيح فديت إسماعيلُ   نطق الكتاب بذاك والتنزيلُ
شرف به خص الإله نبينا   وأبانه التفسير والتأويلُ

وروي فيما ذكره المعافي بن زكريا أن عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه سأل رجلاً أسلم من اليهود: أي: ابني إبراهيم أُمر بذبحه؟ فقال: والله يا أمير المؤمنين إن اليهود ليعلمون أنه إسماعيل ولكنهم يحسدونكم معشر

....

الشرح

العـرب أن يكـون الـذبيح أبـاكم، فهـم يجحـدون ذلـك ويزعمـون أنـه إسحاق.[1]

وكان عبدالله والد النبي صلى الله عليه وسلم أحسن رجل في قريش خَلقاً وخُلقاً، تزوج بالسيدة آمنة أم النبي صلى الله عليه وسلم بمكة أيام منى في شعب أبي طالب، وسنّه إذ ذاك ثمان عشرة سنة، وقيل ثلاثون سنة.

ثم لما حملت السيدة آمنة منه برسول الله صلى الله عليه وسلم.. ارتحل مع قريش بتجارة إلى غزّة، ولما مرّوا بالمدينة عائدين.. تخلف بها سيدنا عبدالله ليمتار منها تمراً، وليزور أخوال أبيه بني عدي بن النجار، فمرض وأقام بها عندهم شهراً مريضاً، ثم توفي ودفن بالمدينة على الصحيح، وقيل أنه ارتحل عنهم، ثم لما كان بـ(ـالأبواء).. أدركته الوفاة ودفن بها، والأبواء هو: موضع بين مكة والمدينة، وسمي بالأبواء لتبوُّء السيول ، وهو من عمل الفرع، وهو قريب من الجحفة بينه وبينها مما يلي المدينة ثلاثة وعشرون ميلا.

وكانت وفاته، أي: عبدالله والد النبي صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة بنحو ثلاث وخمسين سنة وعمره تقريباً ثمانية وعشرون سنة، قبل واقعة الفيل بنحو ثمانية أشهر، وبعد أن تمّ من حمل زوجته آمنه بابنه رسول

---

(١) انظر السيرة الدحلانية للشيخ أحمد بن زيني دحلان (طبعة دار الفكر) (١/ ٣٧-٣٨).

بن عبدالمطلب، ....

الشرح

الله صلى الله عليه وسلم شهران، وهذا هو الصحيح في تاريخ وفاته.

وقيل: أنه توفي بعد أن مضى من ميلاد رسول الله صلى الله عليه وسلم شهران، وقيل: سبعة أشهر، وقيل: ثمانية وعشرون شهراً.[1]

وسيدنا عبدالله هو (**بن عبدالمطلب**) واسمه شيبة الحمد، سمي بذلك لأنه ولد وفي رأسه شيبة، أو تفاؤلاً بأنه يبلغ سن الشيب، وأضيف للحمد؛ لكثرة حمد الناس له؛ لأنه مَفْزَعُ قريشٍ عند النوائب وملجؤها عند الشدائد.

وقيل: أن اسمه عامر، وكنيته أبو الحارث، وأما عبدالمطلب فلقب غلب عليه.

وسببه: أن أباه هاشماً كان متزوجاً بالمدينة ولم يدرِ به أحد، وولد عبدالمطلب بالمدينة وتربّى عند أمّه سلمى بنت عمرو بن ديد بن لبيد بن خداش بن عامر بن الفجار الخزرجيّة، ولما مات أبوه هاشم ذهب به عمّه المطلب بن عبدمناف إلى مكة بعد أن استأذن من أمّه وقال لها: إن ابن أخي غريب في غير قومه، ونحن أهل بيت شرف في قومنا، وقومه وعشيرته

(١) انظر الصرح الممرد والفخر المؤبد لآباء سيدنا محمد للعلامة الحبيب عمر بن علوي الكاف (طبعة دار الحاوي) (١٦٧-١٦٩).

....

الشرح

وبلده خير من الإقامة في غيرهم، فأذنت له، فقدم به مكة مردفه خلفه، وقد كساه حلّة يمانية، وكان آدم اللون أي: مائلاً إلى السمرة، فقال الناس عبدالمطلب، فلزمه ذلك.

وقيل: أن سبب التسمية أن أباه هاشماً قال لأخيه المطلب – وهو محتضر – أدرك عبدك بيثرب، فأدركه وأخذه من أمه، وقال هاشم ذلك مستعطفاً.

وقيل: أن عمه المذكور دخل به مكة في ثياب رثة، فكان إذا سئل من هذا؟ يقول هو عبدي؛ حياءً من أن يقول: إنه ابن أخي، ثم لما حسن حاله.. أظهر أنه ابن أخيه، وقيل: لأنه تربى يتيماً في حجر المطلب، وكانوا يسمُّون اليتيم عبداً لمن تربى في حجره.[1]

وكان عبدالمطلب عاقلاً ذا أناءة ونجدة، فصيح اللسان، أحبه قومه ورفعوا من شأنه، فكانت له السقاية والرفادة، **والسقاية** هي: سقاية الحجّاج في الموسم حتى يتفرقوا، **والرفادة** وهي: إطعام الفقراء من الحجّاج أيام الموسم حتى يتفرقوا، **وأما القيادة** فهي: إمارة الركب.

وقد اصطلحت قريش على جعل الرفادة والسقاية والقيادة لبني عبد مناف

---

(١) انظر الصرح الممرد (١٣٩)، والسيرة الدحلانية (١/ ٣٠).

....

الشرح

الآتي ذكره إن شاء الله تعالى، والحجابة واللواء لبني عبد الدار، ودار الندوة بينهم بالاشتراك، وقيل: أن دار الندوة بقيت في يد بني عبدالدار، حتى باعها بعض من أبنائهم على حكيم بن حزام بن أسد بن عبدالعزى بن قصي، فاشتراها بزق خمر، ثم باعها في الإسلام بمائة ألف درهم، فقال له عبدالله بن الزبير رضي الله عنه أتبيع مكرمة آبائك وشرفهم؟ فقال حكيم: ذهبت المكارم إلا التقوى، والله لقد اشتريتها في الجاهلية بزق خمر، وقد بعتها بمائة ألف وأشهدكم أن ثمنها في سبيل الله، فأيّنا المغبون؟

وكانت قريش لا تعقد نكاحا ولا لواء لحرب إلا في دار الندوة.

وأما القيادة.. فقام بها أبناء عبد مناف بن شمس، ثم ابنه أمية، ثم ابنه أبو سفيان، فكان يقود الناس في غزواتهم، فقد قاد الناس يوم أُحدٍ، ويوم الأحزاب، وأما يوم بدر فقد قاد الناس عتبة بن ربيعة بن عبد شمس؛ لأنه أكبر من أبي سفيان، إذ هو ابن عم أبيه، وأيضا كان أبو سفيان مع العير ولم يكن حاضراً بمكة وقت خروج النفير.

وأما الرفادة.. فإن قريشاً كانت على زمن قصي- تخرج من أموالها في كل موسم فتدفعه إلى قصي فيصنع به طعاماً للحاج يأكله من لم يكن معه سعة ولا زاد، ثم قام بذلك بعد قصي ابنه عبد مناف، ثم ابنه هاشم، ثم ابنه

....

الشرح

عبد المطلب، ثم ابنه أبو طالب، ثم أخوه العباس، واستمر ذلك إلى زمنه صلى الله عليه وسلم وزمن الخلفاء الراشدين بعده، إلى أن انقرضت الخلافة من بغداد ومصر.

وأما السقاية.. فقد قام بها أيضاً عبد مناف، ثم ابنه هاشم، ثم ابنه عبد المطلب، ثم لما كبر عبدالمطلب بن هاشم فوّض عمه المطلب السقاية إليه.(١)

وعبد المطلب هذا هو الذي حفر بئر زمزم بعد أن ردمها عمر بن الحرث الجرهمي ووضع فيها الأموال.(٢)

وكان عبدالمطلب كريماً جواداً سمحاً، وكان قومه يسمّونه الفيّاض كعمه المطلب وجده عبد مناف، كما يسمونه أيضاً مُطعم طير السماء؛ لأنه كان يدفع من مائدته للطير والوحوش في رؤوس الجبال.

وكان مجاب الدعاء، فقد دعا على أصحاب الفيل حين قدموا مكة لهدم الكعبة، فأهلكهم لله بدعائه.(٣)

وكانت قريش إذا أصابها قحط شديد تأخذ بيد عبدالمطلب فتخرج به إلى

---

(١) انظر السيرة الدحلانية (١/ ٢٥).

(٢) انظر السيرة الدحلانية (١/ ٣٣).

(٣) انظر الصرح الممرد (١٤٠).

بن هاشم، ....

الشرح

جبل ثبير، ويستسقي الله لهم، لِما جرّبوا من قضاء الحوائج على يديه ببركة نور النبي صلى الله عليه وسلم، ولِما جعله الله فيه من مخالفة ما كان عليه الجاهلية بإلهام من الله تعالى.[1]

وعبد المطلب أول من خضّب بالسواد.

وعاش عبد المطلب ثمانين سنة، وفي الأنوار المحمدية للنبهاني أنه عاش مائة وعشر سنين، وفي السيرة النبوية للإمام أحمد بن زيني دحلان أنه عاش مائة وأربعين سنة.[2]

وعبد المطلب هو (**بن هاشم**) بن عبد المناف بن قصي، ولد بمكة وساد قومه صغيراً، وكان اسمه عمرو العلا، لعلو مرتبته، ويقال له عمر، وكان كريماً معَظماً عند عشيرته.

سمي هاشماً؛ لأنه كان يهشم الثريد لضيفه، والثريد هو الخبز المفتوت بمرق اللحم.

---

(١) انظر السيرة الدحلانية (١/ ٣١).

(٢) انظر السيرة الدحلانية (١/ ٣١).

....

الشرح

وسبب ذلك: أنها وقعت مجاعة شديدة في قريش بسبب قحط شديد حصل لهم، فخرج (هاشم) إلى الشام، فاشترى دقيقاً وكعكاً وقدِم بذلك إلى مكة في موسم الحج، فهشم الخبز والكعك، أي: كسرهما، ونحر الجزر وجعل ذلك ثريداً وأطعم الناس، فسمي بذلك هاشماً، وفي ذلك يقول الشاعر:

عمرو الذي هشم الثريد لقومه ورجال مكة مستنون عجافُ

ولم تزل مائدته منصوبة لا ترفع في السرّاء والضرّاء.

وكان نور النبي صلى الله عليه وسلم يتوقّد شعاعه في وجهه، وكان لا يره حَبرٌ إلا قبل يده، ولا يمر بشيء إلا سجد له، ورحلت إليه قبائل العرب ووفود الأحياء، يعرضون علي بناتهم ليتزوجها.

وهاشم هذا هو أول من سن الرحلتين لقريش، رحلة الشتاء إلى اليمن والحبشة، ورحلة الصيف إلى غزّة وبلاد الشام، وتولى بعد أبيه سقاية الحاج ورفادته كما أسلفنا.

وكان يذهب دائماَ إلى الشام في تجارة له، فاتفق أن مرض في طريقه إليه، فتحول إلى غزّة في فلسطين فمات بها وهو شاب لم يجاوز العشرين سنة، وقيل: خمساً وعشرين، وكان موته قبل الهجرة بنحو مائة سنة

بن عبد مناف ....

الشرح

وسنتين، وبه يقال لغزة غزة هاشم.(١)

وكان له ثلاثة من الإخوان وهم: المطلب، ونوفل، وعبد شمس، وكان يقال لهم النضّار، أي: الذهب؛ لكرمهم وفخرهم وسيادتهم على العرب، وكان هاشماً أفضلهم وأشهرهم ولا سيما في الكرم.

فأما عبد شمس.. فتوفي بمكة وقبر بـ(أجياد)، وأما المطلب.. فتوفي بـ(ـرومان)، وقيل: بـ(ـبرعاء) من أرض اليمن، وكان يقال له أي: للمطلب (الفيّاض)؛ لأنه ذو شرف واسع وكرم شاسع، وكان يقال له ولأخيه هاشم البدرين.

وأما نوفل.. فتوفي بالعراق، قيل: ولا يعرف بنو أب تباينوا في محال موتهم مثل هؤلاء الأربعة.(٢)

وهاشم هو (**بن عبد مناف**)، واسمه المغيرة، وسمي بالمغيرة تفاؤلاً بأنه يُغيرُ على الأعداء، وهو مطاع في قريش، واشتهر صيته في حياة أبيه.

وكان يقال له: قمر البطحاء؛ لحسنه وجماله، ويقال له: الفياض كما تقدم؛ لكثرة جوده.

---

(١) انظر الصرح الممرد (١٣٦).

(٢) انظر الصرح الممرد (١٣٦).

....

الشرح

وعبد مناف هو لقب لُقب به؛ لأن أمه جعلته وهو صغير خادم لصنم لقريش اسمه (مناة) بالتاء الفوقية، فقيل له عبد مناف، فرأى أبوه دلائل الشرف لائحة عليه، فأبدله بمناف بالفاء، من فافَ إذا ارتفع، وكون أمه جعلته خادماً لصنم لا يستلزم نقصاً لها لاحتمال أن تكون استحفظته عليه لنفاسته وماليته بلا عبادة ولا اعتقاد إلوهية، على أنها كانت في زمن الفترة، وقد كانوا قديماً يصنعون الأصنام من الذهب أو الفضة.

ومما يؤثر عنه: أنه وجد في بعض الأحجار مكتوباً: أنا المغيرة بن قصي، أوصي قريشاً بتقوى الله عز وجل وصلة الرحم .

وأمه وأم أخويه عبد العزى وعبد الدار: وحيى بنت حَليل بن حيشة بن سلول بن كعب بن عامر الخزاعي.

وقيل: هي عاتكة بنت هلال بن سليم.(١)

وله من الأولاد أربعة مرَّ ذكرهم عند ذكر ابنه هاشم، وعلى بنيهم اقتصر النبي صلى الله عليه وسلم حين أنزل عليه ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ {الشعراء: ٢١٤}.

---

(١) انظر السيرة الدحلانية (١/ ٤٣).

بن قصي بن كلاب ....

الشرح

توفي عبد مناف بمكة، وقيل بغزة.[1]

وهو (**بن قصي**)، واسمه: زيداً أو يزيداً، ويدعى مجمِّعاً؛ لأنه جمع قبائل قريش بعد تفرقها، أي: كانت متفرقة في بني كنانة فجمعهم من كل جبهة إلى البيت الحرام، فكانوا اثنتي عشرة قبيلة وأنزلهم بنواحي مكة بطاحها وظواهرها، وقيل لمن سكن البطاح: قريش البطاح، ولمن سكن الظواهر: قريش الظواهر.

وقيل: سمي بذلك لأنه كان يجمع قومه يوم العروبة، أي: يوم الجمعة، فيعظهم ويأمرهم بتعظيم الحرم، ويخبرهم أنه سيُبعث فيه نبي كما كان يفعل جده كعب بن لؤي.

وأمّه: فاطمة بن سعد بن شبل، وقد اشتهر باسم قصي؛ لأنه تربى عند أمه في قضاعة بعيد عن عشيرته، وقصي بمعنى قَصِيٍّ أي: بعيد.

وهو (**بن كلاب**)، واسمه: حكيم، وقيل عروة، وقيل: الكهذّب، ولقِّب بـ: كلاب؛ لمحبته الاصطياد بها، وقيل: لمكالبته الأعداء في الحرب أي: افتراسه لهم وتمزيقهم.

---

(١) انظر الصرح المرد (١٢٩-١٣٠).

بن مُرَّة...

الشرح

وأمه: هند بنت سرير بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة.

واشتهر له من الأولاد الذكور اثنان، وهم: قصي المار قريباً، وزُهرة، وبه كان يُكنى أبوه، فيقال: أبو زهرة، وإليه أي: زهرة يُنسب الزهريّون الذين منهم السيدة آمنة أم سيد الكائنات صلى الله عليه وسلم.

ومن بني زهرة الصحابيان الجليلان المبشران بالجنة: عبدالرحمن بن عوف بن الحارث بن زهرة، وسعد بن أبي وقاص مالك بن أُهيب بن عبد مناف بن زهرة.

وهو، أي: كلاب (**بن مُرَّة**) بضم الميم وفتح الراء المشددة، وبعدها تاء للمبالغة.

سمّي بذلك تفاؤلاً بأن يصير مُراً على الأعداء بسبب غلبته عليهم وقهره لهم، وهكذا كانت عادة العرب يسمّون أولادهم بمثل هذا الاسم تفاؤلاً بنحو ذلك، ويتخيرون لعبيدهم أحب الأسماء؛ كفرج ونصر وسرور ويُسر وعطاء حظاً لأنفسهم، أي: يتفاءلون لأنفسهم، ولكن قد ينعكس الحال، وتخيب الآمال، ويأتي من سرور شرور، ومن يسر عسر، ومن فرج عرج، كما قيل:

كل الأمور إذا ضاقت لها فرج   لكن أموري إذا ضاقت فمن فَرَجِ

بن كعب ....

الشرح

قال في (السيرة الدحلانية): ((سئل أعرابي: لما تسمون أبنائكم شر الأسماء نحو: كلب، وذئب، وعبيدكم بأحسن أسماء، نحو: رزق، ومرزوق، ورباح؟ فقال: إنما نسمي أبنائنا لأعدائنا، وعبيدنا لأنفسنا، يريد أن الأبناء عدة للأعداء وسهام في نحورهم، فاختاروا لهم هذه الأسماء)) اهـ.[1]

وأم مرة وأخويه هصيص - بالتصغير كوزن عمير -، وعدي هي: وحشيّة بنت شيبان بن محارب بن فهر بن مالك.

واشتهر لمرة من الأبناء ثلاثة: كلاب وهو حكيم، وتيّم، ويقظة.

ومرة هو (**بن كعب**)، وسمّي بذلك لارتفاعه على قومه وشرفه عليهم، وكل شيء علا فهو كعب، ومن ثَمَّ قيل للعظم البارز بين الساق والقدم: كعباً، وللبيت الحرام: الكعبة.

ولعلوا كعبٍ هذا وارتفاع شأنه أرّخوا بموته، أي: جعلوا يوم موته بداية للتاريخ، وهذا كان قبل حادثة الفيل، فلما كان عام الفيل.. أرّخوا به، ثم أرخوا بموت عبد المطلب، ثم بالبعثة، ثم بالهجرة على صاحبها أفضل

(١) السيرة الدحلانية (١/ ٢٢).

....

الشرح

الصلاة وأزكى التسليم.

وقيل سمِّي كعبا؛ لستره على قومه، ولين جانبه لهم.

وقيل: هو أول من قال (أما بعد) في الخطب على قول من الأقوال، وهو أول من سمّى يوم الجمعة بهذا لاسم، وكان يسمى بيوم العروبة، أي: يوم الرحمة، وإنما سمّاه يوم الجمعة؛ لأن قريشاً كانوا يجتمعون فيه عند كل أسبوع فيعظهم ويذكِّرهم بمبعث النبي صلى الله عليه وسلم، ويُعلِمَهم بأنه من ولده، ويأمرهم باتباعه، ويقول لهم: سيأتي لحرمكم نبأٌ عظيم، وسيخرج منه نبي كريم.

وينشدهم أبياتاً آخرها:

على غفلة يأتي النبي محمد ... فيُخْبِرُ أخباراً صدوقٌ خبيرها

ثم يقول: أما والله لو كنتُ فيها ذا سمع وبصر ويد ورجل.. لقضيت فيها بنصيب، ولأرقلت فيها إرقال البعير، أي: كناية عن قيامه معه وتحمل المصاعب.

ثم يقول:

يا ليتني شاهدٌ فحواء دعوته ... حين العشيرة تبغيْ الحقَ خذلانا

قال الماردي: وهذا من فطر الإلهام التي تخيَّلتها العقول فصدّقت،

بن لُؤَي ....

الشرح

وتصورتها النفوس فتحققت.

وكان بين موته وبين مبعث النبي صلى الله عليه وسلم خمس مئة وستون سنة (٥٦٠)، كما في السيرة الحلبية، والمشرع الروي، نقلاً عن (دلائل النبوة) لأبي نُعيم.

والذي في كتاب (الأعلام) للزركلي: أن موته كان قبل الهجرة بنحو ثلاث مائة سنة، وإن كان موافقاً لنحو (٢٣٢) اثنين وثلاثين ومئتين ميلادية، والله أعلم بالصواب.

وأم كعب وأخيه عامر بن لؤي هي: ماويّة بنت كعب بن دريم بن القين بن حسن بن قضاعة.

واشتهر لكعب من الأولاد ثلاثة وهم: مرة، وهصيص، وعدي.

وكعب هو (**بن لُؤَي**) بضم اللام وفتح الهمزة، وقد تبدل واواً مصغَّراً لأيَ، كغَلَسَ، وهو البُطءُ والأناءةُ.

سمّي به؛ لأنه كان عنده تأنٍّ في الأمور.

وأمه: سلمى بنت عمرو الخزاعي، كما في الشجرة العلوية للإمام عبدالرحمن المشهور.

بن غالب...

الشرح

وفي (السيرة الدحلانية) عند ذكر العواتك – أي: من سميت بعاتكة من جداته صلى الله عليه وسلم – أن اسمها: عاتكة لا سلمى.(١)

واشتهر للؤي من الأبناء أربعة وهم: كعب، وعامر، وسامة، وعوف.

ولؤي هو (**بن غالب**)، وسمّي غالباً تفاؤلاً بأن يصير غالباً عل أعدائه.

وأمه وأم أخيه محارب بن فهر فهي: ليلى بنت الحارث بن سعد بن هذيل بن مدركة بن إلياس، ولعلها هي أم أخيهما الحارث بن فهر أيضاً.

ولم يشتهر لغالب هذا من الأولاد سوى اثنين: أحدهما لؤي المتقدم ذكره، والثاني: تيمٌ، وهو غير تيم الذي يُنسب إليه أبوبكر الصديق ﷺ، فهو اسمه تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر، وهو متأخر عن تيم بن غالب.

وتيم بن غالب هذا يقال لذريته وذرية عمّيه الحارث ومحارب: قريش الظواهر.

---

(١) انظر السيرة الدحلانية (١/ ٤٣).

بن فهر...

الشرح

وغالب هو (**بن فهر**)، وهو لقب له لُقب به؛ لأنه كان كالفِهْرِ الذي هو الطويل الأملس من الحجارة، من حيث الطول والصلابة.

واسمه: قريش، وإنما سمي بذلك لأنه كان يَقْرُشُ، أي: يُفَتِّشُ عن حاجة المحتاج فيسدها بماله، وكان بنوه يقرشون أهل الموسم، أي: يفتِّشون عن حوائج أهل موسم الحج، فيرفدونها أي: يسدُّونها، فسمُّوا بذلك قريشاً.

وفهر هذا المسمى بقريش.. هو الجد الجامع لهم أي: لقريش على الأصح، لكن الذي عليه الإمام الشافعي والأكثرون من الفقهاء.. أن الجد الجامع لهم هو النضر بن كنانة الآتي ذكره إن شاء الله تعالى، واستدلوا على ذلك بأنه صلى الله عليه وسلم قيل له: مَنْ قريش؟ فقال:((من ولد النضر))، وفي البخاري قال: حَدَّثَنَا مُوسَى حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ حَدَّثَنَا كُلَيْبٌ حَدَّثَتْنِي رَبِيبَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَظُنُّهَا زَيْنَبَ قَالَتْ: **نَهَى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ الدُّبَّاءِ وَالْحَنْتَمِ وَالنَّقِيرِ وَالْمُزَفَّتِ، وَقُلْتُ لَهَا: أَخْبِرِينِي النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِمَّنْ كَانَ؟ مِنْ مُضَرَ كَانَ؟ قَالَتْ: فَمِمَّنْ كَانَ إِلَّا مِنْ مُضَرَ، كَانَ مِنْ وَلَدِ النَّضْرِ بْنِ كِنَانَةَ.**

بن مالك بن النَّضر...

الشرح

وقالوا لعل من قال: أنه فهر.. اعتمد على تسميته بقريش، قالوا: والحق أنه لا حجة فيه؛ لأن كثيراً ما يُسمى الإنسان باسم أحدٍ من أجداده.

وقيل: أن الجد الجامع لهم هو: إلياس بن مضر الآتي ذكره إن شاء الله تعالى، وقيل: أبوه مضر بن نزار الآتي كذلك ذكره إن شاء الله تعالى، فتحصّل في المسألة أربعة أقوال، وتظهر ثمرة الخلاف فيها في الوقف على القرشي، والوصية له، ونحو ذلك.

وأم فهر هي: جَندلة بنت الحارث بن مضاض الجرهمي.

ولفهر من الأولاد ثلاثة اشتهروا وهم: غالب المار ذكره، والحارث، ومن ذريته: أبو عبيدة عامر بن عبدالله بن الجرّاح.

والثالث: محارب.

وفهر هو (**بن مالك**)، وسمي مالكاً؛ تفاؤلاً بأنه يملك، وكان كذلك، فإنه صار ملك العرب.

وأمه: عاتكة بنت عدوان بن عمر بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار.

ومالك هو (**بن النَّضر**) بفتح النون وسكون الضاد المعجمة.

اسمه: قيس، والنضر لقبه، وإنما لقب به؛ لنضارته وحسن وجهه

....

الشرح

وإشراقه وجماله من نور النبي صلى الله عليه وسلم.[(١)]

يذكر بعضهم أن أمه هي: بَرَّةَ بنت أدٍّ بن طابخة، وذكروا أنه تزوجها أبوه كنانة بعد أبيه خزيمة، فولدت له النضر على ما كان عليه في الجاهلية، إذا مات رجل خلّف على زوجته أكبر بنيه من غيرها، ولذا قال ﴿ وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ﴾ {النساء: ٢٢}، **وهذا كله غلط فاحش.**

والصحيح ما قاله أبو عثمان الجاحظ رحمه الله تعالى: أن كنانة خُلّف على زوجة أبيه، فماتت ولم تلد ذكراً ولا أنثى، فنكح بنت أخيها، وهي بَرَّةَ بنت مُرٍّ بن أدٍّ بن طابخة، فولدت له النضر، قال وإنما غلط كثيرٌ لما سمعوا أن كنانة خلف على زوجة أبيه؛ لاتفاق اسمي الزوجتين، وتقارب النسب، ومعاذ الله أن يكون أصاب نسبه صلى الله عليه وسلم مقت، وقد قال صلى الله عليه وسلم:((ما زلت أخرج من نكاح كنكاح الإسلام))، ومن قال غير ذلك.. فقد أخطأ أو شك في هذا الخبر، والحمد لله الذي طهّره صلى الله عليه وسلم من كل وهم تطهيراً.اهـ.

---

(١) انظر السيرة الدحلانية (١/ ٢١).

بن كِنانه بن خُزيمة ....

الشرح

قال الدميري – بعد أن نقل هذا الكلام عن الجاحظ -: وهذا أرجو به الفوز للجاحظ في منقلبه، وأنه يُتَجاوز عنه فيما سطره في كتبه.[1]

والنضر هذا هو أصل قريش عند الشافعي والأكثرين من الفقهاء كما تقدم.

والنضر هذا هو (**بن كِنانه**) بكسر الكاف، وهو في الأصل وعاء السهام.

وسمّي به: لأنه كان في كنٍّ بين قومه، أي: في حفظ، أو لأنه كان يكن أسرارهم أي: يحفظها ويسترها.

ذكروا: أنه كان شيخاً حسناً، عظيم القدر، ترحل إليه العرب لعلمه وفضله، وكان لكثرة كرمه.. يأنف أن يأكل لوحده، فإذا لم يجد أحداً يأكل معه.. أكل لقمة ورمى لقمة لصخرة يضعها بين يديه.

وأمه: عوانة بنت سعد بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار.

وكنانة هذا هو (**بن خُزيمة**) وهو مصغّر خَزَمَةَ، بفتحات، وهي المرَّة من الخزم، وهو شد الشيء وإصلاحه.

(١) انظر السيرة الدحلانية (١/ ٢١).

بن مُدْرِكَةَ بن إلياس..

الشرح

وسمي بذلك؛ تفاؤلاً بأن يكون مصلحاً للأمور، أو لأنه خُزِمَ، أي: جُمع فيه نور آبائه مع النور المحمدي.

وكان على ملة إبراهيم عليه السلام.

وأمه وأم أخيه هُذيل بن مدركة هي: سلمى بنت أسلم بن الحافي بن قضاعة.

وخزيمة هو (**بن مُدْرِكَةَ**) بضمٍ فسكون فكسر ففتح.

اسمه: عمرو، وقيل: عامر، ولُقِّب بمدركة:؛ لأنه أدرك إبل أبيه حين نفرت من أرنب، أي: بسبب أرنب خافت منه، أو لأنه أدرك كل فخر وعز في آبائه.

وكان نور المصطفى صلى الله عليه وسلم ظاهراً وبيّناً في جبينه.

وأمه وأم أخيه طابخة بن إلياس هي: ليلى بنت حلوان بن عمران بن الحافي بن قُضاعة، وتلقّب بـ(خندف)، وقيل: خترف.

ومدركة هو (**بن إلياس**) بهمزة قطع مكسورة، كاسم النبي إلياس عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام، قال النواوي: وهذا هو الصحيح الأشهر. وضبطه ابن الأنباري بفتح الهمزة ولام التعريف (أليأس) بمعنى القنوط، وهو ضد الرجاء، سمِّي به،؛ لأن أباه مضر كان قد كبر سنه، ولم يولد له،

بن مضر ....

الشرح

ثـم ولـد لـه بعـد يأسـه مـن الأولاد، فلقبـه اليـأس، وكـان اسـمه حسـين أو حبيب، وكنيته: أبو عمرو، والصحيح الأول كما ذكرنا.

وكان عزيزاً في قومـه، وكـان عنـدهم بمنزلـة لقـمان الحكـيم في قومـه، يدعونه سيّد العشيرة، ولا يقضون أمراً دونه، وقد تواتر أنه كان يُسـمع مـن صـلبه تلبيـة النبـي صـلى الله عليـه وسـلم المعروفـة في الحـج، وجـاء في الحديث:((لا تسبوا إلياس؛ فإنه كان مؤمناً)) وهو أول من أهدى البُدن إلى البيت الحرام.

وأمه وأم أخيه عيلان بن مضر كانت من جرهم.

ويقال: أنه مات بداء السُلِّ، قيل: وهـو أول مـن مـات بـه، ولمـا مـات حزنت عليه زوجته خندف حزناً شديداً، ونـذرت أن لا تقـيم في بلـد مـات بها زوجها، ولا يؤويها بيت بعده، ولا تستظل تحت سـقف، وأن تبكيـه كـل يوم طول النهار، فساحت في الأرض، وهلكت حزناً، ولذا قيل: أحزن مـن خندف.

وإلياس هو (**بن مضر**) على وزن عمر، وكنيته، أبو العبـاس، واسـمه عُمَرَ، ولقب بـ(مضر)؛ لبياضه، أو لأنه كان يحب شرب اللـبن المـاضر، أي: الحامض.

....

الشرح

وقيل: أنه كان يمضر القلوب، أي: يميلها إليه بحسنه وجماله، فكان لا يراه أحداً، إلا أحبه، وأخذ لبَّه.

وهو أول من حدا؛ أي: غنّى للإبل.

وسبب ذلك: أنه كان ذا صوت حسن، واتفق أنه وقع عن بعيره وهو صغير، فأصيبت يداه، فمشى وهو يقول: ويداه، فنشطت الإبل لسماع صوته بذلك، واجتمعت إليه فركب، وحدا لها، فجدَّت في السير.

وقيل: أن أول من حدا هو عبدٌ لمضر لا مضر نفسه، يقال: أنه ضرب ذلك العبد في يديه، فصاح: يا يداه، فاجتمعت الإبل، ومالت إليه لحسن صوته، فأمره أن يحدو لها.

ويقال لمضر هذا: مضر الحمراء، وسبب ذلك: أنه لما اقتسم هو وإخوانه مال والدهم، وكانوا ثلاثة: ربيعة وإياد وأنمار.. أخذ مضر الدنانير والإبل وهنّ حمر، فقيل له: مضر الحمراء، وأخذ ربيعة الفرس، فقيل له: ربيعة الفرس، وأخذ إياد البقر والغنم.

وأخرج ابن سعد في (الطبقات) أنه صلى الله عليه وسلم قال:((**لَا تَسُبُّوا مُضَرَ، فَإِنَّهُ قَدْ أَسْلَمَ**)).

وأخرج السهيلي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((**لَا تَسُبُّوا مُضَرَ وَلَا**

بن نزار ....

الشرح

رَبِيْعَةَ، فَإِنَّهُمَا كَانَا مُؤْمِنَيْنِ)) .

وقال صلى الله عليه وسلم:((**لَا تَسُبُّوا رَبِيْعَةَ وَلَا مُضَرَ، فَإِنَّهُمَا كَانَا مُسْلِمَيْنِ**)) أخرجه الديلمي.

وقال صلى الله عليه وسلم:((:((**لَا تَسُبُّوا مُضَرَ، فَإِنَّهُ كَانَ عَلَى مِلَّةِ إِبْرَاهِيْمَ**)).

وقبر مضر في الروحاء على ليلتين من المدينة المنورة.

ومضر هذا هو (**بن نزار**) بوزن كتاب، وقيل: يجوز فيه فتح النون وكسرها مشتق من النَّزْر، وهو القليل.

واسمه: خالد، وسمي نزاراً؛ لأنه لما ولد ونظر أبوه إلى نور النبي صلى الله عليه وسلم يسطع بين عينيه.. فرِح فرحاً شديداً، وبخَّر وأطعم، وقال: إن هذا كله نزر – أي: قليل- لحق هذا المولود، فسمي نزاراً.

وقيل: سمِّي به؛ لأنه كان فريد عصره من حيث جماله وكبر عقله.

وقال بعضهم: إنه كان نحيف الجسم، فقال له ملك الفرس: مالك يا نزار؟ أي: يا نحيف بلغتهم، فغلب عليه ذلك.

وهو أول من كتب الكتاب العربي على الصحيح، وقيل: إسماعيل.

وقبر نزار بـ(ذات الجيش) قرب المدينة المنورة.

بن مَعَدّ بن عدنان ....

الشرح

ونزار هذا هو (**بن مَعَدّ**) بفتح الميم والعين المهملة وتشديد الدال المهملة، من أعدّه، أي: جعله عُدَّةً للدهر، فالميم زائدة، وقيل: أصلية، من تَمَعْدَدَ الغلام؛ أي: قوي، أو تمعدد؛ أي: تكلم.

كان معد هذا صاحب حروب وغارات على بني إسرائيل، ولم يحارب أحداً .. إلا رجع بالنصر والظفر، بسبب نور النبي صلى الله عليه وسلم الذي في جبهته، وقيل: أن هذا سبب تسميته بمعد.(١)

وكنية معد هي: أبو قُضاعة، وقيل: أبو نزار.

وقبائل معد كلها يتصل نسبها بابنه نزار المتقدم ذكره.

ومعد هذا هو (**بن عدنان**)، وهو مأخوذ من العَدْنِ، بمعنى الإقامة.

سمي به؛ تفاؤلاً بأنه يقيم ويعيش، أو لأن الله تعالى أقام الملائكة لحفظه.

وسبب ذلك أي: حفظ الملائكة له: أن أعين الإنس والجن كانت ناظرة إليه، وأرادوا قتله، وقالوا: لئن تركنا هذا الغلام حتى يدرك مدرك الرجال.. ليخرجن من ظهره من يسود، فوكّل الله من الملائكة من يحفظه.

---

(١) انظر السيرة الدحلانية (١/ ٢١).

....

الشرح

وهو أول من وضع أنصاب الحرم، وأول من كسا الكعبة، أو كسيت في زمانه، وكان في زمن موسى عليه السلام.

وقيل: في زمن عيسى.

ويؤيد الأول ما رواه الطبراني عن أبي أمامة الباهلي قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:((**لما بلغ ولد معد بن عدنان أربعين رجلا.. وقعوا على عسكر موسى، فانتهبوه، فدعا عليهم موسى، فقال: يا رب هؤلاء ولد معد قد أغاروا على عسكرى، فأوحى الله إليه يا موسى لا تدعوا عليهم، فإن منهم النبى الأمى البشير النذير بجنتى، ومنهم الأمة المرحومة أمة محمد الذين يرضون من الله باليسير من الرزق، ويرضى الله منهم بالقليل من العمل، فيدخلهم الجنة بقول لا إله إلا الله**)).

وإلى عدنان هذا ينتهي النسب المتفق عليه، وما بعده إلى آدم عليه السلام فيه اختلاف واضطراب بعض الأسماء، ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا انتسب.. ينتهي إليه، ويقول:((**كَذَبَ النّسّابُونَ**)) أخرجه بن سعد وابن عساكر عن ابن عباس، أي: فيما بعد عدنان.

وفي رواية ابن عباس: أنه قال ذلك مرتين أو ثلاث.

ويروى عن ابن عمر رضي الله عنه أنه قال: إنما ينسب إلى عدنان، وما

....

الشرح

فوق ذلك لا ندري.

وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: ما وجدنا أحداً يعرف ما وراء عدنان ولا قحطان إلا تخُّرصاً.

أما نسبة عدنان إلى إبراهيم.. فإن رجال الأنساب مجمعون على أن عدنان من ولد إسماعيل عليه السلام، والخلاف بينهم إنما هو في أسماء آباء عدنان، وفي عدد من بينه وبين أسماء آبائه، وعدد من بينه وبين إسماعيل منهم.

ولا بأس من ذكر هذه الأسماء من عدنان إلى آدم للفائدة لا على سبيل الجزم.

قال شيخ شيوخنا العلامة الحبيب عمر بن علوي الكاف في كتابه (الصرح الممرد والفخر المؤبد لآباء سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم):((لكن وقع الاتفاق على أن عدنان ينتهي إلى إسماعيل عليه السلام، وما بين عدنان وآدم من الأسماء المثبتة في عناوين التراجم الآتية، نقلتها من ((الشجرة العلوي)) ويقول كاتبها سيدنا الإمام عبدالرحمن بن محمد بن حسين المشهور: أنه نقلها من ((سبائك الذهب في أنساب العرب)) للشيخ محمد أمين البغدادي، وهي مخالفة خلافاً كثيراً لما في ((بهجة المحافل))

....

الشرح

للشيخ العامري، ولما في نسخة من ((شجرة أمهات السادة آل أب علوي))، كتبها السيد العلّامة عبدالرحمن المذكور، وكتب تحت تلك الأسماء أنها منقولة مِن خطِّ مَن نقل مِن خطِّ الشيخ الإمام أبي بكر العدني بن الشيخ عبدالله العيدروس با علوي.

ولفظ ما في ((بهجة المحافل)): هو عدنان بن أُدَدَ بن مقوِّم بن ناحور بن تيرخ بن يعربَ بن يشجبَ بن قيدارِ بن نابت بن إسماعيل بن إبراهيم – عليهما السلام – بن آزَر بن تارخِ بن ناحورِ بن ساروخِ بن راعو بن فالخِ بن عيبرِ بن شالخِ بن أرفخشدَ بن سام بن نوح – عليهما السلام –بن لامكِ بن متُّوشلخِ بن خنوخِ– وهو إدريس عليه السلام عند الأكثرين – بن يردِ بن مهليلِ بن قينينِ – ويقال: قينان بالألف– بن يانشر بن شيثَ بن آدم عليه السلام.

ونص ما في ((شجرة الأمهات)): هو عدنان بن أُدِّ بن مقوِّم بن ناحور بن تيرح بن اليسعَ بن الهميسعَ بن يشجبَ بن ثابتِ بن قيدارِ بن إسماعيلَ بن إبراهيمَ بن أزارَ بن ناحورِ بن ساروخِ بن فالحِ بن عابرِ – وهو النبي هود عليه السلام – بن شالخِ بن أرفخشدَ بن سامِ بن رباحِ بن الجلودِ بن عادِ بن عوصِ بن أرمَ بن سامِ بن نوحِ بن لامكِ بن متُّوشلخِ بن أخنوخِ

....

الشرح

- وهو إدريس عليه السلام- بن يرادِ بن مهليلِ بن قينانِ بن أنوشَ بن شيثَ بن آدم بن التراب)) اهـ.[1]

فائدة:

المعتمد والصحيح الذي ندين الله به أن جميع آبائه صلى الله عليه وسلم وإلى أبينا آدم عليه السلام لم يسجدوا لصنم قط؛ بل كانوا جميعاً على التوحيد، قال في السيرة الدحلانية عن الإمام السيوطي:((الذي تلخّص أن أجداده صلى الله عليه وسلم من آدم إلى مرّة بن كعب مصرَّح بإيمانهم، أي: في الأحاديث، وأقوال السلف، وبقي بين مرة وعبدالمطلب أربعة أجداد لم أظفر منه بنقل. ثم ذكر في عبدالمطلب ثلاثة أقوال، الأشبه أنه لم تبلغه الدعوة؛ لأنه مات وسن النبي صلى الله عليه وسلم ثمان سنين، وقيل: أنه كان على ملة إبراهيم عليه السلام، أي: لم يعبد الأصنام، وقيل: أن الله أحياه له بعد البعثة حتى آمن به ثم مات)) اهـ.[2]

وقال بعضهم: وقوله صلى الله عليه وسلم:((**لَمْ أَزَلْ أُنْقَلُ مِنْ أَصْلَابِ**

---

(١) الصرح الممرد (٢١-٢٢).

(٢) السيرة الدحلانية (١/ ٤١).

وأما نسبه من جهة أمه فهو: سيدنا محمد بن آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب جده صلى الله عليه وسلم.

الشرح

الطَّاهِرِيْنَ إِلَى أَرْحَامِ الطَّاهِرَاتِ)) وفي رواية:**((لَمْ يَزَلِ اللهُ يَنْقُلُنِي مِنَ الأَصْلَابِ الحِسَيْبَةِ إِلَى الأَرْحَامِ الطَّاهِرَةِ))** أخرجه ابن عساكر عن ابن عباس .

وقوله تعالى: ﴿ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ {الشعراء: ٢١٩}،

في ذلك دليل على أن آبائه وأمهاته إلى آدم عليه السلام ليس فيهم كافر؛ لأن الكافر لا يوصف بأنه طاهر ولا ساجد لله، كما تقدم ذلك.

نسبه من جهة أمه:

(**وأما نسبه**) صلى الله عليه وسلم (**من جهة أمه فهو: سيدنا محمد بن آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب جده صلى الله عليه وسلم**)، وزهرة هو الذي ينتمي إليه الزهريون من قريش كما تقدم.

كانت أمه رضي الله عنها أفضل امرأة في قريش نسباً ومكانة، امتازت بالذكاء وحسن البيان، ربّاها عمّها وهيب، وهو أبو هالة أم حمزة بن عبدالمطلب، وقيل ربّاها أبوها وهب.

تزوجها عبدالله أبو النبي صلى الله عليه وسلم، فحملت برسول الله صلى الله عليه وسلم، وتوفي عبدالله وهي حامل، كما مرّ في ترجمته، وولدت بعد وفاته، فكانت تخرج كل عام من مكة إلى المدينة، فتنزل عند أخوال

....

الشرح

عبدالمطلب بن عدي بن النجار، وتزور قبر زوجها بالمدينة أو بالأبواء على الخلاف في مكان دفنه كما تقدم، ثم تعود، وفي آخر رحلة لها.. استصحبت ابنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ومملوكته أم أيمن، وأقامت بهما في المدينة شهراً، عند بني عدي بن النجار، ثم قفلت راجعة بهما، فلما كانوا بالأبواء.. مرضت وتوفيت به، ولابنها من العمر إذ ذاك ست سنين، وقيل: خمس، وقيل: أربع ، وقيل: سبع، وقيل: اثنا عشرة سنة وشهر وعشرة أيام.

وعلى الأول فيكون موتها قبل الهجرة بنحو ثمان وأربعين سنة، وكان عمرها حين توفيت في حدود العشرين سنة.

واختُلِف في موضع قبر السيدة آمنة رضي الله عنها، فقيل: بالأبواء، وقيل: أن قبرها بـ(الحجون)، وهو شِعب بمعلاة مكة به المقبرة المعروفةبـ(المُعلَاة)، وقيل – جمعاً بين القولين – : أنها دفنت أولاً بالأبواء، ثم نبشت ونُقلت إلى مكة ودفنت بـ(الحجون)،[1] وقيل: أنها دفنت في أحد دور مكة.

وفي (المشرع الروي)، و(شرح الهمزية)، نقلاً عن (القاموس): ويؤيد

---

(١) انظر السيرة الدحلانية (١/ ٦٥).

....

الشرح

كون قبرها في (الحجون) حديث إحيائها الذي رواه الطبراني وابن شاهين عن عائشة رضي الله عنها وأرضاها أنها قالت: حج بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع فمر بي على عقبة الحجون وهو باك حزين مغتم فنزل فمكث عني طويلا ثم عاد إلي وهو فرح متبسم، فقلت له، فقال:((ذهبت لقبر أمي فسألت الله أن يحيها فأحياها فآمنت بي وردها الله)).

تنبيه:

قد يستدل بعض الجهلة بقوله في الحديث (فآمنت بي) على أنها ماتت على الكفر، وهذا كلام باطل بيّن بطلانه، لأنها من أهل الفترة وقد ماتت على ملة إبراهيم، ولم تكلف أصلاً بالإيمان به صلى الله عليه وسلم؛ لأنها ماتت قبل بعثته، إنما كان ذلك زيادة شرف لها أن تؤمن به، وليس أنها كانت على الكفر، كما ورد عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال:((**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ مُوسَى كَانَ حَيًّا مَا وَسِعَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي**)).

وأمُّ السيدة آمنة رضي الله عنها هي: بَرَّة بنت عبد العزى بن عثمان بن عبدالدار بن قصي، وأمُّ أبيها وهب هي: عاتكة بنت مرّة بن هلال من بني سلم، وهي أمُّ عبد مناف جد النبي صلى الله عليه وسلم على ما قيل كما

ويجب معرفة أولاده صلى الله عليه وسلم، وهم سبعة، ثلاثة ذكور، وأربع إناث، فالذكور هم:

القاسم، وعبدالله، وهو الملقَّب بالطيب والطاهر، ....

الشرح

ذكرنا في ترجمته، وهي أيضاً إحدى العواتك اللاتي أشار إليهن النبي صلى الله عليه وسلم بقوله:((**أنا ابن العواتك والفواطم**))، والعواتك جمع عاتكة والعاتكة في اللغة بمعنى الطاهرة، والمراد بقوله صلى الله عليه وسلم هذا.. هن النساء اللاتي سُمَّين بعاتكة وفاطمة من عماته وجداته.

(**ويجب**) على المكلف شرعاً أيضاً (**معرفة أولاده صلى الله عليه وسلم، وهم سبعة، ثلاثة ذكور، وأربع إناث، فالذكور هم**):الأول

(**القاسم**)، وبه كني صلى الله عليه وسلم، وقال صلى الله عليه وسلم:((**سَمُّوا بِاسْمِي وَلَا تَكَنَّوْا بِكُنْيَتِي**)) أخرجه البخاري، وتوفي القاسم بمكة وعمره سنتان في حياة أمه خديجة رضي الله عنها، وهو أول من مات من أولاده صلى الله عليه وسلم.

(و) الثاني هو (**عبدالله، وهو الملقَّب بالطيب والطاهر**)، وقد توفي كذلك بمكة في حياة أمه خديجة رضي الله عنها، ولما توفي قال العاص بن وائل السهمي: قد انقطع ولده فهو أبتر، يقصد بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأنزل الله قوله ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ {الكوثر: ٣}.

وإبراهيم.

والإناث: فاطمة، ....

الشرح

(و) الثالث هو (**إبراهيم**)، ولد في ذي الحجة سنة ثمان من الهجرة، وعقَّ عنه صلى الله عليه وسلم يوم سابعه بكبشين، وسمّاه يومئذٍ، وتصدق بزنة شعره بعد حلقة فضة، وتوفي سنة عشر من الهجرة وعمره ستة عشر شهراً، وقيل: ثمانية عشر.

(و) أما (**الإناث**) فهن: (**فاطمة**) البتول الزهراء، سيدة نساء العالمين، وقد زوَّجها أبوها صلى الله عليه وسلم لسيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، فعن ابن مسعود رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:((**إِنَّ اللهَ أَمَرَنِي أَنْ أُزَوِّجَ فَاطِمَةَ مِنْ عَلِي**)) أخرجه الطبراني، وكان سنُّ سيدنا علي كرم الله وجهه حين تزوجها إحدى وعشرين سنة وخمسة أشهر، وهي ابنة خمسة عشر سنة، وكان ذلك عقب رجوعهم من بدر، وولدت له ستة، ثلاثة بنون وثلاث إناث، فالبنون هم: الحسن والحسين ومحسن الذي مات صغيراً.

وأما البنات فهن: زينب، وأم كلثوم، زوجة سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ورقية وقد ماتت قبل البلوغ.

وفاطمة الزهراء هي أصغر أولاده صلى الله عليه وسلم، وقد دافعت

وزينب،..

الشرح

عن أبيها في مكة حيث كانت ترفع الأذى الذي يضعونه على رأسه صلى الله عليه وسلم، وقد مرضت في الشعب وتحمّلت مع أبيها عليها رضوان الله، ونالت المنزلة العالية، فقد أخرج البخاري ومسلم أنه صلى الله عليه وسلم قال لفاطمة:((**أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَوْ نِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ فَضَحِكْتُ لِذَلِكَ**))، وقال صلى الله عليه وسلم:((**فَاطِمَةُ سَيِّدَةُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ**)) أخرجه الإمام أحمد.

مكثت رضي الله عنها بعد وفاة أبيها صلى الله عليه وسلم ستة أشهر ثم توفيت يوم الثلاثاء لثلاث خلون من رمضان سنة أحدى عشرة من الهجرة وهي بنت ثمان وعشرين سنة، ودفنت بالبقيع ليلاً، وصلى عليها سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وقيل: العباس، ونزل في قبرها هو، أي: سيدنا العباس، وسيدنا علي بن أبي طالب، والفضل بن العباس عليهم رضوان الله.

(و) الثانية من بناته صلى الله عليه وسلم هي: (**زينب**)، ولدت قبل البعثة بعشر سنين، أي: وعمر النبي صلى الله عليه وسلم ما يقارب الثلاثين، وتزوجها ابن خالتها أبو العاص بن الربيع رضي الله عنه، وكان الإسلام قد فرّق بينها وبينه، فأسلم أبو العاص في المحرّم من سنة سبع

....

الشرح

من الهجرة، فردَّها النبي صلى الله عليه وسلم بالنكاح الأول.

وزينب رضي الله عنها وأرضاها هي أكبر بناته صلى الله عليه وسلم وأول من تزوج منهن، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يحبها ويثني عليها رضي الله عنها.

توفيت السيدة زينب رضي الله عنها بالمدينة المنورة في السنة الثامنة من الهجرة[1] وعمرها نحو الثلاثين سنة، وغسلتها أم عطية الأنصارية رضي الله عنها، وأعطاها النبي صلى الله عليه وسلم حَقْوَهُ أي: إِزَارَهُ، وقال: ((**أَشْعِرْنَهَا إِيَّاهُ**)) أي: ألففنها فيه واجعلنه مما يلي جسدها، أخرجه البخاري ومسلم، ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم في قبرها وهو مهموم ومحزون، فلما خرج سُرِّي عنه، وقال:((**إِنَّهَا كَانَتْ اِمْرأَةً مِسْقَامَةً، فَذَكَرْتُ شِدَّةَ المَوْتِ وَضَمَّةَ القَبْرِ، فَدَعَوْتُ اللهَ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْهَا**)) أخرجه الحاكم والطبراني.

وأما أولادها.. فقد ولدت رضي الله عنها عليّاً وأمامة، فأما علي.. فقد مات وقد قارب الاحتلام، أي: البلوغ، وأما أمامة فقد تزوجها سيدنا علي بن أب طالب كرم الله وجهه بعد وفاة السيدة فاطمة رضي الله عنها.

---

(١) انظر الإصابة في تمييز الصحابة (طبعة دار الكتب العلمية) (٨/ ١٥٢).

ورقيّة ، ....

الشرح

(و) الثالثة من بناته صلى الله عليه وسلم هي:(**رقيّة**)، وقد ولدت وعُمر النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث وثلاثون سنة[1]، أي: قبل البعثة بما يقارب سبع سنوات، وبينها وبين أختها زينب نحو الثلاث سنوات.

أسلمت السيدة رقية حين أسلمت أمها خديجة بنت خويلد مباشرة، وبايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بايعه النساء.

زوَّجها النبي صلى الله عليه وسلم من عتبة بن أبي لهب، وزوّج أختها أم كلثوم الآتي ذكرها إن شاء الله تعالى من أخيه عتيبة بن أبي لهب، فلما نزلت ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ {المسد: ١}.. أمرهما أبوهما أبو لهب بمفارقتهما ففعلا ولم يكونا دخلا بهما، فتزوجت السيدة رقية بعد ذلك بسيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه بمكة وهاجرت معه إلى الحبشة في الهجرة الأولى، وهما أول من هاجر، فقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم قال:((**يَا أَبَا بَكْرٍ إِنَّهُمَا لَأَوَّلُ مَنْ هَاجَرَ بَعْدَ لُوْطٍ وَإِبْرَاهِيْمَ عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**)) أخرجه الحاكم.

وتوفيت السيدة رقية عليها رضوان الله تعالى عند زوجها عثمان بن

(١) انظر سبل الهدى والرشاد(طبعة دار الكتب العلمية) (١١/ ٣٣).

و أم كلثوم...

الشرح

عفان رضي الله عنه بالمدينة المنورة يوم قدوم أهل بدر إلى المدينة المنورة في السنة الثانية من الهجرة، وقد ولدت رضي الله عنها لسيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه بالحبشة ولداً أسماه عبدالله، فكان يكنى به، فلما بلغ السنتين، وقيل: ست سنوات.. مرض ومات، ولم تلد غيره.(١)

(و) الرابعة من بناته صلى الله عليه وسلم هي:(**أم كلثوم**)، سماها رسول الله صلى الله عليه وسلم (أم كلثوم)، ولم يعرف لها اسم غيره، وإنما تعرف بكنيتها؛ لكن أخرج الحاكم في مستدركه، فقال: حدثني أبو بكر محمد بن أحمد بن بالويه ثنا إبراهيم بن إسحاق الحربي ثنا مصعب بن عبد الله الزبيري قال :(و اسم أم كلثوم بنت رسول الله صلى الله عليه و سلم أمية).

وهي أي: أم كلثوم أكبر من أختها فاطمة رضي الله عنهما.

أسلمت حين أسلمت أخواتها وبايعت معهن، وقد تزوجها عتيبة بن أبي لهب وفارقها ولم يدخل بها كما تقدم، ولما توفيت أختها السيدة رقيّة رضي الله عنها تزوجها سيدنا عثمان رضي الله عنه في ربيع الأول سنة ثلاث

(١) انظر سبل الهدى والرشاد (١١/ ٣٤).

وكل أولاده صلى الله عليه وسلم من سيدتنا خديجة رضي الله عنها،........

الشرح

من الهجرة، ودخل بها في جمادى الآخرة من نفس السنة، ولم تلد له،[1] وكان زواجها بسيدنا عثمان رضي الله عنه بوحي من الله، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:((**أَتَانِي جِبْرِيْلُ فَقَالَ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُزَوِّجَ عُثْمَانَ أَمَّ كَلْثُوْمَ عَلَى مِثْلِ صَدَاقِ رُقَيَّةَ وَعَلَى مِثْلِ صُحْبَتِها**))
أخرجه ابن عساكر.

توفيت السيدة أم كلثوم رضي الله عنها عند زوجه عثمان بن عفان رضي الله عنه في شعبان سنة تسع من الهجرة، وكانت أم عطية الأنصارية رضي الله عنها هي التي غسّلتها في نسوة من الأنصار وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على قبرها، ونزل في حفرتها سيدنا علي بن أبي طالب وسيدنا الفضل بن العباس وسيدنا أسامة بن زيد رضي الله عنهم أجمعين.

(**وكل أولاده صلى الله عليه وسلم من سيدتنا خديجة**) بنت خويلد بن أسد بن عبد العُزى بن قصي القرشية (**رضي الله عنها**).

وأمها: فاطمة بنت زائدة بن الأصم بن رواحة بن حجر بن عبد مَعَيْص بن عامر بن لؤي بن غالب.

(١) انظر الإصابة (٨/ ٤٦٠).

....

الشرح

وُلِدت قبل عام الفيل بخمسة عشر عاماً، أي: ما يقارب سنة ٦٨ قبل الهجرة.

كانت رضي الله عنها قبل البعثة تدعى بالطاهرة، وهي أول من أسلم باتفاق أهل السير والتراجم، ولم يتقدمها رجل ولا امرأة.

تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمره خمس وعشرون سنة، وكانت أسنَّ منه بخمس عشرة سنة، فقد بلغت آنذاك الأربعين، ولم يتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم غيرها في حياتها.

كانت أحب النساء إليه بقي على ذكرها ولم ينسها صلى الله عليه وسلم، حتى غارت السيدة عائشة رضي الله عنها منها، فعنها أي: عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ الله عَنْهَا قَالَتْ:((مَا غِرْتُ عَلَى أَحَدٍ مِنْ نِسَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا غِرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ وَمَا رَأَيْتُهَا، وَلَكِنْ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكْثِرُ ذِكْرَهَا، وَرُبَّمَا ذَبَحَ الشَّاةَ ثُمَّ يُقَطِّعُهَا أَعْضَاءً ثُمَّ يَبْعَثُهَا فِي صَدَائِقِ خَدِيجَةَ، فَرُبَّمَا قُلْتُ لَهُ: كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي الدُّنْيَا امْرَأَةٌ إِلَّا خَدِيجَةُ، فَيَقُولُ:((**إِنَّهَا كَانَتْ وَكَانَتْ وَكَانَ لِي مِنْهَا وَلَدٌ**)) أخرجه البخاري، وفي رواية لمسلم:((وَكَانَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا ذَبَحَ الشَّاةَ فَيَقُولُ:((**أَرْسِلُوا بِهَا إِلَى**

....

الشرح

أَصْدِقَاءِ خَدِيجَةَ)) قَالَتْ: فَأَغْضَبْتُهُ يَوْمًا فَقُلْتُ: خَدِيجَةَ؟ فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:((**إِنِّي قَدْ رُزِقْتُ حُبَّهَا**)).

وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا ذَكَرَ خَدِيجَةَ أَثْنَى عَلَيْهَا فَأَحْسَنَ الثَّنَاءَ، قَالَتْ: فَغِرْتُ يَوْماً، فَقُلْتُ: مَا أَكْثَرَ مَا تَذْكُرُهَا حَمْرَاءَ الشِّدْقِ قَدْ أَبْدَلَكَ الله عَزَّ وَجَلَّ بِهَا خَيْرًا مِنْهَا قَالَ:((**مَا أَبْدَلَنِي الله عَزَّ وَجَلَّ خَيْراً مِنْهَا، قَدْ آمَنَتْ بِي إِذْ كَفَرَ بِي النَّاسُ، وَصَدَّقَتْنِي إِذْ كَذَّبَنِي النَّاسُ، وَوَاسَتْنِي بِمَالِهَا إِذْ حَرَمَنِي النَّاسُ، وَرَزَقَنِي اللهُ عَزَّ وَجَلَّ وَلَدَهَا إِذْ حَرَمَنِي أَوْلَادَ النِّسَاءِ**)) أخرجه الإمام أحمد.

وقد نالت السيدة خديجة رضي الله عنها المرتبة العالية، وخصت بالسلام من السلام تعالى في علاه، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ الله عَنْهُ قَالَ:أَتَى جِبْرِيلُ النَّبِيَّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ:((يَا رَسُولَ الله هَذِهِ خَدِيجَةُ قَدْ أَتَتْ مَعَهَا إِنَاءٌ فِيهِ إِدَامٌ أَوْ طَعَامٌ أَوْ شَرَابٌ فَإِذَا هِيَ أَتَتْكَ فَاقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلَامَ مِنْ رَبِّهَا وَمِنِّي وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ لَا صَخَبَ فِيهِ وَلَا نَصَبَ)) أخرجه البخاري ومسلم وأحمد.

فلما أخبرها النبي صلى الله عليه وسلم بالبشارة التي جاء بها جبريل عليه السلام.. قالت:(الله هو السلام ومنه السلام وعلى جبريل السلام وعليك السلام ورحمة الله وبركاته) أخرجه النسائي واللفظ له والطبراني.

إلا إبراهيم، فمن مارية القبطية.

الشرح

وانظروا إلى أدب هذه الطاهرة وذوقها وكمال عقلها حينما قالت:(الله هو السلام)، ولم تقل:(على الله السلام)؛ لأن الله تعالى لا يرد عليه السلام كما يرد على المخلوقين؛ ولأن (السلام) اسم من أسمائه تعالى، وهو أيضاً دعاء بالسلامة، وكلاهما لا يصلح أن يرد بهما على الله تعالى، فجعلت مكان رد السلام.. الثناء عليه، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على وفور عقلها وكمال معرفتها بربها، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم:((**لَا تَقُولُوا السَّلَامُ عَلَى اللهِ فَإِنَّ اللهَ هُوَ السَّلَامُ**)) أخرجه البخاري ومسلم.

ثم نجدها رضي الله عنها وأرضاها غايرت بين ما يليق بالله وما يليق بغيره، فقالت:(وعلى جبريل السلام وعليك السلام ورحمة الله وبركاته).

كانت وفاتها رضي الله عنها وأرضاها قبل الهجرة بثلاث سنين على الصحيح، لعشر خلون من رمضان، وكان عمرها آنذاك خمس وستين سنة، ودفنت بالحجون، ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم في قبرها، ولم تكن شُرعت الصلاة على الجنائز حينئذٍ.

وكان جميع أولاده منها رضي الله عنها، (**إلا إبراهيم، فمن مارية القبطية**)، وقد أهداها – أي: مارية القبطية – المقوقسُ إلى رسول الله صلى

وتوفي صلى الله عليه وسلم عن تسع نسوة وهن: السيدة عائشة

الشرح

الله عليه وسلم مع أختها سيرين، فاحتفظ رسول الله صلى الله عليه وسلم بها، ووهب سيرين لحسان بن ثابت.

ولدت مارية رضي الله عنها لرسول الله صلى الله عليه وسلم إبراهيم.

ومكثت بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم خمس سنوات، وتوفيت سنة ستة عشر للهجرة (١٦هـ)، وصلى عليها سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ودفنها بالبقيع.

(**وتوفي صلى الله عليه وسلم عن تسع نسوة**[1] **وهن: السيدة عائشة**) بنت سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنهما، ولم يتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بكراً غيرها، وقد تزوجها وعمرها ست سنوات، وقيل: سبع سنوات، وكان زواجه بها في مكة المكرمة، ودخل بها وعمرها تسع سنوات بالمدينة المنورة، قيل: سنة هاجر، وقيل: سنة اثنتين من الهجرة في شوال ، فعنها رضي الله عنها قالت:((تَزَوَّجَنِي رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِسِتِّ سِنِينَ وَبَنَى بِي وَأَنَا بِنْتُ تِسْعِ سِنِينَ)) أخرجه البخاري مسلم، وفي رواية:((تَزَوَّجَنِي رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا ابْنَةُ سِتِّ سِنِينَ بِمَكَّةَ

---

(١) وقد تكلمت عنهن عليهن رضوان الله بإسهاب في كتابي المسمى (**النور المبين في سيرة أمهات المؤمنين**).

....

الشرح

مُتَوَفَّى خَدِيجَةَ وَدَخَلَ بِي وَأَنَا ابْنَةُ تِسْعِ سِنِينَ بِالْمَدِينَةِ)) أخرجه الإمام أحمد، وفي رواية أخرى للإمام أحمد أيضاً قالت:((تَزَوَّجَنِي رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُتَوَفَّى خَدِيجَةَ قَبْلَ مَخْرَجِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ بِسَنَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثٍ وَأَنَا بِنْتُ سَبْعِ سِنِينَ فَلَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ جَاءَتْنِي نِسْوَةٌ وَأَنَا أَلْعَبُ فِي أُرْجُوحَةٍ وَأَنَا مُجَمَّمَةٌ فَذَهَبْنَ بِي فَهَيَّأْنَنِي وَصَنَعْنَنِي ثُمَّ أَتَيْنَ بِي رَسُولَ اللهَّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَبَنَى بِي وَأَنَا بِنْتُ تِسْعِ سِنِينَ)).وأم السيدة عائشة رضي الله عنها هي: أم رومان بنت عامر بن عويمر الكنانية، الصحابية الجليلة التي قال فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم:((**مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلى امْرَأَةٍ مِنَ الْحُوْرِ الْعِيْنِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى أُمِّ رُوْمَان**)) أخرجه أبو نعيم، وابن سعد.

وكانت السيدة عائشة رضي الله عنها وأرضاها من علماء وفقهاء الصحابة، عليهم رضوان الله.

توفي عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمرها ثمان عشرة سنة، وكانت وفاتها ليلة الثلاثاء لسبع عشرة مضت من رمضان ثمان وخمسين (٥٨هـ) كما رواه ابن أبي خيثمة عن عيينة وجزم به المدائني، وقيل: سنة سبع وخمسين من الهجرة (٥٧هـ) ذكره المدائني عن سفيان بن عيينة عن هشام بن عروة عن أبيه، وهي في السادسة والستين من عمرها، وصلى

وحفصة، ....

الشرح

عليها الصحابي الجليل أبو هريرة رضي الله عنه، وقيل: سعيد بن زيد، ثم شُيعت جنازتها في الليل إلى البقيع تحت أنوار المشاعل المصنوعة من جريدٍ مغموس في الزيت، وكان الناس وراء الجنازة باكين، فلم تُرَ ليلة في المدينة أكثر ناساً من تلك الليلة.

(و) الثانية من نسائه اللاتي توفي عنهن صلى الله عليه وسلم هي (**حفصة**) بنت سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، وهي أخت عبد الله بن عمر لأبيه وأمه.

وأمها: زينب بنت مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح.

كانت متزوجة من الصحابي الجليل خنيس بن قيس السهمي القرشي، وكان قد أصيب في غزوة أُحد، ومات من تلك الإصابة، وقد خلّف السيدة حفصة أرملة وهي صغيرة في السن، فقد كانت لا تتجاوز الثامنة عشرة من العمر حين وفاته، وقد حزن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه لترمّل ابنته، وعرضها على سيدنا الصدِّيق رضي الله عنه، ثم على سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه، ثم تزوجها رسول الله صلى اله عليه وسلم في شعبان سنة ثلاث من الهجرة.

وسودة، ....

الشرح

توفيت رضي الله عنها في جمادى الأولى سنة أحدى وأربعين من الهجرة (٤١هـ)، وقيل: سبع وأربعين من الهجرة (٤٧هـ)، وقيل: خمس وأربعين (٤٥هـ)، وقيل: سبعة وثلاثين (٣٧هـ)، وقيل: سبع وعشرين (٢٧هـ).[1]

ودفنت في البقيع رضي الله عنها وأرضاها.

(و) الثالثة من نسائه اللاتي توفي عنهن صلى الله عليه وسلم هي سيدتنا **(سودة)** بنت زَمْعَةَ بن قيس بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر بن لؤي بن غالب بن فهر.

وأمها: الشموس بنت قيس بن زيد بن عمر.. من بني عدي بن النجار أخواله صلى الله عليه وسلم.

كانت رضي الله عنها متزوجة من ابن عمها (السكران بن عمرو)، وقد أسلم بعد ما أسلمت هي رضي الله عنهما.

وقد لاقت مع زوجها من قريش أنواع الأذى، ولكنهما تحملا وصبرا، وقد هاجرت إلى الحبشة مع زوجتها وأخيها مالك وثمانية نفر من بني قومها، وقد توفي زوجها بعد رجوعهما من الحبشة، وقيل: في الحبشة، تاركاً

---

(١) انظر الطبقات لابن سعد (طبعة دار صادر) (٨/ ٨٦).

وصفية، ....

الشرح

لها خمسة صبية صغار، فخطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم وتزوجها في سنة عشر من النبوة، وبقيت معه زوجة وحيدة لم يتزوج عليها غيرها لمدة ثلاث سنوات.

توفيت رضي الله عنها في خلافة سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ، وكانت وفاتها في سنة أربع وخمسين من الهجرة (٥٤هـ)، وقيل: خمس وخمسين (٥٥هـ).

(و) الرابعة من نسائه اللاتي توفي عنهن صلى الله عليه وسلم هي سيدتنا (**صفية**) بنت حيي بن أخطب من بني النضير، ويعود نسبها إلى سيدنا يعقوب عليه السلام.

وأمها: بَرَّة بنت سَمَوْأل.

كانت قد تزوجت قبل إسلامها مرتين، فالمرة الأولى من (سلّام بن مشكم بن أبي الحُقَيْقِ)،[1] ثم تزوجت من (كنانة بن الربيع بن أبي الحُقَيْقِ) صاحب حصن (القموص).

أُخذت السيدة صفية ضمن سبايا غزوة خيبر، وكانت في حوالي

(١) هكذا ضبطه صاحب (عمدة القاري) **بدر الدين العيني الحنفي**، وبعضهم يضبطه بفتح الحاء (أَبِي الحَقِيقِ).

وميمونة، ....

الشرح

السابعة عشرة من عمرها، فأعتقها رسول الله صلى الله عليه وسلم وتزوجها بعد إسلامها ليحفظ لها مكانتها حيث كانت سيدة قومها، وليكون ذلك الأمر مرغباً لقومها في الدخول إلى الإسلام، وكان ذلك سنة سبع من الهجرة.

توفيت رضي الله عنها وأرضاها في حوالي سنة خمسين من الهجرة (٥٠هـ)، وقيل سنة اثنين وخمسين (٥٢هـ)، ودفنت في البقيع إلى جانب أمهات المؤمنين رضي الله عنهن أجمعين.

(و) الخامسة من نسائه اللاتي توفي عنهن صلى الله عليه وسلم هي سيدتنا (**ميمونة**)، العامريّة الهلالية واسمها (بَرَّة) بنت الحارث بن حَزْن بن بحير بن الهرم بن رويبة بن عبد الله بن هلال بن عامر ابن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن حفصة بن قيس عيلان بن مضر، وقد سماها رسول الله (ميمونة)؛ لأنه تزوجه بمناسبة ميمونة غرّاء، وهي مناسبة دخول مكة المكرمة حاجاً مع أصحابه لأول مرة.

وأمها هي: هند بنت عوف بن زهير بن الحارث، والتي قيل فيها (أكرم عجوزٍ في الأرض أصهاراً)، فأصهارها هم: رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأبوبكر الصديق، وحمزة والعباس أبناء عبدالمطلب، وجعفر

....

الشرح

وعلي أبناء أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين.

وشقيقتها (أم الفضل) لُبابة الكبرى بنت الحارث زوج العباس بن عبدالمطلب، وأم ابنته، وأول امرأة آمنت بعد السيدة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها.

وكذلك أختها لبابة الصغرى بنت الحارث زوج الوليد بن المغيرة المخزومي، وهي أم خالد بن الوليد.

كانت السيدة ميمونة رضي لله عنها متزوجة من أبي رُهم بن عبد العزى العامري.. فمات عنها وهي في السادسة والعشرين من عمرها، ولما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة فاتحاً.. عرضت السيدة ميمونة نفسها عليه، حيث أخبرت أختها أم الفضل برغبتها بالزواج منه صلى الله عليه وسلم، فقامت أم الفضل بإخبار زوجها العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه، والذي بدوره أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فنزل قوله تعالى: ﴿ وَٱمۡرَأَةٗ مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا خَالِصَةٗ لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۗ قَدۡ عَلِمۡنَا مَا فَرَضۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ لِكَيۡلَا يَكُونَ عَلَيۡكَ حَرَجٞۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا

ورملة، ....

الشرح

رَّحِيمًا ﴾ {الأحزاب: ٥٠}، فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة سبع من الهجرة في عمرة القضاء.

توفيت السيدة ميمونة رضي الله عنها في سنة ثلاث وستين (٦٣هـ)، وقيل: سنة ست وستين (٦٦هـ)، وقيل: إحدى وخمسين للهجرة (٥١هـ)، وهي في الثمانين من عمرها، وقد صلى عليها ابن أختها عبدالله بن العباس رضي الله عنه، ودفنت في المكان الذي أوصت به وهو (سَرف)، وكان هذا المكان الذي شهد زواجها برسول الله صلى الله عليه وسلم.

(و) السادسة من نسائه اللاتي توفي عنهن رسول الله صلى الله عليه وسلم هي سيدتنا (**رملة**) بنت أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية.

أمها: صفية بنت أبي العاص عمة عثمان بن عفان رضي الله عنه.

كانت رضي الله عنها متزوجة من عبيد الله بن جحش الأسدي، وهو أخو أم المؤمنين زينب بنت جحش الآتي ذكرها إن شاء الله تعالى.

أسلمت السيدة رملة مع زوجها، وتعرضا للأذى والظلم في مكة المكرمة، فخرجا إلى الحبشة وفي الحبشة وضعت طفلتها حبيبة، وهناك صار اسمها (أم حبيبة).

....

الشرح

وفي الحبشة ارتدَّ زوجها عبيد الله عن الإسلام ولحق بالنصرانية والعياذ بالله، وحاول أن يردَّ زوجته أم حبيبة عن الإسلام، ولكنها أبت وصبرت، وقتلت الخمر زوجها عبيد الله فمات على النصرانية والعياذ بالله.

وبقيت وحيدة في الغربة مغلقة باباها على نفسها وابنتها، وحين انقضت عدتها.. أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم في زواجها، فأرسل لها الملك النجاشي خادمته لتنظر من توكل عن نفسها ليزوجها من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فوكلت خالد بن سعيد بن العاص، وقيل: عثمان بن عفان ﵁.. فزوّجها سنة ست، وبنى بها سنة سبع وبذلك أنقذها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من وحشة الوحدة والغربة والكربة التي كانت فيها، وبعد خيبر.. عادت مع المسلمين من الحبشة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

توفيت رضي الله عنها بالمدينة المنورة ودفنت بالبقيع، وكان ذلك سنة أربع وأربعين من الهجرة (٤٤هـ).

وهند، ....

الشرح

(و) السابعة من نسائه اللاتي توفي عنهن صلى الله عليه وسلم هي: سيدتنا (**هند**) بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبدالله القرشي المخزومي، وتكنى بـ(ـأم سلمة).

وأمها: عاتكة بنت عامر بن ربيعة بن مالك بن خزيمة بن علقمة بن فراس (الكنانية).

كانت متزوجة من الصحابي الجليل (أبي سلمة) عبدالله بن الأسد بن هلال بن مخزوم، وقد هاجر إلى الحبشة وإلى المدينة المنورة، ولهذا لُقب بصاحب الهجرتين، وهو ابن عمة الرسول صلى الله عليه وسلم (بَرَّة بنت عبد المطلب)، وكان أخاً للنبي صلى الله عليه وسلم بالرضاعة أيضاً، فقد أرضعتهما (ثويبة) مولاة أبي لهب.

توفي زوجها أبو سلمة من أثر جرح قد أصابه في غزوة أُحد، فخطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم وتزوجها سنة أربع في شوال.

توفيت رضي الله عنها في شهر رمضان أو شوال سنة ستين (٦٠هـ)، وقيل: سنة تسع وخمسين من الهجرة (٥٩هـ)، وقد صلى عليها سيدنا أبو هريرة رضي الله عنه، وقيل: سعيد بن زيد رضي الله عنه، ودفنت في البقيع، ودخل قبرها عمر وسلمة ابنا أبي سلمة وعبد الله بن عبد الله بن أبي أمية وعبد الله بن وهب بن

وزينب، ....

الشرح

زمعة، وكانت آخر من مات من أمهات المؤمنين رضي الله عنهن أجمعين.

(و) الثامنة من نسائه اللاتي توفي عنهن صلى الله عليه وسلم هي: سيدتنا **(زينب)** بنت جحش بن رئاب بن يعمر بن صبيرة بن مرة بن كثير بن غنم بن دودان ابن أسد بن خزيمة الأسدية القرشية حفيدة عبدالمطلب بن هاشم.

أمها هي: أميمة بنت عبدالمطلب عمة النبي صلى الله عليه وسلم.

كان اسمها قبل زواجها من النبي صلى الله عليه وسلم (بَرَّة)، فلما تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم.. سمَّاها (زينب)، وكان قد تزوجها زيد بن حارثة الذي تبنَّاه النبي صلى الله عليه وسلم، ثم حرَّم الشرعُ التبني، وبعد أن طلقها زيد رضي الله عنه.. جاء الأمر لنبيه صلى الله عليه وسلم بالزواج منها، قال تعالى ﴿ **فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِيٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْاْ مِنْهُنَّ وَطَرًاۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا** ﴾{الأحزاب: ٣٧}، وتزوجها صلى الله عليه وسلم سنة خمس من الهجرة، وقيل: سنة ثلاث، وكانت السيدة زينب رضي الله عنها تفتخر على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وتقول: ((**زوجني الله من رسوله و زوجكن آباؤكن**

وجويرية، ....

الشرح

وأقاربكن)) أخرجه الحاكم، أي: أنزل أمر زواجي.

توفيت رضي الله عنها سنة عشرين من الهجرة (٢٠هـ) ولها من العمر ثلاث وخمسون سنة، وقيل: سنة إحدى وعشرين (٢١هـ)، وصلى عليها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﵁، ودفنت بالبقيع، وكانت رضي الله عنها أول من مات من نسائه بعده صلى الله عليه وسلم، وهي أول من حمل في نعش، أشارت به أسماء بنت عُميس وكانت رأته في الحَبشة، فلما رأى أمير المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب ﵁ النعش.. قال: نعم خِبَاءُ الضعينة، وقيل: أول من حمل في نعش هي زينب بنت النبي صلى الله عليه وسلم كما في (سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد)، وقيل: أن أول من حملت في نعش هي فاطمة الزهراء بنت الحبيب صلى الله عليه وسلم كما في (المختصر الكبير في سيرة الرسول) للشيخ عز الدين بن جماعة الكتاني، نقلا عن أبو عمر بن عبد البر.

(و) التاسعة من نسائه اللاتي توفي عنهن صلى الله عليه وسلم هي: سيدتنا (**جويرية**) بنت الحارث بن أبي ضرار بن حبيب بن جذيمة، وهو المصطلق بن عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو الخزاعية المصطلقية.

كانت قبل زواجها من النبي صلى الله عليه وسلم زوجا لمسافع بن

....

الشرح

صفوان من بني عمومتها، وقيل: مالك بن صفوان، فقتل في غزوة المُرَيْسِع، وتسمى بغزوة بني المصطلق، وقد وقعت السيدة جويرية رضي الله عنها أسيرة في هذه الغزوة، وكانت في سهم ثابت بن قيس بن شمَّاس، فكاتبته لتفدي نفسها على تسع أواق، ثم جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم تستعينه في أداء ما عليها، فلما علم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكانتها وأنها ابنة سيد القوم.. عرض عليها أن يؤدي عنها ويكون ذلك مهرها فيتزوجها رجاء أن يكون ذلك سبباً في إسلام قبيلتها وتخلصهم من الرِّق، فقبلت ذلك وتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة خمس من الهجرة على الصحيح، وقيل: سنة ست، وكان عمرها آنذاك عشرين سنة.

وحينما سمع المسلمون خبر زواج النبي صلى الله عليه وسلم.. أعتقوا كل من كان في أيديهم من السبايا، وقالوا: هم أصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى أعتقت ما يقارب أربعمائة امرأة ، وما يقارب أهل مائة بيت من بني المصطلق في ذلك اليوم، حتى قالت السيدة عائشة رضي الله عنها:((مَا أَعْلَمُ امْرَأَةً كَانَتْ أَعْظَمَ بَرَكَةً عَلَى قَوْمِهَا مِنْهَا)) أخرجه الإمام أحمد وأبي داود والحاكم وابن حبان.

وخُيِّرْنَ ....

الشرح

توفيت السيدة جويرية رضي الله عنها وأرضاها وهي ابنة خمس وستين سنة، وذلك في شهر ربيع الأول سنة ست وخمسين من الهجرة (٥٦هـ)، وقيل: سبع وخمسين (٥٧هـ)، وقيل: ستين (٦٠هـ)، وكان ذلك في عهد معاوية بن أبي سفيان، وصلى عليها مروان بن الحكم حيث كان والياً على المدينة حينئذٍ_ رضي الله عنها وأرضاها-.

(وخُيِّرْنَ) عليهن رضوان الله تعالى بين البقاء معه صلى الله عليه وسلم، وبين أن يطلقهن بعد إن امتنع عنهن شهراً، ونزل قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ ﴾ {الأحزاب: ٢٨ – ٢٩}، فعَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ الله عَنْهُمَا قَالَ: لَمْ أَزَلْ حَرِيصًا عَلَى أَنْ أَسْأَلَ عُمَرَ رَضِيَ الله عَنْهُ عَنْ الْمَرْأَتَيْنِ مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اللَّتَيْنِ قَالَ الله لَهُمَا ﴿ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ﴾ {التحريم: ٤}، فَحَجَجْتُ مَعَه، فَعَدَلَ وَعَدَلْتُ مَعَهُ بِالْإِدَاوَةِ، فَتَبَرَّزَ حَتَّى جَاءَ فَسَكَبْتُ عَلَى يَدَيْهِ مِنْ الْإِدَاوَةِ فَتَوَضَّأَ، فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَنْ الْمَرْأَتَانِ مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيْهِ

....

الشرح

وَسَلَّمَ اللَّتَانِ قَالَ الله عَزَّ وَجَلَّ لَهُمَا: ﴿ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَا ﴾ {التحريم: ٤}، فَقَالَ: وَا عَجَبِي لَكَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، عَائِشَةُ وَحَفْصَةُ، ثُمَّ اسْتَقْبَلَ عُمَرُ الْحَدِيثَ يَسُوقُهُ فَقَالَ: إِنِّي كُنْتُ وَجَارٌ لِي مِنْ الْأَنْصَارِ فِي بَنِي أُمَيَّةَ بْنِ زَيْدٍ، وَهِيَ مِنْ عَوَالِي الْمَدِينَةِ، وَكُنَّا نَتَنَاوَبُ النُّزُولَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَيَنْزِلُ يَوْمًا وَأَنْزِلُ يَوْمًا، فَإِذَا نَزَلْتُ جِئْتُهُ مِنْ خَبَرِ ذَلِكَ الْيَوْمِ مِنْ الْأَمْرِ وَغَيْرِهِ، وَإِذَا نَزَلَ فَعَلَ مِثْلَهُ، وَكُنَّا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ نَغْلِبُ النِّسَاءَ، فَلَمَّا قَدِمْنَا عَلَى الْأَنْصَارِ.. إِذَا هُمْ قَوْمٌ تَغْلِبُهُمْ نِسَاؤُهُمْ، فَطَفِقَ نِسَاؤُنَا يَأْخُذْنَ مِنْ أَدَبِ نِسَاءِ الْأَنْصَارِ، فَصِحْتُ عَلَى امْرَأَتِي فَرَاجَعَتْنِي، فَأَنْكَرْتُ أَنْ تُرَاجِعَنِي، فَقَالَتْ: وَلِمَ تُنْكِرُ أَنْ أُرَاجِعَكَ فَوَالله إِنَّ أَزْوَاجَ النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيُرَاجِعْنَهُ، وَإِنَّ إِحْدَاهُنَّ لَتَهْجُرُهُ الْيَوْمَ حَتَّى اللَّيْلِ، فَأَفْزَعَنِي فَقُلْتُ: خَابَتْ مَنْ فَعَلَ مِنْهُنَّ بِعَظِيمٍ، ثُمَّ جَمَعْتُ عَلَيَّ ثِيَابِي فَدَخَلْتُ عَلَى حَفْصَةَ فَقُلْتُ: أَي: حَفْصَةُ أَتُغَاضِبُ إِحْدَاكُنَّ رَسُولَ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْيَوْمَ حَتَّى اللَّيْلِ؟ فَقَالَتْ: نَعَمْ، فَقُلْتُ: خَابَتْ وَخَسِرَتْ، أَفَتَأْمَنُ أَنْ يَغْضَبَ الله لِغَضَبِ رَسُولِهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَهْلِكِينَ، لَا تَسْتَكْثِرِي عَلَى رَسُولِ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا تُرَاجِعِيهِ فِي شَيْءٍ وَلَا تَهْجُرِيهِ وَاسْأَلِينِي مَا بَدَا لَكِ، وَلَا

....

الشرح

يَغُرَّنَّكِ أَنْ كَانَتْ جَارَتُكَ هِيَ أَوْضَأَ مِنْكِ وَأَحَبَّ إِلَى رَسُولِ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُرِيدُ عَائِشَةَ، وَكُنَّا تَحَدَّثْنَا أَنَّ غَسَّانَ تُنْعِلُ النِّعَالَ لِغَزْوِنَا فَنَزَلَ صَاحِبِي يَوْمَ نَوْبَتِهِ فَرَجَعَ عِشَاءً فَضَرَبَ بَابِي ضَرْبًا شَدِيدًا وَقَالَ: أَنَائِمٌ هُوَ؟ فَفَزِعْتُ فَخَرَجْتُ إِلَيْهِ وَقَالَ: حَدَثَ أَمْرٌ عَظِيمٌ، قُلْتُ: مَا هُوَ؟ أَجَاءَتْ غَسَّانُ؟ قَالَ: لَا بَلْ أَعْظَمُ مِنْهُ وَأَطْوَلُ، طَلَّقَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نِسَاءَهُ، قَالَ: قَدْ خَابَتْ حَفْصَةُ وَخَسِرَتْ كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ هَذَا يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ، فَجَمَعْتُ عَلَيَّ ثِيَابِي فَصَلَّيْتُ صَلَاةَ الْفَجْرِ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَدَخَلَ مَشْرُبَةً لَهُ فَاعْتَزَلَ فِيهَا، فَدَخَلْتُ عَلَى حَفْصَةَ فَإِذَا هِيَ تَبْكِي قُلْتُ مَا يُبْكِيكِ أَوَلَمْ أَكُنْ حَذَّرْتُكِ، أَطَلَّقَكُنَّ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالَتْ: لَا أَدْرِي، هُوَ ذَا فِي الْمَشْرُبَةِ، فَخَرَجْتُ فَجِئْتُ الْمِنْبَرَ فَإِذَا حَوْلَهُ رَهْطٌ يَبْكِي بَعْضُهُمْ، فَجَلَسْتُ مَعَهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ غَلَبَنِي مَا أَجِدُ، فَجِئْتُ الْمَشْرُبَةَ الَّتِي هُوَ فِيهَا فَقُلْتُ لِغُلَامٍ لَهُ أَسْوَدَ: اسْتَأْذِنْ لِعُمَرَ، فَدَخَلَ فَكَلَّمَ النَّبِيَّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ خَرَجَ فَقَالَ: ذَكَرْتُكَ لَهُ فَصَمَتَ، فَانْصَرَفْتُ حَتَّى جَلَسْتُ مَعَ الرَّهْطِ الَّذِينَ عِنْدَ الْمِنْبَرِ، ثُمَّ غَلَبَنِي مَا أَجِدُ، فَجِئْتُ فَذَكَرَ مِثْلَهُ، فَجَلَسْتُ مَعَ الرَّهْطِ الَّذِينَ عِنْدَ الْمِنْبَرِ، ثُمَّ غَلَبَنِي مَا أَجِدُ، فَجِئْتُ الْغُلَامَ فَقُلْتُ اسْتَأْذِنْ لِعُمَرَ، فَذَكَرَ مِثْلَهُ فَلَمَّا وَلَّيْتُ مُنْصَرِفًا.. فَإِذَا الْغُلَامُ يَدْعُونِي

....

الشرح

قَالَ: أَذِنَ لَكَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ فَإِذَا هُوَ مُضْطَجِعٌ عَلَى رِمَالِ حَصِيرٍ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ فِرَاشٌ قَدْ أَثَّرَ الرِّمَالُ بِجَنْبِهِ، مُتَّكِئٌ عَلَى وِسَادَةٍ مِنْ أَدَمٍ حَشْوُهَا لِيفٌ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، ثُمَّ قُلْتُ: وَأَنَا قَائِمٌ طَلَّقْتَ نِسَاءَكَ؟ فَرَفَعَ بَصَرَهُ إِلَيَّ فَقَالَ: لَا، ثُمَّ قُلْتُ وَأَنَا قَائِمٌ أَسْتَأْنِسُ: يَا رَسُولَ الله لَوْ رَأَيْتَنِي وَكُنَّا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ نَغْلِبُ النِّسَاءَ، فَلَمَّا قَدِمْنَا عَلَى قَوْمٍ تَغْلِبُهُمْ نِسَاؤُهُمْ، فَذَكَرَهُ فَتَبَسَّمَ النَّبِيُّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ قُلْتُ: لَوْ رَأَيْتَنِي وَدَخَلْتُ عَلَى حَفْصَةَ فَقُلْتُ لَا يَغُرَّنَّكِ أَنْ كَانَتْ جَارَتُكِ هِيَ أَوْضَأَ مِنْكِ وَأَحَبَّ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يُرِيدُ عَائِشَةَ -، فَتَبَسَّمَ أُخْرَى، فَجَلَسْتُ حِينَ رَأَيْتُهُ تَبَسَّمَ، ثُمَّ رَفَعْتُ بَصَرِي فِي بَيْتِهِ فَوَالله مَا رَأَيْتُ فِيهِ شَيْئًا يَرُدُّ الْبَصَرَ غَيْرَ أَهَبَةٍ ثَلَاثَةٍ، فَقُلْتُ: ادْعُ اللهَّ فَلْيُوَسِّعْ عَلَى أُمَّتِكَ، فَإِنَّ فَارِسَ وَالرُّومَ وُسِّعَ عَلَيْهِمْ وَأُعْطُوا الدُّنْيَا وَهُمْ لَا يَعْبُدُونَ اللهَّ، وَكَانَ مُتَّكِئًا، فَقَالَ أَوَفِي شَكٍّ أَنْتَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ؟! أُولَئِكَ قَوْمٌ عُجِّلَتْ لَهُمْ طَيِّبَاتُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله اسْتَغْفِرْ لِي، فَاعْتَزَلَ النَّبِيُّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ الْحَدِيثِ حِينَ أَفْشَتْهُ حَفْصَةُ إِلَى عَائِشَةَ، وَكَانَ قَدْ قَالَ مَا أَنَا بِدَاخِلٍ عَلَيْهِنَّ شَهْرًا مِنْ شِدَّةِ مَوْجِدَتِهِ عَلَيْهِنَّ حِينَ عَاتَبَهُ الله فَلَمَّا مَضَتْ تِسْعٌ وَعِشْرُونَ دَخَلَ عَلَى عَائِشَةَ، فَبَدَأَ بِهَا، فَقَالَتْ لَهُ عَائِشَةُ: إِنَّكَ أَقْسَمْتَ

فاخترنه صلى الله عليه وسلم على غيره.

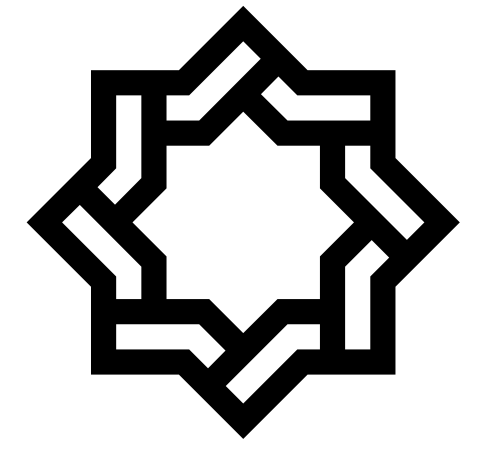
الشرح

أَنْ لَا تَدْخُلَ عَلَيْنَا شَهْرًا وَإِنَّا أَصْبَحْنَا لِتِسْعٍ وَعِشْرِينَ لَيْلَةً أَعُدُّهَا عَدّاً، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الشَّهْرُ تِسْعٌ وَعِشْرُونَ، وَكَانَ ذَلِكَ الشَّهْرُ تِسْعًا وَعِشْرِينَ قَالَتْ عَائِشَةُ: فَأُنْزِلَتْ آيَةُ التَّخْيِيرِ، فَبَدَأَ بِي أَوَّلَ امْرَأَةٍ، فَقَالَ: إِنِّي ذَاكِرٌ لَكِ أَمْرًا، وَلَا عَلَيْكِ أَنْ لَا تَعْجَلِي حَتَّى تَسْتَأْمِرِي أَبَوَيْكِ، قَالَتْ: قَدْ أَعْلَمُ أَنَّ أَبَوَيَّ لَمْ يَكُونَا يَأْمُرَانِي بِفِرَاقِكَ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ اللهَ قَالَ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ ﴾ {الأحزاب: ٢٨}، إِلَى قَوْلِهِ ﴿ عَظِيمًا ﴾ {الأحزاب: ٢٩}.قُلْتُ: أَفِي هَذَا أَسْتَأْمِرُ أَبَوَيَّ فَإِنِّي أُرِيدُ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ ثُمَّ خَيَّرَ نِسَاءَهُ فَقُلْنَ مِثْلَ مَا قَالَتْ عَائِشَةُ)) أخرجه البخاري ومسلم وأحمد.

فأول من خيرها صلى الله عليه وسلم هي السيدة عائشة كما في الحديث المتقدم، ثم بقية نسائه **(فاخترنه)** جميع نسائه التسع المار ذكرهن **(صلى الله عليه وسلم على غيره)**.

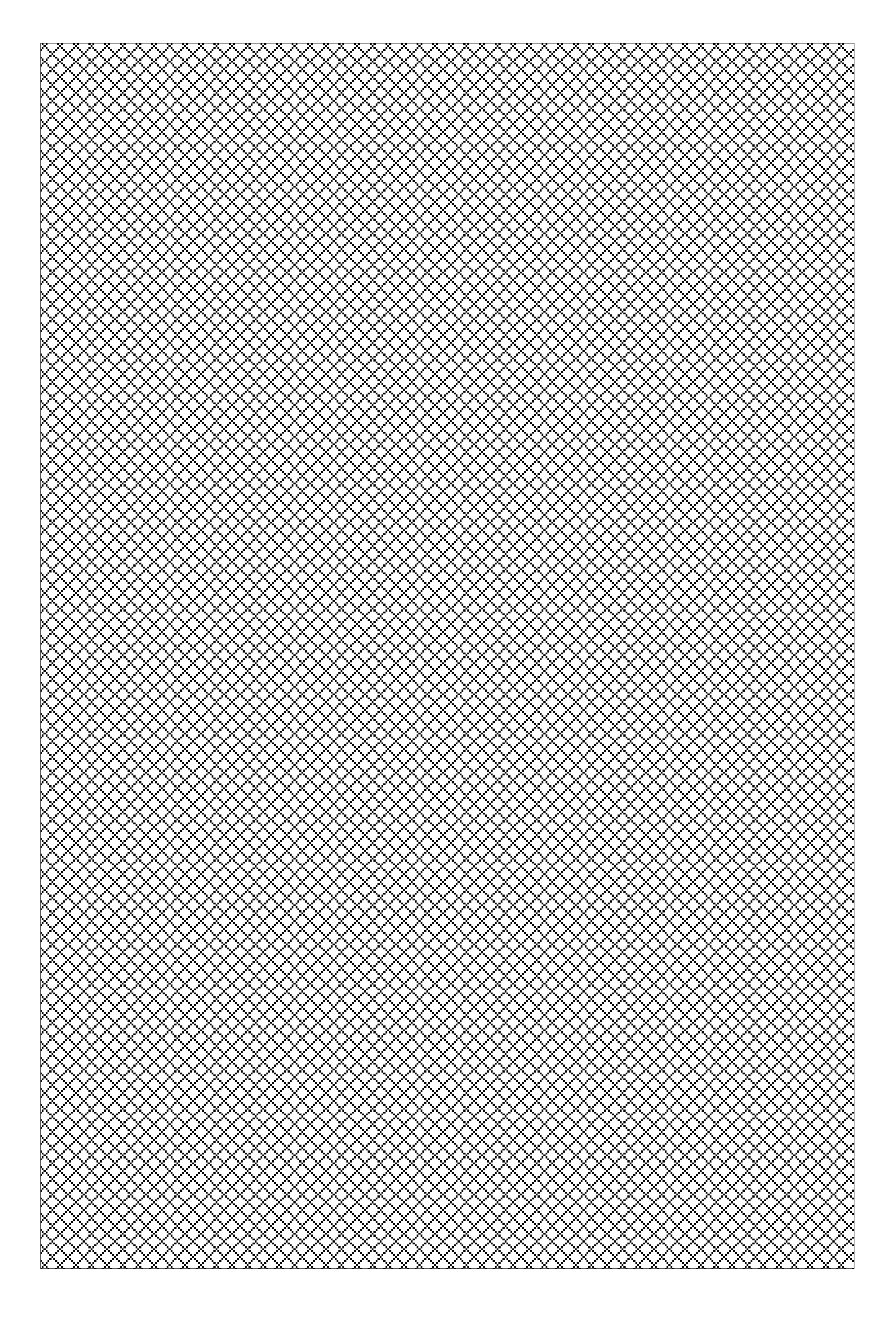
❁ ❁ ❁







القسم الثالث من أقسام التوحيد (السمعيات)



الدرس الثالث والعشرون
في القسم الثالث من أقسام التوحيد (السمعيات)

القسم الثالث من أقسام الوحيد السمعيات: وهي الأمور الغائبة عن العيان، المتلقِّية بواسطة السمع، الثابتة بإخبار الله تعالى لرسوله، ....

الشرح

الدرس الثالث والعشرون
في القسم الثالث من أقسام التوحيد (السمعيات)

و(**القسم الثالث من أقسام الوحيد السمعيات: وهي الأمور الغائبة عن العيان، المتلقِّية بواسطة السمع، الثابتة بإخبار الله تعالى لرسوله**)، فالعقائد التي تذكر في هذا القسم يُستدل عليها بالقرآن الكريم والسنَّة المطهّرة، فما كان منها قطعي الثبوت – وهو القرآن والحديث المتواتر – قطعي الدلالة، أي: لا يحتمل إلا معنى واحد.. فالإيمان به واجب، وتكذيبه كفر، وما كان منها غير قطعي، أي: إما قطعي الثبوت غير قطعي الدلالة، أو قطعي الدلالة وليس قطعي الثبوت.. فالإيمان به واجب، وتكذيبه فسوق إن لم يكن التكذيب بسبب تأويل ظاهر الاحتمال، وإلا فلا يفسق.[١]

(١) انظر المختصر المفيد (١٣٣).

كالملائكة، والكتب السماوية، والجن، واليوم الآخر وما اشتمل عليه من عذاب القبر ونعيمه والبعث والنشر والموقف وأهواله والحساب والصراط والميزان وتطاير الصحف والحوض والجنة والنار ونحوها.

ومعنى الإيمان بالملائكة هو: اعتقاد أنهم عباد مكرمون من عباد الرحمن اصطفاهم الله، شأنهم الطاعة لا يفترون عنها، ولا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون،



وهذه السمعيات (**كالملائكة والكتب السماوية والجن**) وهم مكلفون من أصل الخلقة كما تقدم، (**واليوم الآخر وما اشتمل عليه من عذاب القبر ونعيمه والبعث والنشر والموقف وأهواله والحساب والصراط والميزان وتطاير الصحف والحوض والجنة والنار ونحوها**)، وسيأتي إن شاء الله تعالى بيان كل ذلك في موضعه.

(**ومعنى الإيمان بالملائكة هو: اعتقاد أنهم عباد مكرمون من عباد الرحمن اصطفاهم الله، شأنهم الطاعة لا يفترون عنها**) أي: عن الطاعة والعبادة لله، (**ولا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون**)؛ لأنهم مجبولون على ذلك، ومنزَّهون عن الآثام والخطايا، ومطهَّرون عن الشهوات الحيوانية، ومبرَّؤون من الميول النفسية، قال تعالى ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ

وهم أجسام لطيفة نورانية ليسوا بذكور ولا إناث، ولا لهم أب ولا أم، ولا أكل ولا شرب ولا نوم.

الشرح

﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [النحل: ٥٠]، وقال تعالى ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦]، (**وهم أجسام لطيفة نورانية**) قادرة على التشكُّل بأشكال مختلفة (**ليسوا بذكور ولا إناث**) ولا خناثاً، فمن اعتقد أنهم ذكوراً فهو مبتدع فاسق، وفي كفره قولان:

١) فمنهم من قال بكفره.

٢) ومنهم من قال بفسقه فقط.

أما من اعتقد أنهم إناثاً فهو كافر؛ لأنه دخل في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا﴾ [الزخرف: ١٩]، فالحق سبحانه وتعالى ينفي كونهم إناثاً وهو يثبته.. فهو كافر قطعاً، وأولى بالكفر من اعتقد خنوثتهم لمزيد النقص.

(و) من الإيمان بالملائكة الإيمان بأنهم خلقوا من غير واسطة، فـ(**لا لهم أب ولا أم، ولا أكل ولا شرب ولا نوم**) لهم، فلا يأكلون ولا يشربون ولا ينامون ولا يتغوَّطون ولا يتناكحون.

....

الشرح

وهم أصحاب أجنحة، فمنهم من له جناحان، ومنهم من له ثلاثة، ومنهم من له أربعة، ومنهم من يزيد على ذلك، قال تعالى ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ {فاطر: ١}، وعن ابْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه ((أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى جِبْرِيلَ لَهُ سِتُّ مِائَةِ جَنَاحٍ)) أخرجه البخاري ومسلم وأحمد.

ومن بينهم أي: الملائكة.. الكتبة والحفظة، وحملة العرش، والمسبِّحون، والمستغفرون للمؤمنين، والساجدون، والصافون، والمتعاقبون فينا بالليل والنهار، وملائكة الرحمة، وملائكة سيَّارة يبتغون مجالس الذكر، وغيرهم.

ومنهم من هو ساجد لله منذ أن خلقه ، ومنهم من هو راكع كذلك، ويوم القيامة يقولون: يارب ما عبدناك حق عبادتك.

قال الإمام الألوسي في تفسيره عند قوله تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ {البقرة: ٣٠} :((وهي –أي: الملائكة– عندنا منقسمة إلى قسمين :قسم شأنهم الاستغراق في معرفة الحق والتنزه

....

الشرح

عن الاشتغال بغيره ﴿ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾ {الأنبياء: ٢٠}، وهم العليّون والملائكة المقربون، وقسم يدبِّر الأمر من السماء إلى الأرض على ما سبق به القضاء وجرى به القلم ﴿ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ {التحريم: ٦}، وهم: ﴿ فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ﴾ {النازعات: ٥}، فمنهم سماوية ومنهم أرضية ، ولا يعلم عددهم إلى الله)) اهـ.

فائدة:

قال الفخر الرازي عند قوله تعالى أيضا ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ {البقرة: ٣٠} :((وأما الإيمان بالملائكة ، فهو من أربعة أوجه:

أولها : الإيمان بوجودها، والبحث عن أنها روحانية محضة، أو جسمانية، أو مركبة من القسمين، وبتقدير كونها جسمانية فهي أجسام لطيفة أو كثيفة، فإن كانت لطيفة فهي أجسام نورانية، أو هوائية، وإن كانت كذلك فكيف يمكن أن تكون مع لطافة أجسامها بالغة في القوة إلى الغاية القصوى، فذاك مقام العلماء الراسخين في علوم الحكمة القرآنية والبرهانية.

والمرتبة الثانية في الإيمان بالملائكة : العلم بأنهم معصومون مطهرون

....

الشرح

﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ {النحل: ٥٠} ، ﴿ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴾ {الأنبياء: ١٩}، فإن لذتهم بذكر الله، وأنسهم بعبادة الله، وكما أن حياة كل واحد منا بنفسه الذي هو عبارة عن استنشاق الهواء، فكذلك حياتهم بذكر الله تعالى ومعرفته وطاعته .

والمرتبة الثالثة : أنهم وسائط بين الله وبين البشر، فكل قسم منهممتوكل على قسم من أقسام هذا العالم، كما قال سبحانه : ﴿ وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ۝١ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ﴾ {الصافات: ١ – ٢}، وقال : ﴿ وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرْوًا ۝١ فَٱلْحَٰمِلَٰتِ وِقْرًا ﴾ {الذاريات: ١ – ٢}، وقال : ﴿ وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ۝١ فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا ﴾ {المرسلات: ١ – ٢}، وقال : ﴿ وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا ۝١ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا ﴾ {النازعات: ١ – ٢}، ولقد ذكرنا في تفسير هذه الآيات أسراراً مخفية ، إذا طالعها الراسخون في العلم وقفوا عليها .

والمرتبة الرابعة : أن كتب الله المنزلة إنما وصلت إلى الأنبياء بواسطة الملائكة ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝١٩ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ۝٢٠ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴾ {التكوير: ١٩ – ٢١}، فهذه المراتب لا بد منها في حصول الإيمان بالملائكة ، فكلما كان غوص العقل في هذه المراتب أشد كان إيمانه بالملائكة أتم)) اهـ.

الدرس الرابع والعشرون

وعدد الملائكة كثيرٌ لا يحصي عددهم إلا الله سبحانه وتعالى.

والواجب معرفتهم تفصيلاً على المكلف شرعاً.. عشرة، وهم: جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، وعزرائيل، ومنكر ونكير، ورقيب وعتيد، ومالك، ورضوان، وأما وظائفهم: فجبريل عليه السلام أمين الوحي، .....

الدرس الرابع والعشرون

(**وعدد الملائكة كثيرٌ لا يحصي عددهم إلا الله سبحانه وتعالى**)، فعَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:((**إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ وَأَسْمَعُ مَا لَا تَسْمَعُونَ أَطَّتْ السَّمَاءُ وَحَقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعَ إِلَّا عَلَيْهِ مَلَكٌ سَاجِدٌ**)) أخرجه أحمد والترمذي.

(**والواجب معرفتهم تفصيلاً على المكلف شرعاً.. عشرة، وهم: جبريل**) ويقال له جبرائيل، (**وميكائيل، وإسرافيل، وعزرائيل**) بفتح العين على الصحيح، (**ومنكر ونكير، ورقيب وعتيد، ومالك، ورضوان، وأما وظائفهم**).. فهم موزعون على أربعة أقسام:

(**ف**) **الأول**: التصريفيُّون، وهم:

١) (**جبريل عليه السلام**): وهو (**أمين الوحي**) السفير بين الله وأنبيائه ورسله، قال تعالى: ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ {البقرة: ٩٧}، ويسمى بالروح الأمين، قال تعالى:

وميكائيل موكل برزق العباد، وإسرافيل موكل بنفخ الصور، ....

الشرح

﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ﴾ {الشعراء: ١٩٢ – ١٩٤}، ويسمى كذلك بروح القدس، قال تعالى ﴿ قُلۡ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلۡقُدُسِ مِن رَّبِّكَ ﴾ {النحل: ١٠٢}، ويسمى أيضا بالناموس ، كما قال ورقة بن نوفل للنبي صلى الله عليه وسلم:((هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي نَزَّلَ الله عَلَى مُوسَى)) أخرجه البخاري ومسلم وأحمد.

٢) **(وميكائيل)** وهو **(موكل برزق العباد)** وبالأمطار والبحار والأنهار وتصوير الأجنة في بطون أمهاتهم.

٣) **(وإسرافيل)** وهو **(موكل بنفخ الصور)**، أي: البوق العظيم، وينفخ فيه يوم القيامة ثلاث نفخات، الأولى نفخة الفزع، قال تعالى: ﴿ وَيَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ وَكُلٌّ أَتَوۡهُ دَٰخِرِينَ ﴾ {النمل: ٨٧}، والنفخة الثانية تفنى فيها جميع المخلوقات إلا من شاء الله تعالى، والنفخة الثالثة تبعث فيها جميع المخلوقات، فترجع الأرواح إلى أجسادها، قال تعالى:﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ ﴾ {الزمر: ٦٨}، ويوجد بالصور الذي هو البوق العظيم ثقاب بعدد بني آدم،

وعزرايل موكل بقبض الأرواح، ....

الشرح

فإذا مات الإنسان قدمت روحه إلى ثقبها، فإذا أراد الله إحيائهم خرجت كل روح من ثقبها وتوجهت إلى صاحبها.

وإسرافيل عليه السلام موكل كذلك باللوح المحفوظ.

٤) (**وعزرائيل**) هكذا تواتر اسمه، قال الإمام ابن عجيبة في تفسيره عند قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ﴾ {السجدة: ١١}: ((وعن مقاتل والكلبي : بلغنا أن اسم ملك الموت عزرائيل)) اهـ.

وقال الإمام السيوطي في الإتقان: ((ملك الموت أشتهر على الألسنة أن اسمه عزرائيل، ورواه أبو الشيخ بن حبان عن وهب))اهـ.

وقد ذكر أكثر أهل التفسير وأهل العلم أن اسمه (عزرائيل) لوجود هذا الأثر وإن كان فيه كلام عند أهل الحديث، إلا أن تسميته بهذا الاسم ليس فيه ضرر، وخصوصاً أن الألسن تناقلته بالتواتر.

وهو أي: عزرائيل (**موكل بقبض الأرواح**) قال تعالى: ﴿ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ﴾ {السجدة: ١١}.

....

الشرح

وأما قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴾ {الأنعام: ٦١}.. فإن لملك الموت أعوان، وهم رسل يعينونه على قبض الأرواح، قال ابن عباس رضي الله عنهما :(خطوة ملك الموت ما بين المشرق والمغرب)اهـ، وقال مجاهد :(جعلت له الأرض مثل الطست يتناول منه حيث يشاء)اهـ.[1]

وأما قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ﴾ {الزمر: ٤٢}.. ففيه احتمالان:

الأول: أن المتوفي الحقيقي هو الله، وإنما عزرائيل سبب.

الثاني: أن أرواح المحبوبين لديه تعالى يتولى هو بنفسه قبضها من غير واسطة.

قال صاحب الجوهرة:

وواجب إيماننا بالموتِ ويقبض الروحَ رسول الموتِ

---

(١) انظر السراج المنير للخطيب الشربيني عند قوله تعال ﴿ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ﴾ {السجدة: ١١}.

ومنكر ونكير موكلان بسؤال الميت في قبره.........................

الشرح

(و) **الثاني** من أقسام الملائكة هم: الفاتنون وهم: (**منكر ونكير**)، وهما (**موكلان بسؤال الميت**) من الإنس والجن (**في قبره**)، فيسألانه عن ربّه ونبيه وقبلته، فيكون السؤال عن التوحيد والدين والنبوة.

وقيل: هما للمؤمن الموفّق مبشِّر وبشير، وللكافر والمؤمن العاصي منكر ونكير، كما ذكر ذلك بعض الفقهاء.[١]

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ:قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:((**إِذَا قُبِرَ الْمَيِّتُ أَوْ قَالَ أَحَدُكُمْ أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا الْمُنْكَرُ وَالْآخَرُ النَّكِيرُ فَيَقُولَانِ مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ فَيَقُولُ مَا كَانَ يَقُولُ هُوَ عَبْدُ الله وَرَسُولُهُ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ فَيَقُولَانِ قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ هَذَا ثُمَّ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا فِي سَبْعِينَ ثُمَّ يُنَوَّرُ لَهُ فِيهِ ثُمَّ يُقَالُ لَهُ نَمْ فَيَقُولُ أَرْجِعُ إِلَى أَهْلِي فَأُخْبِرُهُمْ فَيَقُولَانِ نَمْ كَنَوْمَةِ الْعَرُوسِ الَّذِي لَا يُوقِظُهُ إِلَّا أَحَبُّ أَهْلِهِ إِلَيْهِ حَتَّى يَبْعَثَهُ الله مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ وَإِنْ كَانَ مُنَافِقًا قَالَ سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ فَقُلْتُ مِثْلَهُ لَا أَدْرِي فَيَقُولَانِ قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ ذَلِكَ فَيُقَالُ لِلْأَرْضِ الْتَئِمِي عَلَيْهِ فَتَلْتَئِمُ عَلَيْهِ فَتَخْتَلِفُ**

---

(١) انظر فتح الباري (٣/ ٢٦٤).

ورقيب موكل بكتابة الحسنات، وعتيد الموكل بكتابة السيئات، ....

الشرح

فِيهَا أَضْلَاعُهُ فَلَا يَزَالُ فِيهَا مُعَذَّبًا حَتَّى يَبْعَثَهُ الله مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ)) أخرجه الترمذي.

الثالث من ألأقسام هم: الحافظون، **(و)** هم:

(رقيب)، وهو **(موكل بكتابة الحسنات)**، ويكون في جهة اليمين، **(وعتيد)**، وهو **(الموكل بكتابة السيئات)**، ويكون في جهة الشمال.

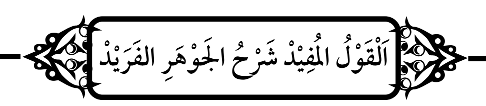
ومعنى رقيب وعتيد: أي: حافظ وحفيظ، وكل واحد منهما يسمى بهذين اللفظين، أي: أن ملك اليمين يدعى رقيب عتيد، وملك الشمال يدعى رقيب عتيد، وقيل: أن أحدهما رقيب والآخر عتيد.

وإذا فعل العبد الحسنة.. بادر ملك اليمين بكتابتها، وإذا فعل سيئة وأراد ملك الشمال أن يكتبها.. أمره ملك اليمين بما له من إمارة عليه أن يمهله، فإن استغفر العبد وتاب.. كتبها حسنة، وإن لم يستغفر.. كتبها سيئة.

وقد أُختُلِفَ فيما يكتبان، فقال مجاهد: يكتبان عليه حتى أنينه في مرضه، أي: غاية فيما يكتبان، فهما يكتبان كل شيء، وقال عكرمة: لا يكتبان إلا ما يؤجر أو يوزر فيه.[١]

---

(١) انظر تفسير السراج المنير للشربيني عند قوله تعالى: ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾ {ق: ١٨}.



ومالك خازن النار، ورضوان خازن الجنة.

الشرح

والرابع والأخير من الأقسام: الخازنون، (و) هم:

(**مالك**)، وهو (**خازن النار**)، وهي سبع طبقات: أعلاها وأخفها جهنم، ثم لظى والحطمة والسعير وسقر والجحيم والهاوية.

ومع مالك خازن النار الزبانية، وهم تسعة عشر نفراً، كما قال تعالى ﴿ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴾ {المدثر: ٣٠} ، ولكل نفر منهم جنود لا يعلم عددهم إلا الله، قال تعالى ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾ {المدثر: ٣١}، وسيأتي بيان طبقاتها إن شاء الله تعالى عند ذكر الجزاء.

(**ورضوان**)، وهو (**خازن الجنة**) أي: رئيس خزنتها، قال تعالى في حق الذين اتقوا: ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴾ {الزمر: ٧٣}.

والجنان سبع: الفردوس وهي أعلاها، وجنة المأوى، وجنة الخلد، وجنة النعيم، وجنة عدن، ودار السلام، ودار الجلال، وسيأتي إن شاء الله تعالى تفصيلها عند ذكر الجزاء.

الدرس الخامس والعشرون
في معنى الإيمان بالكتب

ومعنى الإيمان بالكتب هو: اعتقاد أنها كلام الله الأزلي القديم المنزَّه عن الحروف والصوت، وأن كل ما تضمنته حق وصدق عن الله تعالى، وأنه سبحانه وتعالى أنزلها على رسله عليهم الصلاة والسلام.

والواجب معرفته إجمالاً..مائة وهي:



الدرس الخامس والعشرون
في معنى الإيمان بالكتب

(**ومعنى الإيمان بالكتب هو: اعتقاد أنها كلام الله الأزلي القديم المنزَّه عن الحروف والصوت**)، كما تقدم تفصيل ذلك في الحديث عن صفة الكلام.

(و) يجب اعتقاد (**أن كل ما تضمنته حق وصدق عن الله تعالى**) إلا ما حُرِّف منها من غير القرآن لعصمته، (و) يجب اعتقاد (**أنه سبحانه وتعالى أنزلها على رسله عليهم الصلاة والسلام**) بالتفصيل الذي سنذكره الآن إن شاء الله تعالى.

(**والواجب معرفته إجمالاً**) من الكتب المنزلة (**مائة**) كتاب، (**وهي**:

ستون منها على نبي الله شيث، وثلاثون على نبي الله إبراهيم، وعشرة على نبي الله موسى قبل التوراة.

الشرح

ستون منها على نبي الله شيث) بن آدم، **(وثلاثون على نبي الله إبراهيم، وعشرة على نبي الله موسى قبل التوراة)**، وهي المراد بقوله تعالى: ﴿ أَمۡ لَمۡ يُنَبَّأۡ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ٣٦ وَإِبۡرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ ﴾{النجم: ٣٦ – ٣٧}وبقوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ ١٨ صُحُفِ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ١٩ ﴾ {الأعلى: ١٨ – ١٩} عليهما وعلى نبينا أفضل الصلاة وأزكى التسليم.[١]

وقال بعضهم كما في (فيض الحجا): أنزل منها خمسون على سيدنا شيثٍ، وثلاثون على سيدنا إدريس، وعشرة على سيدنا آدم وعشرة على سيدنا إبراهيم، فهذه مائة، ومعها الكتب الأربعة فتكون إجمالاً مائة وأربعة.

وهذا على التقريب لا التحقيق، قال السحيمي: ((والحق عدم حصر الكتب في عدد معين، فلا يقال أنها مائة وأربعة فقط؛ لأنك إذا تتبعت ، أي: فتّشت الروايات تجدها تبلغ أربعة وثمانين ومائة، فيجب اعتقاد أن الله أنزل كتباً من السماء على الإجمال)) اهـ[٢]

---

(١) انظر (دليل الفالحين) (طبعة شركة القدس) (١/ ١٦٨).

(٢) انظر ذلك في (كاشفة السجا شرح سفينة النجا) (طبعة دار التيسير) (١١).

وتفصيلاً.. أربعة وهي: التوراة المنزلة على نبي الله موسى، ....

الشرح

(و) الواجب معرفته من الكتب (**تفصيلاً أربعة، وهي**):

الأول: (**التوراة**)، قيل: مأخوذة من ورى الزند، أي: خرج ناره، فإنها نور وضياء، وهي (**المنزلة على نبي الله موسى**) عليه السلام، قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ﴾ {المائدة:٤٤}، وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾ {الأنبياء: ٤٨}.

وقد حُرِّف التوراة، حيث حرفه أكثر من كاتب من رهبان اليهود؛ ليُخْفُوا ما فيه من الحق الذي لا يتوافق مع هواهم، فالذي عندهم منالتوراة الصحيحة هو بعضها فقط، وقد أثبت الله هذا التحريف في قوله :

﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ {البقرة: ٧٥}، قال الإمام الطبري عند تفسير هذه الآية:((حدثنا يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد في قوله: ﴿ يَسْمَعُونَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ ﴾ {البقرة: ٧٥}: التوراة التي أنزلها عليهم، يحرفونها، يجعلون الحلال فيها حراما، والحرام فيها حلالا والحق فيها باطلا والباطل فيها حقا)) اهـ.

....

الشرح

وقال تعالى: ﴿ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ﴾ {النساء: ٤٦}، قال الحفظ بن حجر في الفتح:((قال أبو عبيدة في كتاب (المجاز) في قوله تعالى: ﴿ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ﴾ {النساء: ٤٦}، قال: يقلِّبون ويغيِّرون)) اهـ.

وقال مجاهد: يعني تبديل اليهود التوراة، كما فعلوا في آية الرجم حين أخفوها، فيطبِّقون الرجم على الضعيف إذا زنى، أما إن زنى الشريف منهم.. حمسوه وطافوا به، فعَنْ عَبْدِ الله بْنِ عُمَرَ رَضِيَ الله عَنْهُما أَنَّ الْيَهُودَ جَاءُوا إِلَى رَسُولِ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَذَكَرُوا لَهُ أَنَّ رَجُلًا مِنْهُمْ وَامْرَأَةً زَنَيَا، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:((**مَا تَجِدُونَ فِي التَّوْرَاةِ فِي شَأْنِ الرَّجْمِ**)) فَقَالُوا: نَفْضَحُهُمْ وَيُجْلَدُونَ، فَقَالَ عَبْدُ الله بْنُ سَلَامٍ: كَذَبْتُمْ إِنَّ فِيهَا الرَّجْمَ، فَأَتَوْا بِالتَّوْرَاةِ فَنَشَرُوهَا، فَوَضَعَ أَحَدُهُمْ يَدَهُ عَلَى آيَةِ الرَّجْمِ، فَقَرَأَ مَا قَبْلَهَا وَمَا بَعْدَهَا، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الله بْنُ سَلَامٍ: ارْفَعْ يَدَكَ، فَرَفَعَ يَدَهُ، فَإِذَا فِيهَا آيَةُ الرَّجْمِ، فَقَالُوا: صَدَقَ يَا مُحَمَّدُ فِيهَا آيَةُ الرَّجْمِ، فَأَمَرَ بِهِمَا رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرُجِمَا، قَالَ عَبْدُ الله: فَرَأَيْتُ الرَّجُلَ يَجْنَأُ عَلَى الْمَرْأَةِ يَقِيهَا الْحِجَارَةَ. أخرجه البخاري.

والإنجيل المنزل على نبي الله عيسى، ....

الشرح

(و) **الثاني**: من الكتب هو (**الإنجيل**)، قيل: مأخوذ من النجل، وهو استخراج خلاصة الشيء، وسمي الكتاب بذلك لاستخلاصه نور التوراة، ومنه قيل للولد: نجل أبيه لاستخلاصه منه، وقيل: هي كلمة يونانية معناها: بشرى.

والإنجيل هو الكتاب (**المنزل على نبي الله عيسى**) عليه السلام، وقد دخل الإنجيلَ التحريفُ بأيدي أكثر من كاتب من قساوسة النصارى، ونسبوا كثيراً من كتب الأناجيل إلى أنفسهم بحيث زادوا وبدَّلوا، حتى صار هناك أكثر من إنجيل، فعلى سبيل المثال:(إنجيل متى، وإنجيل لوقا، وإنجيل مرقس، وإنجيل يوحنّا، وإنجيل برنابا)، ويعتبر إنجيل برنابا هو الإنجيل القريب من الصحة.

قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَاوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَسَوۡفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ﴾ {المائدة: ١٤}.

والزبور المنزل على نبي الله داود، والفرقان المنزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

الشرح

(و) **الثالث**: من الكتب هو (**الزبور المنزل على نبي الله داود**) عليه السلام، قال تعالى ﴿ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴾ {النساء: ١٦٣}.

(و) **الرابع**: من الكتب هو (**الفرقان المنزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم**)، والفرقان اسم من أسماء القرآن، ومعناه: الفارق بين الحق والباطل، قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴾ {الإنسان: ٢٣}، وقال تعالى: ﴿ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ ﴾ {آل عمران: ٣ – ٤}.

وأسمائه أربعة: القرآن، وترك الهمز لغة قريش، والكتاب، والذكر، والفرقان.

وعدد أجزائه: ثلاثون (٣٠) جزء، وعدد سوره: أربع عشرة ومائة (١١٤) سورة، وعدد آيته: ست عشرة وستمائة وستة آلاف (٦٦١٦) آية، وعدد كلماته: أربع وثلاثون وتسعمائة وسبعة وسبعون ألف (٧٧٩٣٤) كلمة، وعدد حروفه: واحد وسبعون وستمائة وثلاثة وثلاثون ألف وثلاثمائة ألف (٣٣٣٦٧١).

وأنه يجب علينا العمل بما فيه من طاعة الله ورسوله، والتمسك به وتعظيمه، وتجويده، وتعلمه وتعليمه.

الشرح

وقد حُفِظ القرآن الكريم من التبديل والتحريف، فقد تكفّل الله بحفظه إلى يوم رفعه، قال تعالى ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ {الحجر: ٩}.

(وأنه يجب علينا العمل بما فيه) أي: القرآن **(من طاعة الله ورسوله، والتمسك به وتعظيمه، وتجويده)**؛ لقوله تعالى: ﴿ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴾ {المزمل: ٤}، **(و)** يجب **(تعلمه)** حفظاً وفهماً لأحكامه، وعملاً بها، **(وتعليمه)** وتعليم أحكامه.




الدرس السادس والعشرون

في الإيمان باليوم الآخر

واليوم الآخر هو يوم القيامة، وأوله.. من الموت، ....

الشرح

الدرس السادس والعشرون

في الإيمان باليوم الآخر

(**واليوم الآخر هو يوم القيامة**)، وسمِّي باليوم الآخر؛ لأنه لا يوم بعده، فلا طلوع للشمس بعد ذلك اليوم، (**وأوله.. من الموت**) وهو مفارقة الروح الجسد، وللإمام الغزالي كلام جميل في بيان حقيقة الموت وردًّا على بعض التوهمات الفاسدة أحببت نقله هنا لتعم الفائدة، قال رحمه الله تعالى في الإحياء:((**اعلم**: أن للناس في حقيقة الموت ظنونا كاذبة قد أخطؤوا فيها، فظن بعضهم أن الموت هو العدم، وأنه لا حشر ولا نشر، ولا عاقبة للخير والشر، وأن موت الإنسان كموت الحيوانات وجفاف النبات، وهذا رأى الملاحدة وكلٍّ من لا يؤمن بالله واليوم الآخر.

وظن قوم أنه ينعدم بالموت، ولا يتألم بعقاب، ولا يتنعم بثواب ما دام في القبر إلى أن يعاد في وقت الحشر.

وقال آخرون: إن الروح باقية لا تنعدم بالموت، وإنما المثاب والمعاقب هي الأرواح دون الأجساد، وإن الأجساد لا تبعث ولا تحشر أصلا.

....

الشرح

وكل هذه الظنون فاسدة ومائلة عن الحق، بل الذي تشهد له طرق الاعتبار وتنطق به الآيات والأخبار أن الموت معناه: تغيُّرُ حال فقط، وأن الروح باقية بعد مفارقة الجسد إما مُعَذَّبَةً وإِمَّا مُنَعَّمَةً.

ومعنى مفارقتها للجسد: انقطاع تصرفها عن الجسد بخروج الجسد عن طاعتها؛ فإن الأعضاء آلات للروح تستعملها، حتى أنها لتبطش باليد وتسمع بالأذن وتبصر بالعين، وتعلم حقيقة الأشياء بالقلب، والقلب ههنا عبارة عن الروح،فالروح تعلم الأشياء بنفسها من غير آلة، ولذلك قد يتألم بنفسه بأنواع الحزن والغم والكمد، ويتنعم بأنواع الفرح والسرور، وكل ذلك لا يتعلق بالأعضاء، فكل ما هو وصف للروح بنفسها فيبقى معها بعد مفارقة الجسد، وما هو لها بواسطة الأعضاء فيتعطل بموت الجسد إلى أن تعاد الروح إلى الجسد، ولا يبعد أن تعاد الروح إلى الجسد في القبر، ولا يبعد أن تؤخر إلى يوم البعث، والله أعلم بما حكم به على كل عبد من عباده.

وإنما تعطُّلُ الجسد بالموت يضاهي تعطل أعضاء الزمن بفساد مزاج يقع فيه، وبشدة تقع في الأعصاب تمنع نفوذ الروح فيها، فتكون الروح العالمة العاقلة المدركة باقية مستعملة لبعض الأعضاء، وقد استعصى عليها بعضها، والموت عبارة عن استعصاء الأعضاء كلها، وكل الأعضاء آلات،

....

الشرح

والروح هي المستعملة لها.وأعنى بالروح: المعنى الذي يدركُ من الإنسان العلومَ والآلام والغموم، ولذات الأفراح، ومهما بطل تصرفها في الأعضاء.. لم تبطل منها العلوم والإدراكات، ولا بطل منها الأفراح والغموم، ولا بطل منها قبولها للآلام واللذات.

والإنسان بالحقيقة هو المعنى المدرك للعلوم وللآلام واللذات، وذلك لا يموتُ، أي: لا ينعدم.

ومعنى الموت: انقطاع تصرفه عن البدن، وخروج البدن عن أن يكون آلةً له، كما أن معنى الزمانة خروج اليد عن أن تكون آلة مستعملة، فالموت زمانةٌ مطلقةٌ في الأعضاء كلها، وحقيقة الإنسان نفسُهُ ورُوحُهُ، وهي باقية.

نعم، تغيُّرُ حاله من جهتين:

إحداهما: أنه سَلَبَ مِنْهُ عَيْنَهُ وأذنَهُ ولِسَانَهُ وَيَدَهُ وَرِجْلَهُ وَجَمِيْعَ أعضائه، وسلب منه أهله وولده وأقاربه وسائر معارفه، وسلب منه خيله ودوابه وغلمانه ودوره وعقاره وسائر أملاكه.

ولا فرق بين أن تُسلبَ هذه الأشياء من الإنسان وبين أن يُسلبَ الإنسانُ من هذه الأشياء؛ فإن المؤلم هو الفراق، والفراق يحصل تارة بأن

....

الشرح

يُنهبَ مالُ الرجلِ، وتارة بأن يُسبى الرجلُ عن الملكِ والمالِ، والألم واحد في الحالتين.

وإنما معنى الموت: سلبُ الإنسانِ عن أمواله بإزعاجه إلى عالم آخر لا يناسب هذا العالم؛ فإن كان له في الدنيا شيء يأنس به ويستريح إليه ويعتدُّ بوجوده.. فيعظُم تَحَسُّرُهُ عليه بعد الموت، ويصعب شقاؤه في مفارقته، بل يلتفت قلبه إلى واحدٍ واحدٍ من ماله وجاهه وعقاره، حتى إلى قميص كان يلبسه مثلا ويفرح به، وإن لم يكن يفرح إلا بذكر الله ولم يأنس إلا به.. عظُم نعيمُهُ وتمت سعادته؛ إذا خُلِّيَ بينه وبين محبوبه، وقُطِعَت عنه العوائق والشواغل؛ إذ جميع أسباب الدنيا شاغلةٌ عن ذكر الله تعالى، فهذا أحد وجهي المخالفة بين حالِ الموت وحال الحياة.

والثاني: أنه ينكشف له بالموت ما لم يكن مكشوفا له في الحياة؛ كما قد ينكشف للمتيقظ مالم يكن مكشوفا له في النوم، والناس نيام، فإذا ماتوا.. انتبهوا، وأول ما ينكشف له ما يضره وينفعه من حسناته وسيئاته، وقد كان ذلك مسطورا في كتاب مطوي في سر قلبه، وكان يشغله عن الاطلاع عليه شواغل الدنيا؛ فإذا انقطعت الشواغل.. انكشف له جميع أعماله، فلا ينظر إلى سيئة إلا ويَتَحَسَّرُ عليها تَحَسُّرَاً يُؤْثِرُ أن يخوض غمرةَ النار للخلاص من

....

الشرح

تلك الحسرة، وعند ذلك يقال له ﴿ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا ﴾ {الإسراء: ١٤}.

وينكشف كل ذلك عند انقطاع النفس وقبل الدفن، وتشتعل فيه نيران الفراق؛ أعنى: فراق ما كان يطمئن إليه من هذه الدنيا الفانية دون ما أراد منها لأجل الزاد والبُلغة؛ فإن من طلب الزادَ للبُلغة: فإذا بلغ المقصد.. فرح بمفارقته بقية الزاد؛ إذ لم يكن يريد الزاد لعينه، وهذا حال من لم يأخذ من الدنيا إلا بقدر الضرورة، وكان يود أن تنقطع ضرورته، ليستغنى عنه؛ فقد حصل ما كان يودُّهُ واستغنى عنه.

وهذه أنواع من العذاب والآلام عظيمة، تهجم عليه قبل الدفن، ثم عند الدفن قد تُرَدُّ رُوْحُهُ إلى الجسد لنوع آخر من العذاب، وقد يعفى عنه، ويكون حال المتنعم بالدنيا المطمئن إليها كحال من تنعم عند غيبة ملك من الملوك في داره وملكه وحريمه اعتمادا على أن المَلكَ يتساهل في أمره، أو على أن المَلكَ ليس يدري ما يتعاطاه من قبيح أفعاله، فأخذه الملكُ بغتة، وعرض عليه جريدة قد دُوِّنَتْ فيها جميع فواحشه وجناياته ذَرَّةً ذَرَّةً، وخطوة خطوة، والملك قاهر متسلط، وغيور على حَرَمِهِ، ومنتقم من الجناة على ملكه، وغير ملتفت إلى من يتشفع إليه في العصاة عليه، فانظر إلى هذا

....

الشرح

المأخوذ، كيف يكون حاله قبل نزول عذاب الملك به من الخوف، والخجلة والحياء، والتحسر والندم.

فهذا حال الميت الفاجر المغتر بالدنيا المطمئن إليها قبل نزول عذاب القبر به، بل عند موته نعوذ بالله منه؛ فإن الخزيَ والافتضاح وهتك الستر أعظم من كل عذاب يحل بالجسد من الضرب والقطع وغيرهما.

فهذه إشارة إلى حال الميت عند الموت شاهدها أولو البصائر بمشاهدة باطنةٍ أقوى من مشاهدة العين، وشهد لذلك شواهد الكتاب والسنة.

نعمْ ؛لا يمكن كشف الغطاء عن كنه حقيقة الموت؛ إذ لا يعرف الموت من لا يعرف الحياة، ومعرفة الحياة بمعرفة حقيقة الروح في نفسها، وإدراك ماهية ذاتها، ولم يؤذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتكلم فيها، ولا أن يزيد على أن يقول: ﴿ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي ﴾ {الإسراء: ٨٥}، فليس لأحد من علماء الدين أن يكشف عن سر الروح وإن اطلع عليه، وإنما المأذون فيه ذكر حال الروح بعد الموت)) انتهى كلام الإمام الغزالي.[1]

فيجب الإيمان باليوم الآخر وبالموت، فقيامة كل شخص بموته، قال

---

(١) إحياء علوم الدين (طبعة دار المنهاج) (٩/ ٤٦٨-٤٧٢).

....

الشرح

تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾ آال عمران: ١٨٥}، وكل البشر يؤمنون بالموت؛ لأنهم يشاهدون حدوثه على كل ذي نفس، لكن الفرق بين المؤمن وغيره.. أن عقيدة المؤمن في الموت أنه بأمر الله تعالى وإرادته وتقديره.

مسألة القتل:

من مات مقتولاً.. هل انقضى عمره؟ أم أن القاتل أنقص من عمره؟

الجواب: أن هناك **مذهبين**:

الأول: وهو مذهب أهل الحق وهم أهل السنة والجماعة، أن كل ذي روحٍ يُفعل به ما يزهق روحه.. هو ميت بانقضاء عمره، فالأجل عندهم واحد، لا يقبل الزيادة ولا النقصان.

قال الله تعالى: ﴿ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ {النحل: ٦١} ، وقال تعالى: ﴿ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ﴾ {المنافقون: ١١}.

وقد دلّت الأحاديث الصيحة على أن كل من هلك.. قد استوفى أجله من غير تقدم ولا تأخر عنه، فمن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم:((**إِنَّ رُوح**

....

الشرح

القُدسِ نَفَثَ فِي رُوعي أنه لن تَمُوتَ نفس حتى تستكمل رِزْقها وأجَلَها))

أخرجه البزار، والدار قطني، وابن أبي شيبة، وعبدالرزاق.

أما ما ورد في بعض الأحاديث من أن صلة الرحم تزيد في العمر كما في قوله صلى الله عليه وسلم:((**مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ**)) أخرجه البخاري ومسلم.. فالمراد به الزيادة فيه بحسب الخير والبركة، ثم أنه خبر آحاد لا يَرُدُّ ما ورد من الآيات.[1]

وبالجملة فإن مختار أهل السنة والجماعة أن كل مقتول ميت بانقضاء عمره، وحضور أجله في الوقت الذي علم الله فيه حصول موته أزلاً، وذلك بخلقه تعالى، دون مدخلية للقاتل فيه؛ إلا الإكتساب؛ ولهذا وجب عليه القصاص من حيث أنه اكتسبه فقط.

وقال أهل السنة والجماعة: أنه لو لم يُقتل.. لجاز أن يموت في ذلك الوقت، أو لا يموت؛ لأنه لا اطِّلاع لنا على ما في علم الله، وإنما هذا التجوِّز ذاتي على فرض عدم قتله، أي نفترض ذلك في حالة عدم قتله، أما وقد قُتِلَ.. فقد بان لنا بقتله أن الله تعالى علم موته في ذلك الوقت، فلا يمكن أن

---

(١) انظر البيجوري (٣٥١).

وآخره.. إلى دخول أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، ....

الشرح

يتخلف عنه الموت، فبعد قتله نقول: لو لم يقتل لمات قطعاً؛ لأنه لو لم يمت للزم التغيّر في أمر العلم، وهو محال، ووافق على هذا القول من المعتزلة أبو الهذيل.

الثاني: المذهب الثاني في المسألة، - وهو مذهب باطل وغير مطابق للواقع – وهو مذهب الكعبي، وهو: أن المقتول له أجلان، أجل بالقتل، وأجل بالموت، لو لم يُقتل لعاش إلى أجله بالموت، واستدل على ذلك بقوله تعالى: ﴿ **وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ** ﴾ {آل عمران: ١٥٨}، حيث قال: أن العطف بالواو يقتضي المغايرة.

وردّ عليه أهل السنة والجماعة بقولهم: أن المعنى الصحيح لئن متّم من غير سبب ظاهر، أو قُتِلْتُم بأن متُّم بسبب.

قال صاحب الجوهرة:

وميِّتٌ بعمره منْ يُقْتَلُ وغيرُ هذا باطلٌ لا يُقْبَلُ

(وآخره) أي: اليوم الآخر الذي هو يوم القيامة.. **(إلى دخول أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار)** أي: الاستقرار، وهو يوم طويل، قال كعب

ومعنى الإيمان باليوم الآخر هو: التصديق بوجوده وما أشتمل عليه من عذاب القبر ونعيمه، والبعث، والنشور، والحشر، والموقف وأهواله، وتطاير الصحف، ....

الشرح

وقتادة في قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ {المطففين: ٦} قال: يقومون ثلاث مائة عام.[1]

وقال ابن عمر رضي الله عنه : تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية ﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ {المطففين: ٦}، ثم قال:((**كَيْفَ بِكُمْ إِذَا جَمَعَكُمُ اللهُ كَمَا يُجْمَعُ النَّبْلُ فِي الْكِنَانَةِ خَمْسِيْنَ أَلْفَ سَنَةٍ لا يَنْظُرُ إِلَيْكُمْ**)) أخرجه الطبراني، والحاكم.

(ومعنى الإيمان باليوم الآخر هو: التصديق بوجوده وما أشتمل عليه من عذاب القبر ونعيمه والبعث والنشور والحشر والموقف وأهواله وتطاير الصحف) المسطور فيها الأعمال والأقوال، فمن الناس من يأخذ كتابه بيمينه وهم أهل الفوز، قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ

---

(١) انظر إحياء علوم الدين (٩/ ٥٣٩).

والحساب، والحوض، والصراط، والميزان، والجزاء بالثواب أو العقاب، والشفاعة العظمى لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم، ....

الشرح

ٱلْخَالِيَةِ ﴾ {الحاقة: ١٩ – ٢٤} ، ومنهم من يأخذ كتابه بشماله، وهم أهل الخسران، قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ۜ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَٰنِيَهْ ﴾ {الحاقة: ٢٥ – ٢٩}.وعندما تتطاير الصحف يمد جميع الناس حتى الأشقياء أيمانهم ، ويردُّون أيديهم الشمال خلف ظهورهم، فمن كتب الله عليه أخذ كتابه بشماله، فإن الكتاب يطير ويأتيه من وراء ظهره حتى يقع في يده الشمال، ولذلك قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴾ {الانشقاق: ١٠}.

قال صاحب الجوهرة:

وواجــبٌ أخــذُ العبــاد الصــحفا كــما مــن القــرآن نصّــاً عُرِفــا

(و) مما يشتمل عليه يوم القيامة :**(الحساب، والحوض، والصراط، والميزان، والجزاء بالثواب أو العقاب)**، وسيأتي بيان كل ذلك إن شاء الله تعالى.

الشفاعة:

(و) تكون في يوم القيامة **(الشفاعة العظمى لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم)**.

....

الشرح

والشفاعة لغة: الوسيلة والطلب.

وعرفاً: سؤال الخير للغير.

وللحق سبحانه وتعالى شفاعة، وشفاعته سبحانه وتعالى عبارة عن عفوه، فإنه تعالى يشفع فيمن قال (لا إله إلا الله محمد رسول الله)، أو مثبتاً رسالة الرسول الذي أرسل إليه بالنسبة لغير أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، ولم يعمل خيراً قط، فإن الله يتفضل عليه بعد دخول النار من غير شفاعة أحد، أي: يخرجه من غير شفاعة أحد فيه تفضلاً منه تعالى، وفي الحديث الطويل :((**فَيَشْفَعُ النَّبِيُّونَ وَالْمَلَائِكَةُ وَالْمُؤْمِنُونَ فَيَقُولُ الْجَبَّارُ بَقِيَتْ شَفَاعَتِي فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنْ النَّارِ فَيُخْرِجُ أَقْوَامًا قَدْ امْتُحِشُوا فَيُلْقَوْنَ فِي نَهَرٍ بِأَفْوَاهِ الْجَنَّةِ يُقَالُ لَهُ مَاءُ الْحَيَاةِ فَيَنْبُتُونَ فِي حَافَتَيْهِ كَمَا تَنْبُتُ الْحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ قَدْ رَأَيْتُمُوهَا إِلَى جَانِبِ الصَّخْرَةِ وَإِلَى جَانِبِ الشَّجَرَةِ فَمَا كَانَ إِلَى الشَّمْسِ مِنْهَا كَانَ أَخْضَرَ وَمَا كَانَ مِنْهَا إِلَى الظِّلِّ كَانَ أَبْيَضَ فَيَخْرُجُونَ كَأَنَّهُمْ اللُّؤْلُؤُ فَيُجْعَلُ فِي رِقَابِهِمْ الْخَوَاتِيمُ فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ فَيَقُولُ أَهْلُ الْجَنَّةِ هَؤُلَاءِ عُتَقَاءُ الرَّحْمَنِ أَدْخَلَهُمْ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمِلُوهُ وَلَا خَيْرٍ قَدَّمُوهُ فَيُقَالُ لَهُمْ لَكُمْ مَا رَأَيْتُمْ وَمِثْلَهُ مَعَهُ**)) أخرجه البخاري.

....

الشرح

وفي رواية:((ثُمَّ يَقُولُ الله شَفَعَتْ الْمَلَائِكَةُ وَشَفَعَ الْأَنْبِيَاءُ وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ وَبَقِيَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ قَالَ فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنْ النَّارِ أَوْ قَالَ قَبْضَتَيْنِ نَاسٌ لَمْ يَعْمَلُوا لله خَيْرًا قَطُّ قَدْ احْتَرَقُوا حَتَّى صَارُوا حُمَمًا قَالَ فَيُؤْتَى بِهِمْ إِلَى مَاءٍ يُقَالُ لَهُ مَاءُ الْحَيَاةِ فَيُصَبُّ عَلَيْهِمْ فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنْبُتُ الْحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ فَيَخْرُجُونَ مِنْ أَجْسَادِهِمْ مِثْلَ اللُّؤْلُؤِ فِي أَعْنَاقِهِمْ الْخَاتَمُ عُتَقَاءُ الله قَالَ فَيُقَالُ لَهُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ فَمَا تَمَنَّيْتُمْ أَوْ رَأَيْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ لَكُمْ عِنْدِي أَفْضَلُ مِنْ هَذَا قَالَ فَيَقُولُونَ رَبَّنَا وَمَا أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ قَالَ فَيَقُولُ رِضَائِي عَلَيْكُمْ فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ أَبَدًا)) أخرجه الإمام أحمد.

والمراد بالشفاعة منه صلى الله عليه وسلم هي: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلب من الله تعالى في يوم القيامة خيراً لبعض الخلق، فيعطيه الله تعالى ما طلب ويشفعه فيمن شفع له.[1]

قال صاحب الجوهرة:

وواجب شفاعة المشفَّعِ ... محمد مقدَّما لا تَمْنَعِ

وأصل الشفاعة ثابت في القرآن الكريم، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ ﴾ {البقرة: ٢٥٥}، وقوله ﴿ وَلَا يَشۡفَعُونَ

(١) انظر المختصر المفيد (١٩٨).

....

الشرح

إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ ﴾ {الأنبياء: ٢٨}.أما شفاعته صلى الله عليه وسلم التي يجب على المكلف شرعاً اعتقادها.. فقد دل عليها القرآن الكريم، وفصلتها الأحاديث النبوية الصحيحة الكثيرة، فمن ذلك قوله تعالى :﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ {الإسراء: ٧٩}.

قال ابن عباس عند ذكر هذه الآية كما في تفسيره الذي جمعه الشيخ محمد بن يعقوب الفيروز أبادي المتوفى سنة (٨١٧هـ)، قال:(أن يقيمك ربك مقاماً محموداً ، مقام الشفاعة يحمدك الأولون والآخرون)اهـ، وبنحو ذلك قال مجاهد والطبري وغيرهما من أهل التفسير.

والمراد بالشفاعة في الآية.. الشفاعة العظمى التي هي أول المقام المحمود الذي يحمده فيه الأولون والآخرون ، وآخره أي: المقام المحمود.. عند استقرار أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار.[١]

فعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ الله عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:((**يُحْبَسُ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُهِمُّوا بِذَلِكَ فَيَقُولُونَ لَوْ اسْتَشْفَعْنَا إِلَى رَبِّنَا فَيُرِيحُنَا مِنْ مَكَانِنَا فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ أَنْتَ آدَمُ أَبُو النَّاسِ خَلَقَكَ الله بِيَدِهِ وَأَسْكَنَكَ**

---

(١) انظر البيجوري (٤٢٩).

....

الشرح

جَنَّتَهُ وَأَسْجَدَ لَكَ مَلَائِكَتَهُ وَعَلَّمَكَ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ لِتَشْفَعْ لَنَا عِنْدَ رَبِّكَ حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا قَالَ فَيَقُولُ لَسْتُ هُنَاكُمْ قَالَ وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ أَكْلَهُ مِنْ الشَّجَرَةِ وَقَدْ نُهِيَ عَنْهَا وَلَكِنْ ائْتُوا نُوحًا أَوَّلَ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللهُ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ فَيَأْتُونَ نُوحًا فَيَقُولُ لَسْتُ هُنَاكُمْ وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ سُؤَالَهُ رَبَّهُ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَكِنْ ائْتُوا إِبْرَاهِيمَ خَلِيلَ الرَّحْمَنِ قَالَ فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُ إِنِّي لَسْتُ هُنَاكُمْ وَيَذْكُرُ ثَلَاثَ كَلِمَاتٍ كَذَبَهُنَّ وَلَكِنْ ائْتُوا مُوسَى عَبْدًا آتَاهُ اللهُ التَّوْرَاةَ وَكَلَّمَهُ وَقَرَّبَهُ نَجِيًّا قَالَ فَيَأْتُونَ مُوسَى فَيَقُولُ إِنِّي لَسْتُ هُنَاكُمْ وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ قَتْلَهُ النَّفْسَ وَلَكِنْ ائْتُوا عِيسَى عَبْدَ اللهِ وَرَسُولَهُ وَرُوحَ اللهِ وَكَلِمَتَهُ قَالَ فَيَأْتُونَ عِيسَى فَيَقُولُ لَسْتُ هُنَاكُمْ وَلَكِنْ ائْتُوا مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَبْدًا غَفَرَ اللهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ فَيَأْتُونِي فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي فِي دَارِهِ فَيُؤْذَنُ لِي عَلَيْهِ فَإِذَا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ سَاجِدًا فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَدَعَنِي فَيَقُولُ ارْفَعْ مُحَمَّدُ وَقُلْ يُسْمَعْ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ وَسَلْ تُعْطَ قَالَ فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأُثْنِي عَلَى رَبِّي بِثَنَاءٍ وَتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِيهِ ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحُدُّ لِي حَدًّا فَأَخْرُجُ فَأُدْخِلُهُمْ الْجَنَّةَ قَالَ قَتَادَةُ وَسَمِعْتُهُ أَيْضًا يَقُولُ فَأَخْرُجُ فَأُخْرِجُهُمْ مِنْ النَّارِ وَأُدْخِلُهُمْ الْجَنَّةَ ثُمَّ أَعُودُ الثَّانِيَةَ فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي فِي دَارِهِ فَيُؤْذَنُ لِي عَلَيْهِ فَإِذَا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ سَاجِدًا فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَدَعَنِي ثُمَّ

....

الشرح

يَقُولُ ارْفَعْ مُحَمَّدُ وَقُلْ يُسْمَعْ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ وَسَلْ تُعْطَ قَالَ فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأُثْنِي عَلَى رَبِّي بِثَنَاءٍ وَتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِيهِ قَالَ ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحُدُّ لِي حَدًّا فَأَخْرُجُ فَأُدْخِلُهُمْ الْجَنَّةَ قَالَ قَتَادَةُ وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ فَأَخْرُجُ فَأُخْرِجُهُمْ مِنْ النَّارِ وَأُدْخِلُهُمْ الْجَنَّةَ ثُمَّ أَعُودُ الثَّالِثَةَ فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي فِي دَارِهِ فَيُؤْذَنُ لِي عَلَيْهِ فَإِذَا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ سَاجِدًا فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَدَعَنِي ثُمَّ يَقُولُ ارْفَعْ مُحَمَّدُ وَقُلْ يُسْمَعْ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ وَسَلْ تُعْطَهْ قَالَ فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأُثْنِي عَلَى رَبِّي بِثَنَاءٍ وَتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِيهِ قَالَ ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحُدُّ لِي حَدًّا فَأَخْرُجُ فَأُدْخِلُهُمْ الْجَنَّةَ قَالَ قَتَادَةُ وَقَدْ سَمِعْتُهُ يَقُولُ فَأَخْرُجُ فَأُخْرِجُهُمْ مِنْ النَّارِ وَأُدْخِلُهُمْ الْجَنَّةَ حَتَّى مَا يَبْقَى فِي النَّارِ إِلَّا مَنْ حَبَسَهُ الْقُرْآنُ أَي: وَجَبَ عَلَيْهِ الْخُلُودُ)) قَالَ: ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴾ {الإسراء: ٧٩}

قَالَ: وَهَذَا الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ الَّذِي وُعِدَهُ نَبِيُّكُمْ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

أخرجه البخاري.

وفي رواية للبخاري أيضاً عن مَعْبَدِ بْنِ هِلَالٍ الْعَنَزِيِّ عن أنس وفيها:((**فَأَقُولُ يَا رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي فَيَقُولُ انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مِنْهَا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ شَعِيرَةٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ ثُمَّ أَعُودُ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ ثُمَّ أَخِرُّ**

....

الشرح

لَهُ سَاجِداً فَيُقَالُ يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ وَسَلْ تُعْطَ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ فَأَقُولُ يَا رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي فَيَقُولُ انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مِنْهَا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ أَوْ خَرْدَلَةٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجْهُ فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ ثُمَّ أَعُودُ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِداً فَيَقُولُ يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ وَسَلْ تُعْطَ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ فَأَقُولُ يَا رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي فَيَقُولُ انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ أَدْنَى أَدْنَى أَدْنَى مِثْقَالِ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجْهُ مِنْ النَّارِ فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ))، قال مَعْبَدُ بْنُ هِلَالٍ الْعَنَزِيُّ: فَلَمَّا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ أَنَسٍ قُلْتُ لِبَعْضِ أَصْحَابِنَا لَوْ مَرَرْنَا بِالْحَسَنِ وَهُوَ مُتَوَارٍ فِي مَنْزِلِ أَبِي خَلِيفَةَ فَحَدَّثْنَاهُ بِمَا حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، فَأَتَيْنَاهُ فَسَلَّمْنَا عَلَيْهِ، فَأَذِنَ لَنَا، فَقُلْنَا لَهُ: يَا أَبَا سَعِيدٍ جِئْنَاكَ مِنْ عِنْدِ أَخِيكَ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ فَلَمْ نَرَ مِثْلَ مَا حَدَّثَنَا فِي الشَّفَاعَةِ، فَقَالَ: هِيهْ، فَحَدَّثْنَاهُ بِالْحَدِيثِ فَانْتَهَى إِلَى هَذَا الْمَوْضِعِ، فَقَالَ: هِيهْ، فَقُلْنَا، لَمْ يَزِدْ لَنَا عَلَى هَذَا، فَقَالَ: لَقَدْ حَدَّثَنِي وَهُوَ جَمِيعٌ مُنْذُ عِشْرِينَ سَنَةً فَلَا أَدْرِي أَنَسِيَ أَمْ كَرِهَ أَنْ تَتَّكِلُوا، قُلْنَا: يَا أَبَا سَعِيدٍ فَحَدِّثْنَا، فَضَحِكَ وَقَالَ: خُلِقَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا مَا ذَكَرْتُهُ إِلَّا وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أُحَدِّثَكُمْ، حَدَّثَنِي كَمَا حَدَّثَكُمْ بِهِ، قَالَ – أي: رسول الله صلى الله عليه وسلم –:**((ثُمَّ أَعُودُ الرَّابِعَةَ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِداً فَيُقَالُ يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ وَقُلْ يُسْمَعْ وَسَلْ تُعْطَهْ وَاشْفَعْ**

....

الشرح

إِلَي تُشَفَّعْ فَأَقُولُ يَا رَبِّ ائْذَنْ لِي فِيمَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا الله فَيَقُولُ وَعِزَّتِي وَجَلَالِي وَكِبْرِيَائِي وَعَظَمَتِي لَأُخْرِجَنَّ مِنْهَا مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا الله)).

وعَنْ أَنَسٍ قَالَ: حَدَّثَنِي نَبِيُّ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:((**إِنِّي لَقَائِمٌ أَنْتَظِرُ أُمَّتِي تَعْبُرُ عَلَى الصِّرَاطِ إِذْ جَاءَنِي عِيسَى فَقَالَ هَذِهِ الْأَنْبِيَاءُ قَدْ جَاءَتْكَ يَا مُحَمَّدُ يَسْأَلُونَ أَوْ قَالَ يَجْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَيَدْعُونَ اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُفَرِّقَ جَمْعَ الْأُمَمِ إِلَى حَيْثُ يَشَاءُ الله لِغَمِّ مَا هُمْ فِيهِ وَالْخَلْقُ مُلْجَمُونَ فِي الْعَرَقِ وَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَهُوَ عَلَيْهِ كَالزَّكْمَةِ وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيَتَغَشَّاهُ الْمَوْتُ قَالَ قَالَ لِعِيسَى انْتَظِرْ حَتَّى أَرْجِعَ إِلَيْكَ قَالَ فَذَهَبَ نَبِيُّ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى قَامَ تَحْتَ الْعَرْشِ فَلَقِيَ مَا لَمْ يَلْقَ مَلَكٌ مُصْطَفًى وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ فَأَوْحَى الله عَزَّ وَجَلَّ جِبْرِيلَ اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ فَقُلْ لَهُ ارْفَعْ رَأْسَكَ سَلْ تُعْطَ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ قَالَ فَشُفِّعْتُ فِي أُمَّتِي أَنْ أُخْرِجَ مِنْ كُلِّ تِسْعَةٍ وَتِسْعِينَ إِنْسَانًا وَاحِدًا قَالَ فَمَا زِلْتُ أَتَرَدَّدُ عَلَى رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ فَلَا أَقُومُ مَقَامًا إِلَّا شُفِّعْتُ حَتَّى أَعْطَانِي الله عَزَّ وَجَلَّ مِنْ ذَلِكَ أَنْ قَالَ يَا مُحَمَّدُ أَدْخِلْ مِنْ أُمَّتِكَ مِنْ خَلْقِ الله عَزَّ وَجَلَّ مَنْ شَهِدَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الله يَوْمًا وَاحِدًا مُخْلِصًا وَمَاتَ عَلَى ذَلِكَ))** أخرجه الإمام أحمد.

عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:((**كُلُّ نَبِيٍّ سَأَلَ سُؤْلاً أَوْ قَالَ لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ قَدْ دَعَا بِهَا فَاسْتُجِيبَ فَجَعَلْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً**

....

الشرح

لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ)) أخرجه البخاري ومسلم.

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ، وَبِيَدِي لِوَاءُ الْحَمْدِ وَلَا فَخْرَ، وَمَا مِنْ نَبِيٍّ يَوْمَئِذٍ آدَمَ فَمَنْ سِوَاهُ إِلَّا تَحْتَ لِوَائِي، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ وَلَا فَخْرَ. قَالَ: فَيَفْزَعُ النَّاسُ ثَلَاثَ فَزَعَاتٍ، فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ: أَنْتَ أَبُونَا آدَمُ فَاشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، فَيَقُولُ: إِنِّي أَذْنَبْتُ ذَنْبًا أُهْبِطْتُ مِنْهُ إِلَى الْأَرْضِ، وَلَكِنْ ائْتُوا نُوحًا، فَيَأْتُونَ نُوحًا فَيَقُولُ: إِنِّي دَعَوْتُ عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ دَعْوَةً فَأُهْلِكُوا، وَلَكِنْ اذْهَبُوا إِلَى إِبْرَاهِيمَ، فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُ: إِنِّي كَذَبْتُ ثَلَاثَ كَذِبَاتٍ))، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((مَا مِنْهَا كَذِبَةٌ إِلَّا مَا حَلَّ بِهَا عَنْ دِينِ الله، وَلَكِنْ ائْتُوا مُوسَى، فَيَأْتُونَ مُوسَى، فَيَقُولُ: إِنِّي قَدْ قَتَلْتُ نَفْسًا، وَلَكِنْ ائْتُوا عِيسَى، فَيَأْتُونَ عِيسَى، فَيَقُولُ: إِنِّي عُبِدْتُ مِنْ دُونِ الله، وَلَكِنْ ائْتُوا مُحَمَّدًا، قَالَ: فَيَأْتُونَنِي فَأَنْطَلِقُ مَعَهُمْ))، قَالَ ابْنُ جُدْعَانَ، قَالَ أَنَسٌ: فَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى رَسُولِ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: ((فَآخُذُ بِحَلْقَةِ بَابِ الْجَنَّةِ فَأُقَعْقِعُهَا، فَيُقَالُ مَنْ هَذَا، فَيُقَالُ مُحَمَّدٌ، فَيَفْتَحُونَ لِي وَيُرَحِّبُونَ بِي فَيَقُولُونَ: مَرْحَبًا، فَأَخِرُّ سَاجِدًا فَيُلْهِمُنِي الله مِنْ الثَّنَاءِ وَالْحَمْدِ فَيُقَالُ لِي: ارْفَعْ رَأْسَكَ وَسَلْ تُعْطَ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ وَقُلْ يُسْمَعْ لِقَوْلِكَ وَهُوَ

....

الشرح

المَقَامُ المَحْمُودُ الَّذِي قَالَ الله ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ {الإسراء: ٧٩})) أخرجه الترمذي.

ولرسولنا محمد صلى الله عليه وسلم شفاعات كثيرة عدَّها بعض أهل العلماء إلى ثمان شفاعات، دلّت عليها الأحاديث الشريف، وهي:

الأولى: الشفاعة العظمى (المقام المحمود المتقدم ذكره)، وهي شفاعته لكل الخلائق لإراحتهم من طول الموقف يوم القيامة، فيشفع في نقلهم من أرض المحشر ليبدأ حسابهم.

الثانية: شفاعته صلى الله عليه وسلم في إدخال قوم الجنة بغير حساب، فعن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث الطويل إلى أن قال:((**فَأَقُولُ أُمَّتِي يَا رَبِّ أُمَّتِي يَا رَبِّ أُمَّتِي يَا رَبِّ فَيُقَالُ يَا مُحَمَّدُ أَدْخِلْ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِمْ مِنْ الْبَابِ الْأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِنْ الْأَبْوَابِ ثُمَّ قَالَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ مَا بَيْنَ الْمِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَحِمْيَرَ أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَى**)) أخرجه البخاري ومسلم.

الثالثة: شفاعته صلى الله عليه وسلم في بعض من استحق دخول النار

....

الشرح

بذنوبه أن لا يدخلها.

وقد أنكر المعتزلة هذه الشفاعة، وحجتهم حديث (لا تنال شفاعتي أهل الكبائر من أمتي)، وهو حديث موضوع باتفاق،[1] وعلى تقدير صحته.. فإنه يحمل على من ارتد منهم، وقد ورد ما يدل على عكسه فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:((شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي)) أخرجه أحمد، وأبو داود، والترمذي، والطبراني، وغيرهم.

الرابعة: شفاعته صلى الله عليه وسلم في إخراج المُوَحدين من النار، فعن عبد الله بن عمرو بن العاصي رضي الله عنهما قال: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:((**يَدْخُلُ مِنْ أَهْلِ هَذِهِ القِبْلَةِ النَّارَ مَنْ لَا يُحْصِي عَدَدَهُمْ إِلَا اللهَ بِمَا عَصُوا اللهَ وَاجْتَرَءوا عَلى مَعْصِيَتِهِ وَخَالَفُوا طَاعَتَهُ، فَيُؤْذَنُ لِي فِي الشَّفَاعَةِ، فَأُثْنِي عَلَى اللهِ سَاجِدَاً كَمَا أُثْنِي عَلَيْهِ قَائِمَاً، فَيُقَالُ ارْفَعْ رَأْسَكَ وَسَلْ تُعْطَهُ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ**)) أخرجه الطبراني.

الخامسة: شفاعته صلى الله عليه وسلم في زيادة الدرجات لبعض أهل الجنة.

السادسة: شفاعته صلى الله عليه وسلم في جماعة من صلحاء أمته؛

---

(١) انظر البيجوري (٤٣١).

....

الشرح

ليتجاوز الله تعالى عنهم في تقصيرهم في الطاعات.

السابعة: شفاعته صلى الله عليه وسلم في بعض من خلِّد في النار من الكفار أن يُخفف عنهم العذاب في أوقات مخصوصة كأبي لهب، فقد جاء في البخاري: (فَلَمَّا مَاتَ أَبُو لَهَبٍ أُرِيَهُ بَعْضُ أَهْلِهِ بِشَرِّ حِيبَةٍ، قَالَ لَهُ: مَاذَا لَقِيتَ؟ قَالَ أَبُو لَهَبٍ: لَمْ أَلْقَ بَعْدَكُمْ غَيْرَ أَنِّي سُقِيتُ فِي هَذِهِ بِعَتَاقَتِي ثُوَيْبَةَ) والحيبة: الحال، أي بشر حال، قال في فتح الباري:(قوله بعض أهله بالرفع على أنه النائب عن الفاعل وذكر السهيلي أن العباس قال لما مات أبو لهب رأيته في منامي بعد حول في شر حال فقال ما لقيت بعدكم راحة إلا أن العذاب يخفف عني كل يوم اثنين، قال وذلك أن النبي صلى الله عليه و سلم ولد يوم الاثنين وكانت ثويبة بشرت أبا لهب بمولده فاعتقها)اهـ.[1]

الثامنة: شفاعته صلى الله عليه وسلم في أطفال المشركين أن لا يعذبوا، وهذا عند من قال أنهم في النار، وإلا فالصحيح أنهم في الجنة.[2]

وهناك شفاعات أخرى لغير النبي صلى الله عليه وسلم، كالأنبياء والملائكة والصحابة والشهداء والعلماء العاملين والأولياء، فالواحد من

(١) انظر فتح الباري (٩/ ١٦٤).

(٢) انظر البيجوري (٤١٦).

....

الشرح

هؤلاء يشفع في أرباب الكبائر على قدر مقامه عند الله تعالى، فعَنْ أَبِي أُمَامَةَ ﷺ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:((**لَيَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ بِشَفَاعَةِ رَجُلٍ لَيْسَ بِنَبِيٍّ مِثْلُ الْحَيَّيْنِ أَوْ مِثْلُ أَحَدِ الْحَيَّيْنِ رَبِيعَةَ وَمُضَرَ.**)) أخرجه الإمام أحمد، وربيعة ومضر أكبر قبيلتين في العرب من حيث العدد.

وعَنْ عَبْدِ الله بْنِ أَبِي الْجَدْعَاءِ ﷺ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:((**لَيَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ بِشَفَاعَةِ رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَكْثَرُ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ فَقَالُوا يَا رَسُولَ الله سِوَاكَ قَالَ سِوَأي: سِوَايَ**)) أخرجه الإمام أحمد.

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:((**إِنَّ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَشْفَعُ لِلْفِئَامِ مِنْ النَّاسِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَشْفَعُ لِلْقَبِيلَةِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَشْفَعُ لِلْعَصَبَةِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَشْفَعُ لِلرَّجُلِ حَتَّى يَدْخُلُوا الْجَنَّةَ**)) أخرجه الترمذي.

وفي رواية الإمام أحمد عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ أيضاً عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:((**قَدْ أَعْطَى اللهُ كُلَّ نَبِيٍّ عَطِيَّةً فَكُلٌّ قَدْ تَعَجَّلَهَا وَإِنِّي أَخَّرْتُ عَطِيَّتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي وَإِنَّ الرَّجُلَ مِنْ أُمَّتِي لَيَشْفَعُ لِلْفِئَامِ مِنْ النَّاسِ فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَشْفَعُ لِلْقَبِيلَةِ وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَشْفَعُ لِلْعُصْبَةِ وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَشْفَعُ لِلثَّلَاثَةِ وَلِلرَّجُلَيْنِ وَلِلرَّجُلِ**)).

....

الشرح

وعن أنس رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه و سلم:((أَنْ رَجُلاً مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ يُشْرِفُ يَوْمَ القِيَامَةِ عَلَى أَهْلِ النَّاْرِ، فَيُنَادِيْهِ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَيَقُوْلُ: يَا فُلَانُ هَلْ تَعْرِفُنِي؟ فَيَقُوْلُ: لَا وَاللهِ مَا أَعْرِفُكَ، مَنْ أَنْتَ؟ فَيَقُوْلُ: أَنَا الَّذِيْ مَرَرْتَ بِيْ فِي الدُّنْيا، فَاسْتَسْقَيْتَنِي شَرْبَةً مِنْ مَاءٍ فَسَقَيْتُكَ، قَاْلَ: قَدْ عَرَفْتُ، قَاْلَ: فَاشْفَعْ لِي بِهَا عِنْدَ رَبِّكَ، قَاْلَ: فَيَسْأَلُ اللهَ تَعَالَى جَلَّ ذِكْرُهُ، فَيَقُوْلُ: إِنِّيْ أَشْرَفْتُ عَلَى النَّاْرِ، فَنَادَاْنِيْ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِهَا، فَقَالَ لِيْ، هَلْ تَعْرِفُنِي؟ قُلْتُ: لَا وَاللهِ مَا أَعْرِفُكَ، مَنْ أَنْتَ؟ قَاْلَ أَنَا الَّذِيْ مَرَرْتَ بِيْ فِي الدُّنْيا، فَاسْتَسْقَيْتَنِي شَرْبَةً مِنْ مَاءٍ فَسَقَيْتُكَ، فَاشْفَعْ لِي عِنْدَ رَبِّكَ ، فَشَفِّعْنِي فِيْهِ، فَيُشَفِّعُهُ اللهُ، فَيُأْمَرُ بِهِ فَيُخْرَجُ مِنَ النَّاْرِ)) أخرجه أبو يعلى، وأخرجه ابن ماجه بلفظ:((يُصَفُّ النَّاسُ يَوْمَ القِيَامَةِ صُفُوْفَاً ثُمَّ يَمُرُّ أَهْلُ الجَنَّةِ فَيَمُرُّ الرَّجُلُ عَلَى الرَّجُلِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَيَقُوْلُ يَا فُلَانُ أَمَا تَذْكُرُ يَوْمَ اسْتَسْقَيْتَ فَسَقَيْتُكَ شَرْبَةً قَاَلَ فَيَشْفَعُ لَهُ وَيَمُرُّ الرَّجُلُ عَلَى الرَّجُلِ فَيَقُوْلُ أَمَا تَذْكُرُ يَوْمَ نَاوَلْتُكَ طُهُوْرَاً فَيَشْفَعُ لَهُ وَيَمُرُّ الرَّجُلُ عَلَى الرَّجُلِ فَيَقُوْلُ يَا فُلَانُ أَمَا تَذْكُرُ يَوْمَ بَعَثْتَنِي لِحَاجَةِ كَذَا وَكَذَا فَذَهَبْتُ لَكَ، فَيَشْفَعُ لَهُ)).

....

الشرح

وفي الحديث عند مسلم:((**فَيَقُولُ الله عَزَّ وَجَلَّ شَفَعَتْ الْمَلَائِكَةُ وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنْ النَّارِ فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ قَدْ عَادُوا حُمَمًا فَيُلْقِيهِمْ فِي نَهَرٍ فِي أَفْوَاهِ الْجَنَّةِ يُقَالُ لَهُ نَهَرُ الْحَيَاةِ فَيَخْرُجُونَ كَمَا تَخْرُجُ الْحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ أَلَا تَرَوْنَهَا تَكُونُ إِلَى الْحَجَرِ أَوْ إِلَى الشَّجَرِ مَا يَكُونُ إِلَى الشَّمْسِ أُصَيْفِرُ وَأُخَيْضِرُ وَمَا يَكُونُ مِنْهَا إِلَى الظِّلِّ يَكُونُ أَبْيَضَ..**)) الحديث. وقد تقدم نحوه عند البخاري وأحمد.

قال صاحب الجوهرة:

وغيرهُ من مرتضى الأخيارِ ... يشفعْ كما قد جاءَ في الأخبارِ

وشفاعة الملائكة تكون على الترتيب: فأولهم جبريل، وآخرهم التسعة عشر التي على النار.

وهذه الشفاعات من غيره صلى الله عليه وسلم ثابتة بالنص كما في الحديث المتقدم عند مسلم، ومجمع عليها من أهل السنة.[1]

ولا يشفع أحد مما ذكر إلا بعد انتهاء مدة المؤاخذة، فتكون الشفاعة على هذا إظهاراً لمزية الشافع على غيره، على أنه لولا الشفاعة لجوَّزنا البقاء

---

(١) انظر البيجوري (٤٣٢).

....

الشرح

في النار وعدمه بحسب الظاهر لنا، أي: على حسب ما يظهر لنا من حال الإنسان هل دخلها وهو كافر أو عاص، والأمر في كل ذلك لله.

ومعتمد أهل السنة والجماعة أنه يجوز عقلاً وسمعاً غفران غير الكفر من الذنوب بلا شفاعة، فبالشفاعة من باب أولى، وأما غفران الكفر.. فهو وإن جاز عقلاً أي: قال العقل بجوازه، فهو ممتنع شرعاً، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ {النساء: ٤٨}.

والحكمة من غفران الذنوب دون الكفر: أنها أي: الذنوب لا تنفك عن خوف عقاب، ورجاء عفوٍ ورحمة، بخلاف الكفر، فمرتكب الذنوب مسلم يعتقد نقص نفسه بارتكاب الذنوب، فاعتقاد النقص عنده يؤدي به إلى الخوف من العقاب ورجاء الرحمة، والكافر لا يعتقد نقص نفسه، فلا يخاف عقاباً ولا يرجو عفواً ولا رحمة.

قال صاحب الجوهرة:

إذ جائزٌ غفرانَ غيرِ الكفرِ فلا تكفِّر مؤمناً بوزرِ

وهذا الكلام هو تعليل مقتصر على الشفاعة في الذنوب فقط، وإنما الشفاعة تشمل الشفاعة في فصل القضاء وفي غفران الذنوب.

....

الشرح

بعد كل هذا.. لا التفات إلى قو ل الخوارج بكفر العاصي؛ لأنهم يعدُّون الأعمال ركناً من الإيمان، وأهل السنة يعنون بذلك الإيمان الكامل لا ذات الإيمان.

ولا التفات كذلك للمعتزلة الذين يقولون: أن العاصي ليس مؤمناً ولا كافراً، بل هو في منزلة بين المنزلتين؛ لأنهم وإن عدُّوا الأعمال جزاً من الماهية – وهي ما به يجاب عن السؤال بما هو أو ما هي – إلا أنهم يقولون: أن الماهية لا تتحقق بانعدام جزءٍ منها، كما أنها لا تنعدمُ البتّة، وهو أي: العاصي مخلّد في النار.

ولا التفات أيضاً إلى الُمرجئة الذين يقولون: لا يضر مع الإيمان ذنب، كما لا ينفع مع الكفر طاعة.

ومن مزاعم المرجئة أن أهل النار لا يذوقون ألم العذاب؛ بل يكون كالحوت في الماء، وأن المؤمن لا يتمتّع بنعيم الجنة، والكافر محروم منه فقط.[1]

---

(١) انظر هداية المريد (١١٥).

....

الشرح

ومن مات وقد ارتكب كبيرة من الكبائر غير المكفِّرة بلا استحلال لها، والحال أنه لم يتب منها.. فمذهب أهل السنة والجماعة أن أمره مفوَّض وموكل إلى ربِّه تعالى، فلا نقطع بالعفو عنه؛ لئلا تكون الذنوب في حكم المباحة، ولا نقطع كذلك بالعقوبة؛ لأنه تعالى يجوز عليه أن يغفر ما عدا الكفر ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ {النساء: ٤٨}، وقال صاحب الجوهرة:

ومن يمتْ ولم يتبْ من ذنبهِ فأمره مفوَّضٌ لربِّهِ

وعلى تقدير العذاب الذي توعد الله به مرتكبي الذنوب.. فإنّا نقطع له بعدم الخلود فيه، وقد استدل أهل السنة والجماعة على ذلك بالآية المارة وغيرها من الآيات والأحاديث الدالة على أن المؤمنين يدخلون الجنة البتّة، كقوله تعالى: ﴿ فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ﴾ {الزلزلة: ٧}، وقوله صلى الله عليه وسلم:((**مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله حَرَّمَ الله عَلَيْهِ النَّارَ**)) أخرجه مسلم والترمذي.

قال في الجوهرة:

وواجبٌ تعذيب بعضٍ ارتكب كبيرةً ثم الخلودُ مُجْتَنَبْ

ونحوها.

ويكون سؤال الميت في قبره أو غيره ....

الشرح

ومن دخل الجنة.. لا يخرج منها أبدا، قال تعالى: ﴿ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾ {الحجر: ٤٨}.

فيجب عل المكلف شرعاً الإيمان باليوم الآخر وبالشفاعة (**ونحوها**) مما يكون في يوم القيامة من الأهوال.

قال صاحب الجوهرة:

واليوم الآخر ثمَّ هولُ الموقفِ حقٌ فخفِّف يا رحيمُ واسعفِ

ثم شرع المصنف رحمه الله تعالى ونفعنا به في الحديث عن أول القيامة حيث ذكر كما تقدم أن أولها الموت، فقال مبيناً ما يجري للميت من سؤال في القبر:

(**ويكون سؤال الميت في قبره أو غيره**)، كمن لم يقبر أصلاً، وكمن ألقي به في البحر لصعوبة الوصول به إلى البر قبل تغيّره، وكمن تمزقت أعضاؤه أو أكلته السباع في جوفها، إذ ليس يبعد على الله تعالى أن يعيد له الروح في أعضائه ويجمعها ولو كانت متفرقة؛ لأن قدرته تعالى صالحة لذلك.

لكل إنسان مؤمناً أو كافراً، إلا من استثناه الله كالأنبياء والشهداء، ....

الشرح

والسؤال بعد الموت لا يختص بالمؤمن فقط، بل (**لكل إنسان مؤمناً أو كافراً**)، ومثل ذلك الجني، بشرط أن يكون الميت مكلف، أما غير المكلف.. فلا يُسأل، وقال ابن عبد البر في (التمهيد): أن الكافر لا يسأل، والجمهور على خلافه.

والسؤال في القبر هو فتنة القبر التي علَّمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نتعوَّذ منها في الصلاة، وقيل: أن فتنته هي: أن الميت حين يسأل في قبره ويقال له: من ربك؟ يتمثل له إبليس في زاوية من القبر ويشير إلى نفسه، كي يقول الميت: هذا ربي -والعياذ بالله-.

ويُسأل كل مكلف (**إلا من استثناه الله كالأنبياء والشهداء**)، فعَنْ رَاشِدِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ الله مَا بَالُ الْمُؤْمِنِينَ يُفْتَنُونَ فِي قُبُورِهِمْ إِلَّا الشَّهِيدَ، قَالَ:((**كَفَى بِبَارِقَةِ السُّيُوفِ عَلَى رَأْسِهِ فِتْنَةً**)) أخرجه النسائي.

وقد استثنى الله أيضاً الصدِّيقين والمرابطين، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:((**مَنْ مَاتَ مُرَابِطًا وُقِيَ فِتْنَةَ الْقَبْرِ وَأُومِنَ مِنْ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ**)) أخرجه الإمام أحمد، وعَنْ فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ قَالَ:سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: ((**كُلُّ مَيِّتٍ يُخْتَمُ عَلَى**

....

الشرح

عَمَلِهِ إِلَّا الَّذِي مَاتَ مُرَابِطًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنَّهُ يَنْمُو عَمَلُهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَيَأْمَنُ فِتْنَةَ الْقَبْرِ)) أخرجه الإمام أحمد. والرباط هو: الإقامة على جِهَاد العَدوّ بالحرب، وارْتباط الخيل وإعْدَادها، وكذا السهر على حراسة الجيش.

وكذا استثنى ملازم قراءة سورة تبارك الملك كل ليلة، وكذا سورة السجدة، ومن مات وهو مريض بالبطن فعَنْ صَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:((**الطَّاعُونُ شَهَادَةٌ وَالْغَرَقُ شَهَادَةٌ وَالْبَطْنُ شَهَادَةٌ وَالنُّفَسَاءُ شَهَادَةٌ**)) أخرجه الإمام أحمد، وفي رواية عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَال:((**وَمَنْ مَاتَ فِي الطَّاعُونِ فَهُوَ شَهِيدٌ وَمَنْ مَاتَ فِي الْبَطْنِ فَهُوَ شَهِيدٌ**)) أخرجه مسلم، بل ورد أنه من مات من مرض فهو شهيد، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ:قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:((**مَنْ مَاتَ مَرِيضًا مَاتَ شَهِيدًا وَوُقِيَ فِتْنَةَ الْقَبْرِ وَغُدِيَ وَرِيحَ عَلَيْهِ بِرِزْقِهِ مِنْ الْجَنَّةِ**)) أخرجه ابن ماجه.

ومن مات ليلة الجمعة أو يومها، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو ﷺ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:((**مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَمُوتُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ أَوْ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ إِلَّا وَقَاهُ اللَّهُ فِتْنَةَ الْقَبْرِ**)) أخرجه الإمام أحمد والترمذي، زاد عبد الرزاق في مصنفه: (وكتب شهيدا)، وكذا استثنى المطعون، أي: المصاب بمرض الطاعون، فعَنْ حَفْصَةَ بِنْتِ سِيرِينَ قَالَتْ: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ : قَالَ

ويكون وقت السؤال.. بعدى الدفن، ....

الشرح

رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:((**الطَّاعُونُ شَهَادَةٌ لِكُلِّ مُسْلِمٍ**)) أخرجه البخاري ومسلم وأحمد.

وكذا من قرأ الإخلاص في مرضه الذي مات فيه،فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَمِعَ رَجُلًا يَقْرَأُ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ، فَقَالَ:((**وَجَبَتْ**)) قَالُوا يَا رَسُولَ الله: مَا وَجَبَتْ، قَالَ:((**وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ**)) أخرجه الإمام أحمد والترمذي والنسائي، وعَنْ مُهَاجِرٍ الصَّائِغِ عَنْ رَجُلٍ لَمْ يُسَمِّهِ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ سَمِعَ رَجُلًا يَعْنِي النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ: قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ، قَالَ:((**أَمَّا هَذَا فَقَدْ بَرِئَ مِنْ الشِّرْكِ**))، وَسَمِعَ آخَرَ يَقْرَأُ: قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ، فَقَالَ:((**أَمَّا هَذَا فَقَدْ غُفِرَ لَهُ**)) أخرجه الإمام أحمد، ونحو

ذلك مما ورد في السنة.

(**ويكون وقت السؤال.. بعد**) تمام (**الدفن**)، فعندما يُسوَّى عليه التراب، وينصرف عنه الناس.. يبدأ وقت السؤال كما ذهب إليه الجمهور.[١]

(١) انظر شرح الصاوي (٣٦٥).

فيردَّ الله عليه روحه بمقدار السؤال والجواب، ويُوَسَّعُ له في قبره مدَّ البصر من كل ناحية إن كان صالحا.

الشرح

(**فيردَّ الله عليه روحه بمقدار السؤال والجواب**)، واختلف أهل العلم في عدد الأيام التي يُسأل فيها الميت، فمنهم من قال: أن المؤمن يُسأل سبعة أيام، والكافر أربعين يوماً.

(**ويُوَسَّعُ له في قبره مدَّ البصر من كل ناحية إن كان صالحاً**)، ويقال له انظر إلى مقعدك من الجنة؛ ليزداد سروراً.

فائدة:

لو مات جماعة في وقت واحد بأقاليم مختلفة.. كيف يكون سؤالهم في القبر؟

الجواب: أن أهل العلم اختلفوا في ذلك على قولين، وهما:

الأول: أن الملكين يَعْظُمان، فيسألان الجميع بوقت واحد، وهو قول الإمام القرطبي.

....

الشرح

الثاني: أن ملائكة السؤال عديدون كالحفظة، وهو قول الإمام السيوطي، ووافقه الإمام الحليمي.

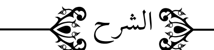
قال الإمام البيجوري في شرحه على الجوهرة:((والذي يشبه.. أن يكون للسؤال ملائكة كثيرين، فيُبعث إلى كل ميت اثنان منهم، والله أعلم)) اهـ.[1]

(١) البيجوري (٣٦٤)، وانظر شرح الصاوي (٣٦٤).

الدرس السابع والعشرون
في سؤال الميت

ويسألان الميت عن بعض معتقداته، ما تقول في هذا الرجل الذي بعث فيكم، يعني الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم ، ومن ربك، وما دينك،


الشرح

الدرس السابع والعشرون
في سؤال الميت

(**ويسألان**) أي: منكر ونكير (**الميت**) في قبره عن أمور كثيرة، وقد أختلف أهل العلم في كيفية السؤال وما هو: فمنهم من قال أنه يُسأل (**عن بعض معتقداته**)، ومنهم من قال عن كلها، وقال ابن عباس: يسألان الميت عن الشهادتين، وقال عكرمة: يسألان عن الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وعن التوحيد.[1]

ومما يسألانه أنهما يقولان له:(**ما تقول في هذا الرجل الذي بعث فيكم، يعني الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم ، ومن ربك، وما دينك**) وما قبلتك ومن إخوانك، وقد أخذ بعض أهل العلم من قولهم (في هذا الرجل) أن النبي صلى الله عليه وسلم قد يحضر مع بعض الخلق عند السؤال لأن (هذا) اسم إشارة للقريب الحاضر.

---

(١) انظر البيجوري (٣٦٤).

فيجيبهما المؤمن الموفق، فيقول لهما: الله ربي، ومحمد صلى الله عليه وسلم نبيي، والإسلام ديني، فينادي منادٍ من السماء أن صدق عبدي، ثم يقال له نم نومة العروس التي لا يوقظها إلا أحب الناس إليها، وأما الكافر والمنافق.. فيقول لهما: ما دريت ولا تليت؛ سمعت الناس تقول شيئاً فقلته، فيعذبانهما بمقاطع من حديد أشد العذاب إلى يوم البعث والنشور.



(**فيجيبهما المؤمن الموفق، فيقول لهما: الله ربي، ومحمد صلى الله عليه وسلم نبيي، والإسلام ديني**) والكعبة قبلتي، والمؤمنون إخواني، (**فينادي منادٍ من السماء أن صدق عبدي، ثم يقال له نم نومة العروس التي لا يوقظها إلا أحب الناس إليها**)، ويوسع له في قبره مدَّ البصر من كل ناحية كما تقدم.

(**وأما الكافر والمنافق.. فيقول**) في جوابه (**لهما: ما دريت ولا تليت؛ سمعت الناس تقول شيئاً فقلته، فيعذبانهما بمقاطع من حديد أشد العذاب إلى يوم البعث والنشور**)، ويضغط عليهما القبر ضغطة شديدة حتى تختلف أضلاعه .

والجواب في القبر يكون جواب عمل وعقيدة، وليس جواب علم بلا عمل ولا عقيدة، فالمؤمن يجيب على أسئلة الملائكة جواباً صحيحاً وإن كان في الدنيا أميَّاً لا يقرأ ولا يكتب، والكافر والمنافق لا يستطيع الإجابة وإن

....

الشرح

كان في الدنيا عالماً.[(١)]

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**إِذَا قُبِرَ الْمَيِّتُ أَوْ قَالَ أَحَدُكُمْ أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا الْمُنْكَرُ وَالْآخَرُ النَّكِيرُ فَيَقُولَانِ مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ فَيَقُولُ مَا كَانَ يَقُولُ هُوَ عَبْدُ الله وَرَسُولُهُ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ فَيَقُولَانِ قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ هَذَا ثُمَّ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا فِي سَبْعِينَ ثُمَّ يُنَوَّرُ لَهُ فِيهِ ثُمَّ يُقَالُ لَهُ نَمْ فَيَقُولُ أَرْجِعُ إِلَى أَهْلِي فَأُخْبِرُهُمْ فَيَقُولَانِ نَمْ كَنَوْمَةِ الْعَرُوسِ الَّذِي لَا يُوقِظُهُ إِلَّا أَحَبُّ أَهْلِهِ إِلَيْهِ حَتَّى يَبْعَثَهُ الله مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ وَإِنْ كَانَ مُنَافِقًا قَالَ سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ فَقُلْتُ مِثْلَهُ لَا أَدْرِي فَيَقُولَانِ قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ ذَلِكَ فَيُقَالُ لِلْأَرْضِ الْتَئِمِي عَلَيْهِ فَتَلْتَئِمُ عَلَيْهِ فَتَخْتَلِفُ فِيهَا أَضْلَاعُهُ فَلَا يَزَالُ فِيهَا مُعَذَّبًا حَتَّى يَبْعَثَهُ اللهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ**)) أخرجه الترمذي.

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﵁ أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((**إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ أَتَاهُ مَلَكَانِ فَيُقْعِدَانِهِ فَيَقُولَانِ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ لِمُحَمَّدٍ صَلَّى الله عَلَيْهِ**

---

(١) انظر المختصر المفيد (١٧٣).

....

الشرح

وَسَلَّمَ فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَقُولُ أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ فَيُقَالُ لَهُ انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنْ النَّارِ قَدْ أَبْدَلَكَ اللهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنْ الْجَنَّةِ فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا قَالَ قَتَادَةُ وَذُكِرَ لَنَا أَنَّهُ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى حَدِيثِ أَنَسٍ قَالَ وَأَمَّا الْمُنَافِقُ وَالْكَافِرُ فَيُقَالُ لَهُ مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ فَيَقُولُ لَا أَدْرِي كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ فَيُقَالُ لَا دَرَيْتَ وَلَا تَلَيْتَ وَيُضْرَبُ بِمَطَارِقَ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ غَيْرَ الثَّقَلَيْنِ)) أخرجه البخاري، ومسلم، واللفظ للبخاري.

وعن عطاء بن يسار رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: ((يَا عُمَرُ، كَيْفَ بِكَ إِذَا أَنْتَ مُتَّ فَقَاسُوْا لَكَ ثَلَاثَةَ أَذْرُعٍ وَشِبْرًا، فِي ذِرَاعٍ وَشِبْرٍ، ثُمَّ رَجَعُوْا إِلَيْكَ فَغَسَّلُوْكَ وَكَفَّنُوْكَ وَحَنَّطُوْكَ، ثُمَّ احْتَمَلُوْكَ حَتَى يَضَعُوْكَ فِيْهِ، ثُمَّ هِيْلُوْا عَلَيْكَ التُّرَابَ، فَإِذَا انْصَرَفُوْا عَنْكَ أَتَاكَ فَتَّانَا القَبْرِ: مُنْكَرٌ وَنَكِيْرٌ، أَصْوَاْتُهُمَا كَالرَّعْدِ القَاصِفِ، وَأَبْصَاْرُهُمَا مِثْلُ البَرْقِ الخَاطِفِ، فَتَلْتَلَاكَ وَتَرْتَرَاْكَ وَهَوَّلَاْكَ، فَكَيْفَ بِكَ عِنْدَ ذَلِكَ يَاْ عُمَرُ ؟)) قال: يا رسول الله، ومعي عقلي؟ قال: ((نَعَمْ)). قال: إذا أكفيكهما)). أخرجه البيهقي في (إثبات عذاب القبر) و ابن أبي الدنيا في كتاب القبور، وقال الحافظ ابن حجر في (المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية): رجاله ثقات مع إرساله، ووصله ابن بطة في الإبانة من حديث

....

الشرح

ابن عباس كما قاله الحافظ العراقي في (تخريج أحاديث الإحياء).وفي رواية: عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو ﵁ أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَكَرَ فَتَّانَ الْقُبُورِ فَقَالَ عُمَرُ: أَتُرَدُّ عَلَيْنَا عُقُولُنَا يَا رَسُولَ الله، فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم:((**نَعَمْ كَهَيْئَتِكُمْ الْيَوْمَ**)) فَقَالَ عُمَرُ: بِفِيهِ الْحَجَرُ. أخرجه أحمد، وابن حبان.

قال الإمام الغزالي بعد ذكر حديث سيدنا عمر:((وهذا نص صريح في أن العقل لا يتغير بالموت، إنما يتغير البدن والأعضاء، فيكون الميت عاقلاً مدركاً، عالماً بالآلام واللذات كما كان، لا يتغير من عقله شيء، وليس العقلُ المدركُ هذه الأعضاء، بل هو شيء باطن ليس له طول ولا عرض، بل الذي لا ينقسم في نفسه هو المدركُ للأشياء، ولو تناثرت أعضاءُ الإنسان كلها ولم يبقَ إلا الجزءُ المدركُ الذي لا يتجزأ ولا ينقسم.. لكان الإنسان العاقل بكماله قائماً باقياً، وهو كذلك بعد الموت؛ فإن ذلك الجزء لا يحلُّهُ الموتُ، ولا يطرأُ عليه العدمُ)) اهـ.[1]



(١) إحياء علوم الدين (٩/ ٤٩٧).

الدرس الثامن والعشرون
في نعيم القبر وعذابه



الدرس الثامن والعشرون
في نعيم القبر وعذابه

ومما يجب اعتقاده.. نعيم القبر وعذابه، وإنما أضيف النعيم والعذاب للقبر لأنه الغالب، أي: أن غالب الناس يقبرون، وإلا فكل ميت إما أن ينعّم وإما أن يعذب، قبر أو لم يقبر، ولو غرق أو صلب أو التهمته السباع الضواري أو حُرق ثم ذرته الريح، وتفتّت الأعضاء، كل ذلك لا يمنع من وجود النعيم أو العذاب.

والنعيم والعذاب واقع للروح والبدن على المعتمد، ولو انفصلت الروح عن الجسد؛ لأنه يبقى بينهما علاقة كعودة الروح إلى الجسد عند السؤال عوداً متوسطاً بين الموت والحياة كتوسط النوم بينهما، كما يُرد إلى الميت من الحواس والعقل والعلم ما يتوقف عليه فهم الخطاب.

وذهب الإمام محمد الطبري، وعبدالله بن كرام، وطائفة إلى القول بأنَّ المنعَّم والمعذَّب هو البدن فقط، وذلك بأن يخلق الله فيه إدراكاً به يسمع ويبصر ويتألّم ويتلذذ، وهذا خلاف الحق.[1]

---

(١) انظر البيجوري (٤٦٦)، وشرح الصاوي على الجوهرة (٣٦٥).

ونعيم القبر أن يصير للميت روضة من رياض الجنة، ويُوسَّعُ له سبعون ذراعاً طولاً وعرضاً ويُفتح له طاقة من الجنة، ويُملاء بالروائح الطيبة، ويكون له في قبره قنديل كالقمر، ....

الشرح

ويكون العذاب على الكفار والمنافقين والعصاة من هذه الأمة وغيرها، ويدوم على الكافر والمنافق ديمومة البرزخ، وينقطع عن المؤمن العاصي إذا انقطعت جرائمه وذنوبه، كما يُرفع عنه بالدعاء والصدقة وغيرها من قِبل الأحياء.

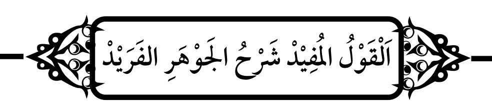
نعيم القبر:

وقد بلغت النصوص في نعيم القبر مبلغ التواتر، (**ونعيم القبر**) هو (**أن يصير**) القبر (**للميت روضة من رياض الجنة، ويُوسَّعُ له سبعون ذراعاً طولاً وعرضاً**) كما تقدم في الحديث عن أبي هريرة، (**ويُفتح له طاقة**) أي: نافذة يرى منها مقعده (**من الجنة، ويُملاء**) قبره (**بالروائح الطيبة، ويكون له في قبره قنديل كالقمر**)، فعن أبي هريرة ﷺ، عن رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال:((**إِنَّ الْمُؤْمِنَ فِي قَبْرِهِ لَفِي رَوْضَةٍ خَضْرَاءَ ، وَيُرَحَّبُ لَهُ قَبْرُهُ سَبْعُوْنَ ذِرَاعَاً ، وَيُنَوَّرُ لَهُ كَالقَمَرِ لَيْلَةِ البَدْرِ**)) أخرجه ابن حبان، وأبو يعلى.

ويأتيه عمله الصالح بصورة رجل حسن الصوت ويؤنِّسه إلى يوم القيامة،

الشرح

(ويأتيه عمله الصالح بصورة رجل حسن الصوت ويؤنِّسه إلى يوم القيامة)، عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ ﷺ قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي جِنَازَةِ رَجُلٍ مِنْ الْأَنْصَارِ، فَانْتَهَيْنَا إِلَى الْقَبْرِ، وَلَمَّا يُلْحَدْ، فَجَلَسَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ وَكَأَنَّ عَلَى رُءُوسِنَا الطَّيْرَ وَفِي يَدِهِ عُودٌ يَنْكُتُ فِي الْأَرْضِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: **((اسْتَعِيذُوا بِالله مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا))**، ثُمَّ قَالَ: **((إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنْ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنْ الْآخِرَةِ نَزَلَ إِلَيْهِ مَلَائِكَةٌ مِنْ السَّمَاءِ بِيضُ الْوُجُوهِ كَأَنَّ وُجُوهَهُمْ الشَّمْسُ مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ عَلَيْهِ السَّلَام حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَيَقُولُ أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ اخْرُجِي إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ الله وَرِضْوَانٍ قَالَ فَتَخْرُجُ تَسِيلُ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِنْ فِي السِّقَاءِ فَيَأْخُذُهَا فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَأْخُذُوهَا فَيَجْعَلُوهَا فِي ذَلِكَ الْكَفَنِ وَفِي ذَلِكَ الْحَنُوطِ وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَطْيَبِ نَفْحَةِ مِسْكٍ وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ قَالَ فَيَصْعَدُونَ بِهَا فَلَا يَمُرُّونَ يَعْنِي بِهَا عَلَى مَلَإٍ مِنْ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا قَالُوا مَا هَذَا الرُّوحُ الطَّيِّبُ فَيَقُولُونَ فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانُوا يُسَمُّونَهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا حَتَّى يَنْتَهُوا بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَسْتَفْتِحُونَ لَهُ فَيُفْتَحُ لَهُمْ فَيُشَيِّعُهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ**



ويكون هذا النعيم لكل ميت من هذه الأمة.

الشرح

مُقَرَّبُوهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي تَلِيهَا حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ فَيَقُولُ الله عَزَّ وَجَلَّ اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي عِلِّيِّينَ وَأَعِيدُوهُ إِلَى الْأَرْضِ فَإِنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ وَفِيهَا أُعِيدُهُمْ وَمِنْهَا أُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى قَالَ فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولَانِ لَهُ مَنْ رَبُّكَ فَيَقُولُ رَبِّيَ الله فَيَقُولَانِ لَهُ مَا دِينُكَ فَيَقُولُ دِينِيَ الْإِسْلَامُ فَيَقُولَانِ لَهُ مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ فَيَقُولُ هُوَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَقُولَانِ لَهُ وَمَا عِلْمُكَ فَيَقُولُ قَرَأْتُ كِتَابَ الله فَآمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ فَيُنَادِي مُنَادٍ فِي السَّمَاءِ أَنْ صَدَقَ عَبْدِي فَأَفْرِشُوهُ مِنْ الْجَنَّةِ وَأَلْبِسُوهُ مِنْ الْجَنَّةِ وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ قَالَ فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا وَطِيبِهَا وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ قَالَ وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ حَسَنُ الثِّيَابِ طَيِّبُ الرِّيحِ فَيَقُولُ أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُرُّكَ هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ فَيَقُولُ لَهُ مَنْ أَنْتَ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالْخَيْرِ فَيَقُولُ أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ فَيَقُولُ رَبِّ أَقِمْ السَّاعَةَ حَتَّى أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي وَمَالِي..)) الحديث. أخرجه الإمام أحمد.

(**ويكون هذا النعيم لكل ميت من هذه الأمة**) أو غيرها، وكل ذلك بما يتناسب مع عالم البرزخ.

وعذابه أن يصير له حفرة من حفر النار، وتشتد عليه الضغطة حتى تختلف أضلاعه.

الشرح

عذاب القبر:

(و) أما (**عذابه**) أي: القبر، فهو (**أن يصير له**) أي: يصير القبر للميت (**حفرة من حفر النار، وتشتد عليه الضغطة حتى تختلف أضلاعه**).

وأصل الضمّة لا ينجو منها أحدٌ حتى الصالحين، غير أنها تختلف من حيث الشدة، فالبعض يضمُّه القبر كما تضم الأم الحنون ولدها – جعلنا الله من هؤلاء آمين – إلا أن هناك أقوام لا يضمهم القبر، وهم الأنبياء، ومن قرأ سورة الإخلاص في مرض موته،[(١)] ومنهم فاطمة بنت أسد أم سيدنا علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه ورضي الله عنها، فعن أنس بن مالك قال :لما ماتت فاطمة بنت أسد بن هاشم أم علي بن أبي طالب دخل عليها رسول الله صلى الله عليه و سلم فجلس عند رأسها فقال : ((**رَحِمَكِ اللهُ يَا أُمِّيْ كُنْتِ أُمِّي بَعْدَ أُمِّيْ تَجُوْعِيْنَ وَتُشْبِعِيْنِي، وَتَعْرَينَ وَتُكْسِيْنِي وَتَمْنَعَيْنَ نَفْسَكِ طَيِّبَاً، وَتُطْعِمِيْنِي تُرِيْدِيْنَ بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ وَالدَّاْرَ الآخِرْةَ**)) ثم أمر أن

(١) انظر البيجوري (٤٦٦).

....

الشرح

تغسل ثلاثا فلما بلغ الماء الذي فيه الكافور.. سكبه رسول الله صلى الله عليه و سلم بيده، ثم خلع رسول الله صلى الله عليه و سلم قميصه فألبسها إياه، وكفنها ببرد فوقه، ثم دعا رسول الله صلى الله عليه و سلم أسامة بن زيد وأبا أيوب الأنصاري وعمر بن الخطاب وغلاما أسود يحفرون، فحفروا قبرها، فلما بلغوا اللحد.. حفره رسول الله صلى الله عليه و سلم بيده، وأخرج ترابه بيده، فلما فرغ.. دخل رسول الله صلى الله عليه و سلم فاضطجع فيه ثم قال:((**اللهُ الَّذِيْ يُحْيِي وَيُمِيْتُ وَهُوَ حَيٌّ لَاْ يَمُوْتُ اِغْفِرْ لِأُمِّيْ فَاْطِمَةَ بِنْتِ أَسَدٍ وَلِقِّنْهَا حُجَّتَهَا وَوَسِّعَ عَلَيْهَا مُدْخَلَهَا بِحَقِّ نَبِيِّكَ وَالْأَنْبِيَاءِ الَّذِيْنَ مِنْقَبْلِيْ فَإِنَّكَ أَرْحَمَ الرَّاْحِمِيْنَ**)) وكبر عليها أربعا وادخلوها اللحد هو والعباس وأبو بكر الصديق رضي الله عنهم. أخرجه الطبراني وأبو نُعيم.

وفي رواية: قال بعضهم: يا رسول الله ! رأيناك صنعت شيئا لم تصنعه بأحد ؟ قال:((**إِنِّيْ أَلْبَسْتُهَا قَمِيْصِيْ لِتَلْبَسَ مِنْ ثِيَاب الجَنَّةِ، وَاضْطَجَعْتُ مَعَهَا فِيْ قَبْرِهَا لِأُخَفِّفَ عَنْهَا مِنْ ضَغْطَةِ الْقَبْرِ، إِنَّهَا كَاْنَتْ أَحْسَنُ خَلْقِ اللهِ صَنِيْعَاً إِلَيَّ بَعَدَ أَبِيْ طَاْلِبٍ**)) أخرجه أبو نعيم في المعرفة والديلمي.

يأتيه عمله بصورة قبيحة، ويكون هذا العذاب للمنافقين والكفار.

الشرح

(و) من قُدِّر عليه العذاب في قبره (**يأتيه عمله**) القبيح (**بصورة قبيحة، ويكون هذا العذاب للمنافقين والكفار**)، ففي بقية الحديث المتقدم عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رضي الله عنه إِلَى أَنْ قَالَ:((**وَإِنَّ الْعَبْدَ الْكَافِرَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنْ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنْ الْآخِرَةِ نَزَلَ إِلَيْهِ مِنْ السَّمَاءِ مَلَائِكَةٌ سُودُ الْوُجُوهِ مَعَهُمْ الْمُسُوحُ فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَيَقُولُ أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ اخْرُجِي إِلَى سَخَطٍ مِنْ اللهِ وَغَضَبٍ قَالَ فَتُفَرَّقُ فِي جَسَدِهِ فَيَنْتَزِعُهَا كَمَا يُنْتَزَعُ السَّفُّودُ مِنْ الصُّوفِ الْمَبْلُولِ فَيَأْخُذُهَا فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَجْعَلُوهَا فِي تِلْكَ الْمُسُوحِ وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَنْتَنِ رِيحِ جِيفَةٍ وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ فَيَصْعَدُونَ بِهَا فَلَا يَمُرُّونَ بِهَا عَلَى مَلَإٍ مِنْ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا قَالُوا مَا هَذَا الرُّوحُ الْخَبِيثُ فَيَقُولُونَ فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ بِأَقْبَحِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانَ يُسَمَّى بِهَا فِي الدُّنْيَا حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيُسْتَفْتَحُ لَهُ فَلَا يُفْتَحُ لَهُ ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ﴿ لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ﴾** {الأعراف: ٤٠}، **فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي سِجِّينٍ فِي الْأَرْضِ السُّفْلَى فَتُطْرَحُ رُوحُهُ طَرْحًا ثُمَّ قَرَأَ ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ**

....

الشرح

ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ ﴾ {الحج: ٣١}.

فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولَانِ لَهُ مَنْ رَبُّكَ فَيَقُولُ هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي فَيَقُولَانِ لَهُ مَا دِينُكَ فَيَقُولُ هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي فَيَقُولَانِ لَهُ مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ فَيَقُولُ هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنْ السَّمَاءِ أَنْ كَذَبَ فَافْرِشُوا لَهُ مِنْ النَّارِ وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا وَسَمُومِهَا وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ قَبِيحُ الْوَجْهِ قَبِيحُ الثِّيَابِ مُنْتِنُ الرِّيحِ فَيَقُولُ أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُوءُكَ هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ فَيَقُولُ مَنْ أَنْتَ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالشَّرِّ. فَيَقُولُ أَنَا عَمَلُكَ الْخَبِيثُ فَيَقُولُ رَبِّ لَا تُقِمْ السَّاعَةَ)) أخرجه الإمام أحمد.

ويسلط على الكافر في قبره تسعة وتسعون تنينا، فعن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال:((أتدرون فيما أنزلت هذه الآية ﴿ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ﴾ {طه: ١٢٤} أَتَدْرُوْنَ مَا المَعِيْشَةُ الضَّنْكَةُ ؟)) قالوا :الله ورسوله أعلم قال :((عَذَابُ الْكَافِرِ فِيْ قَبْرِهِ، وَالَّذِيْ نَفْسِيْ بِيَدِهِ، إِنَّهُ يُسَلَّطُ عَلَيْهِ تِسْعَةٌ وَتِسْعُوْنَ تِنِّيْنَاً، أَتَدْرُوْنَ مَا التِّنِّيْنُ؟ سَبْعُوْنَ حَيَّةٌ، لِكُلِ حَيَّةٌ سَبْعُ رُءُوْسٍ يَلْسَعُوْنَهُ، وَيَخْدِشُوْنَهُ إِلَىْ يَوْمِ القِيَاْمَةِ)) أخرجه ابن حبان، وأبو يعلى.

قال صاحب الجوهرة:

سؤالنا ثم عذابُ القبر　　　نعيمه واجبْ كبعث الحشرِ

الدرس التاسع والعشرون
في البعث والنشور والحشر

البعث هو: إخراج أجساد الموتى بعد جمع الأجزاء الأصلية من القبور،و إحياؤهم بعد نفخة الصور الثانية.

والنشور هو: عبارة عن تكامل إخراج أجسادهم.



الدرس التاسع والعشرون
في البعث والنشور والحشر

(**البعث هو**) عبارة عن:(**إخراج أجساد الموتى بعد جمع الأجزاء الأصلية من القبور**)، والمراد بالأصلية: هي التي من شأنها البقاء من أول العمر إلى آخره في الغالب، ولو قطِّعت قبل موته، بخلاف التي ليس من شأنها ذلك، كالظفر والشَعر مثلاً.

(و) يكون (**إحياؤهم بعد نفخة الصور الثانية**) حيث يقومون وهم ينظرون، قال تعالى: ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴾ {التغابن: ٧}.

(**والنشور هو: عبارة عن تكامل إخراج أجسادهم**)؛ لأنهم بعد ذلك ينتشرون، قال تعالى ﴿ خُشَّعًا أَبۡصَٰرُهُمۡ يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ كَأَنَّهُمۡ جَرَادٞ مُّنتَشِرٞ ﴾ {القمر: ٧} .

والحشر هو: سَوْقِ الخلائق جميعاً إلى الموقف، وهو المحل الذي يقفون فيه من أرض المقدس المبدَّلة التي لم يعصِ فيها أحدٌ لفصل القضاء والعرض على الله، وهي أرض بيضاء كالفضة، متسعة الجوانب، ....

الشرح

(**والحشر هو:**) عبارة عن (**سَوْقِ الخلائق جميعاً إلى الموقف، وهو المحل الذي يقفون فيه من أرض المقدس المبدَّلة التي لم يعصِ فيها أحدٌ**) ربه، قال تعالى: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾ {إبراهيم: ٤٨}.

ويقفون فيها (**لفصل القضاء والعرض على الله**) ووزن الأعمال، (**وهي**) أي: أرض المحشر (**أرض بيضاء كالفضة، متسعة الجوانب**)، قال تعالى: ﴿ قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴾ { طه: ١٠٦ – ١٠٧}، وعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى أَرْضٍ بَيْضَاءَ عَفْرَاءَ كَقُرْصَةِ النَّقِيِّ لَيْسَ فِيهَا عَلَمٌ لِأَحَدٍ**)) أخرجه البخاري ومسلم.

والعفراء: هي البيضاء التي ليس بياضها بالناصع.

والنقي: هو الخبز الأبيض.

ولا فرق في الحشر بين من يُجازى ومن لا يُجازى، كالبهائم الوحوش؛ إذ الكل يُحشر، وإلى ذلك ذهب المحققون، وصحح هذا القول الإمام

....

الشرح

النووي، وذهبت طائفة إلى أن الذي يُحشر هو من يُجازى فقط، أما من لا يُجازى فلا يحشر.[1]

وأما السقط وهو من خرج قبل تمام وقت الحمل ففيه **تفصيل**:

- إن لم تُنفخ فيه الروح.. فكسائر الأجسام التي لا روح فيها.
- وإن نُفخت فيه الروح.. فيحشر، ويصير عند دخول الجنة كأهلها في الجمال والطول.

ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم هو أوَّل من تنشق عنه الأرض، فعَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:((**أَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ ثُمَّ أَبُو بَكْرٍ ثُمَّ عُمَرُ ثُمَّ آتِي أَهْلَ الْبَقِيعِ فَيُحْشَرُونَ مَعِي ثُمَّ أَنْتَظِرُ أَهْلَ مَكَّةَ حَتَّى أُحْشَرَ بَيْنَ الْحَرَمَيْنِ**)) أخرجه الترمذي.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:((**أَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ فَأُكْسَى حُلَّةً مِنْ حُلَلِ الْجَنَّةِ ثُمَّ أَقُومُ عَنْ يَمِينِ الْعَرْشِ لَيْسَ أَحَدٌ مِنْ الْخَلَائِقِ يَقُومُ ذَلِكَ الْمَقَامَ غَيْرِي**)) أخرجه الترمذي أيضاً.

(١) انظر البيجوري (٣٦٨).

....

الشرح

فهو صلى الله عليه وسلم أول مبعوث، وأول وارد للمحشر، وأول من يدخل الجنة، وبعده سيدنا نوح عليه السلام، أما ما ورد في لحديث المتقدم من أن بعده أبوبكر الصديق ﷺ .. فقد حُمل على أنه بعد الأنبياء.

أما مراتب الناس في الحشر.. فمتفاوتة، فمنهم الراكب وهو المتقي، ومنهم الماشي على قدميه وهو قليل العمل، ومنهم الماشي على وجهه، وهو الكافر، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:((**يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلَاثَةَ أَصْنَافٍ صِنْفٌ مُشَاةٌ وَصِنْفٌ رُكْبَانٌ وَصِنْفٌ عَلَى وُجُوهِهِمْ فَقَالُوا يَا رَسُولَ الله وَكَيْفَ يَمْشُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ قَالَ إِنَّ الَّذِي أَمْشَاهُمْ عَلَى أَرْجُلِهِمْ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُمْشِيَهُمْ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَمَا إِنَّهُمْ يَتَّقُونَ بِوُجُوهِهِمْ كُلَّ حَدَبٍ وَشَوْكٍ**)) أخرجه أحمد والترمذي.

وعن أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ ﷺ أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا نَبِيَّ الله يُحْشَرُ الْكَافِرُ عَلَى وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، قَالَ:((**أَلَيْسَ الَّذِي أَمْشَاهُ عَلَى الرِّجْلَيْنِ فِي الدُّنْيَا قَادِرًا عَلَى أَنْ يُمْشِيَهُ عَلَى وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَالَ قَتَادَةُ بَلَى وَعِزَّةِ رَبِّنَا**)) أخرجه البخاري ومسلم.

....

الشرح

فائدة:

الحشر أربعة أنواع: اثنان في الدنيا، واثنان في الآخرة، فأما اللذان في الدنيا:

فالأول: هو إخراج اليهود من جزيرة العرب إلى الشام، وهم يهود بني النضير، وفي ذلك قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَخۡرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمۡ لِأَوَّلِ ٱلۡحَشۡرِۚ مَا ظَنَنتُمۡ أَن يَخۡرُجُواْۖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمۡ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنۡ حَيۡثُ لَمۡ يَحۡتَسِبُواْۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَۚ يُخۡرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيۡدِيهِمۡ وَأَيۡدِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴾ [الحشر: ٢].

والثاني: عند خروج النار من قعر عدن، وذلك قرب قيام الساعة، فتسوق الناس إلى أرض المحشر، فتبيت معهم حيث باتوا، وتقيل حيث قالوا، فتدور هذه النار الدنيا كلها، وتطير ولها دوي كدوي الرعد القاصف، عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:((**أَمَّا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ فَنَارٌ تَحْشُرُ النَّاسَ مِنْ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ**)) أخرجه البخاري.

وحكمتها الامتحان والاختبار، فمن علم أنها مرسلة من الله تعالى وانساق معها سلم منها، ومن لم يكن كذلك.. أحرقته، وبعد سوقها لهم

وحد الوقوف هو ثلاثمائة ألف سنة.

الشرح

إلى المحشر يموتون بالنفخة الأولى بعد مدة، ويكون ابتداء خروجها من عدن.

والمراد بقوله صلى الله عليه وسلم ((**تَحْشُرُ النَّاسَ مِنْ المُشْرِقِ إِلَى المُغْرِبِ**)) إرادة تعميم الحشر لا خصوص المشرق والمغرب، أو أنها بعد الانتشار أول ما تحشر أهلَ المشرق.

وأما اللذان في الآخرة:

فالأول: جمع الناس إلى الموقف بعد إحيائهم.

والثاني: صرف الناس من الموقف إلى الجنة أو النار.

(**وحد الوقوف**) بأرض المحشر (**هو ثلاثمائة ألف سنة**) .

مسألة:

الإنسان إذا وضع في قبره.. أكلت الأرض جسده إلا عجب الذَنَبِ منه، ثم يعيد الله الأجساد عند بعثه، ويجب على المؤمن المكلف شرعاً اعتقاد ذلك، ويجب اعتقاد أن الجسم الذي يعاد هو الجسم الأول بعينه لا مثله، قال تعالى: ﴿ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ﴾ {الأنبياء: ١٠٤}، و قال تعالى: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾ {الأعراف: ٢٩}، ولهذا قال أكثر أهل العلم أنَّ ذرات

....

الشرح

الجسم تنعدم بالكلية، ثم يعيدها الله تعالى من العدم كما بدأها من العدم، وقال بعضهم: أن الجسم لا تنعدم عينه؛ بل يفرِّق الله أجزاءه بحيث لا يبقى فيه جوهران فردان على الاتصال،[1] فَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال:((**أَنَّ رَجُلًا كَانَ قَبْلَكُمْ رَغَسَهُ الله مَالًا فَقَالَ لِبَنِيهِ لَمَّا حُضِرَ- أي: أَيَّ أَبٍ كُنْتُ لَكُمْ قَالُوا خَيْرَ أَبٍ قَالَ فَإِنِّي لَمْ أَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ فَإِذَا مُتُّ فَأَحْرِقُونِي ثُمَّ اسْحَقُونِي ثُمَّ ذَرُّونِي فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ فَفَعَلُوا فَجَمَعَهُ الله عَزَّ وَجَلَّ فَقَالَ مَا حَمَلَكَ قَالَ مَخَافَتُكَ فَتَلَقَّاهُ بِرَحْمَتِهِ**)) أخرجه البخاري.

وهذا الخلاف المذكور لا يشمل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فإن الأرض لا تأكل أجسادهم ولا تبليها اتفاقاً، فَعَنْ أَوْسِ بْنِ أَوْسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:((**إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ**)) أخرجه أحمد، وأبو داود، وابن ماجه، والنسائي.

وكذلك لا يشمل الخلاف المذكور من نص الشارع على أن الأرض لا تأكل أجسادهم، كالشهداء والمؤذنين احتساباً، والعلماء العاملين، وحملة القرآن الملازمين لتلاوته العاملين بما فيه، المعظمين له بضبط لسانهم

---

(١) انظر البيجوري (٣٧١)، والمختصر المفيد (١٧٥).

....

الشرح

وطهارتهم.

قال صاحب الجوهرة:

وقُـلْ يُعـادُ الجسـم بـالتحقيقِ عـن عَـدَمٍ وقيـلَ عـن تفريـقِ

محضـين لكـن ذا الخـلافُ خصَّـا بالأنبيـا ومـن علـيهم نُصَّـا

ولربما سأل البعضُ سؤالاً فقال: لماذا نجد بعض أجساد الشهداء قد تحللت؟

فالجواب: أن الشهادة أمر لا يعلم حقيقته إلا الله، فنحن نحكم على كل من قتل في معركة ضد الكفار أنه شهيد، والله أعلم بنيته وعمله، ثم إن الشهادة درجات بعضها أفضل من بعض؛ لأن المؤمنين يتفاوتون في الإيمان.

والخلاصة: فإن الأمر توقيفي، فمن ورد نص من الشارع بأن الأرض لا تأكل جسده اعتقدنا ذلك وفوضنا أمر الآحاد إلى الله تعالى.[(١)]

❁ ❁ ❁

(١) انظر المختصر المفيد (١٧٥).

الدرس الثلاثون
في الحساب

الحساب هو: عبارة عن محاسبة الخلائق فرداً فرداً على جميع ما فعلوه من خير وشر، قولاً وفعلاً، إجمالاً وتفصيلاً، حتى على وزن مثقال ذرة.

الدرس الثلاثون
في الحساب

قال صاحب الجوهرة:

..................والحساب حقٌ وما في الحقِ ارتيابُ

(الحساب هو: عبارة عن محاسبة الخلائق) من قِبل الحق تعالى **(فرداً فرداً)**، فيوقفهم سبحانه وتعالى قبل الانصراف من المحشر[1] **(على جميع ما فعلوه من خير وشر، قولاً وفعلاً، إجمالاً وتفصيلاً، حتى على وزن مثقال ذرة)**، قال تعالى: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾ {الزلزلة: ٧ – ٨}.

ويشمل الحساب المؤمن والكافر من الإنس والجن، إلا من استثنى الله تعالى منهم، فَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:((وَعَدَنِي رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُدْخِلَ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعِينَ أَلْفاً بِغَيْرِ

---

(١) انظر كفاية الرغب بشرح هداية الطالب (طبعة دار المهاجر) (٨٤)، والمختصر المفيد (١٧٩).

....

الشرح

حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ مَعَ كُلِّ أَلْفٍ سَبْعُونَ أَلْفًا وَثَلَاثَ حَثَيَاتٍ مِنْ حَثَيَاتِ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ)) أخرجه أحمد، والترمذي ،وابن ماجه.

وعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:((**لَيَدْخُلَنَّ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفًا أَوْ سَبْعُ مِائَةِ أَلْفٍ لا يَدْخُلُ أَوَّلُهُمْ حَتَّى يَدْخُلَ آخِرُهُمْ وُجُوهُهُمْ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ**)) أخرجه البخاري ومسلم.

وفي الحديث ذكر منهم فقال:((**هُمْ الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ وَلَا يَتَطَيَّرُونَ وَلَا يَكْتَوُونَ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**)) أخرجه البخاري ومسلم وأحمد.

فمن كان من المؤمنين أدنى إلى الرحمة.. أُدخل الجنة بغير حساب، من كان من الكافرين أدنى إلى الغضب.. أدخل النار بغير حساب، ثم طائفة ثالثة توقف للمحاسبة، فَعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:((**مَنْ حُوسِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عُذِّبَ**))، فَقُلْتُ أَلَيْسَ قَدْ قَالَ الله عَزَّ وَجَلَّ﴿ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾{ الانشقاق: ٨}

فَقَالَ:((**لَيْسَ ذَاكِ الْحِسَابُ، إِنَّمَا ذَاكِ الْعَرْضُ، مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عُذِّبَ**)) أخرجه البخاري ومسلم واللفظ له.

والمراد بالمناقشة في الحديث: الاستقصاء في المحاسبة، والمطالبة بالجليل

....

الشرح

والحقير وترك المسامحة.[1]

قال الإمام النووي:(وَمَعْنَاهُ : أَنَّ التَّقْصِير غَالِب فِي الْعِبَاد ، فَمَنْ اُسْتُقْصِيَ عَلَيْهِ ، وَلَمْ يُسَامَح هَلَكَ ، وَدَخَلَ النَّار ، وَلَكِنَّ اللهَّ تَعَالَى يَعْفُو وَيَغْفِر مَا دُون الشِّرْك لِمَنْ يَشَاء) اهـ.[2]

ويكون الحساب بعد الشفاعة العظمى للنبي صلى الله عليه وسلم في فصل القضاء.

وقد اختلف أهل العلم في المراد من إيقاف الناس على أعمالهم على **ثلاثة أقوال وهي:**

١) أن يخلق الله تعالى في قلوبهم علوماً ضرورية بمقادير أعمالهم في الثواب والعقاب، وهو قول الفخر.

٢) أن يوقفهم بين يديه سبحانه وتعالى، ويؤتيهم كتب أعمالهم، وفيها سيئاتهم وحسناتهم، وهو منقول عن ابن عباس، وقد قال أهل العلم أن هذا القول فيه قصور؛ لأن الحساب غير قاصر على هذا المقدار، أي: على مقدار إعطائهم كتبهم فقط؛ لأنه قد ورد أن الكافر ينكر ما يوجّه إليه من جرم،

---

(١) انظر فتح الباري (١١/ ٤٥١).

(٢) انظر شرح مسلم للنووي (١٧/ ١٣٦).

....

الشرح

فتشهد عليه جوارحه، قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ {فصلت: ١٩ – ٢٠}، وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَضَحِكَ، فَقَالَ:((**هَلْ تَدْرُونَ مِمَّ أَضْحَكُ**)) قَالَ: قُلْنَا الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ:((**مِنْ مُخَاطَبَةِ الْعَبْدِ رَبَّهُ يَقُولُ يَا رَبِّ أَلَمْ تُجِرْنِي مِنَ الظُّلْمِ قَالَ يَقُولُ بَلَى قَالَ فَيَقُولُ فَإِنِّي لَا أُجِيزُ عَلَى نَفْسِي إِلَّا شَاهِدًا مِنِّي قَالَ فَيَقُولُ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ شَهِيدًا وَبِالْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ شُهُودًا قَالَ فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ فَيُقَالُ لِأَرْكَانِهِ انْطِقِي قَالَ فَتَنْطِقُ بِأَعْمَالِهِ قَالَ ثُمَّ يُخَلَّى بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَلَامِ قَالَ فَيَقُولُ بُعْدًا لَكُنَّ وَسُحْقًا فَعَنْكُنَّ كُنْتُ أُنَاضِلُ**)) أخرجه مسلم.

وورد أيضا أن الأرض تشهد، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَرَأَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴾ {الزلزلة: ٤}، قَالَ:((**أَتَدْرُونَ مَا أَخْبَارُهَا**)) قَالُوا: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ:((**فَإِنَّ أَخْبَارَهَا أَنْ تَشْهَدَ عَلَى كُلِّ عَبْدٍ أَوْ أَمَةٍ بِمَا عَمِلَ عَلَى ظَهْرِهَا أَنْ تَقُولَ عَمِلَ كَذَا وَكَذَا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا قَالَ فَهَذِهِ أَخْبَارُهَا**)) أخرجه الترمذي.

....

الشرح

٣) والقول الثالث هو: أن يكلمهم الله في شأن أعمالهم، وكيفية ما لها من الثواب، وما عليها من العقاب، فَيُسْمِعَهُم كلامه القديم، وهذا ما تشهد له الأحاديث الصحيحة، فعَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**مَا مِنْكُمْ مِنْ رَجُلٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ فَيَنْظُرُ أَيْمَنَ مِنْهُ فَلَا يَرَى شَيْئًا إِلَّا شَيْئًا قَدَّمَهُ ثُمَّ يَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلَا يَرَى شَيْئًا إِلَّا شَيْئًا قَدَّمَهُ ثُمَّ يَنْظُرُ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ فَتَسْتَقْبِلُهُ النَّارُ**)) قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَقِيَ وَجْهَهُ حَرَّ النَّارِ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ فَلْيَفْعَلْ**)) أخرجه البخاري.

ولا يشغله سبحانه وتعال محاسبة أحد عن أحد؛ بل يحاسب الناس جميعاً معاً، حتى أن كل واحد يرى أنه المحَاسب وحده، مع كثرتهم، قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ {البقرة: ٢٠٢}، وقال أيضاً: ﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ {المعارج: ٤}، فاليوم طويل والله سريع الحساب.

وأما كيفية الحساب: فتختلف، فمنه اليسير ومنه العسير، والسر والجهر، والتوبيخ والفضل والعدل، وحكمة هذا الاختلاف.. إظهار

والميزان هو: عبارة عن قصبة وعمود وكفتان توزن فيه الحسنات والسيئات.

الشرح

تفاوت المراتب في الكمال، وفضائح أهل النقص، ففيه ترغيب في الحسنات، وزجر عن السيئات.

فقد قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ:((**إِنَّ اللهَّ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ فَيَقُولُ أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا فَيَقُولُ نَعَمْ أي: رَبِّ حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ قَالَ سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ وَأَمَّا الْكَافِرُ وَالْمُنَافِقُونَ فَيَقُولُ الْأَشْهَادُ**)) أخرجه البخاري، ومسلم، والفظ للبخاري.

❁ الميزان:

(**والميزان هو: عبارة عن قصبة وعمود وكفتان**)، كل منهما أوسع من أطباق السماوات والأرض، وجبريل آخذ بعموده، ناظرٌ إلى لسانه، وميكائيل أمين عليه، (**توزن فيه الحسنات والسيئات**)، ويكون ذلك بعد الحساب.

وهو ميزان واحد على الراجح، وقيل: لكل عامل موازين يوزن بكل منها صنف من عمله، قال تعالى: ﴿ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ﴾ {الأعراف: ٨}، وقال أيضاً: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ {الأنبياء: ٤٧}، وقال أيضاً: ﴿ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ

....

الشرح

خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم ﴾ {الأعراف: ٨ – ٩}، والجمع ها في قوله ﴿ ٱلۡمَوَٰزِينَ ﴾ إنما هو للتعظيم على المشهور من أنه ميزان واحد لجميع الأمم، ولجميع الأعمال.

وقد أُختلِف في المراد بالثقل والخفة على قولين:

الأول: أنه على صورته في الدنيا، أي: أن الثقيل ينزل، والخفيف يصعد.

الثاني: أنه على عكس صورته في الدنيا، فالثقيل يصعد والخفيف ينزل.[1]

وأما كيفية الوزن.. ففيه قولان:

الأول: أن صحف الأعمال الصالحة توضع في كفه، وصحف الأعمال السيئة توضع في كفة أخرى، فأيهما رجحت.. فهي الغالبة، بناءً على أن الحسنات مميزة بكتاب، والسيئات بآخر.

ويشهد لهذا حديث البطاقة، فَعَنْ عَبْدِ الله بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:((**إِنَّ اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ يَسْتَخْلِصُ**

(١) انظر البيجوري (٤٠٠).

....

الشرح

رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلًّا كُلُّ سِجِلٍّ مَدَّ الْبَصَرِ ثُمَّ يَقُولُ لَهُ أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظَلَمَتْكَ كَتَبَتِي الْحَافِظُونَ؟ قَالَ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَلَكَ عُذْرٌ أَوْ حَسَنَةٌ، فَيُبْهَتُ الرَّجُلُ، فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً وَاحِدَةً لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ، فَتُخْرَجُ لَهُ بِطَاقَةٌ فِيهَا أ(اَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ)، فَيَقُولُ: أَحْضِرُوهُ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ، فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ، قَالَ: فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كَفَّةٍ، قَالَ: فَطَاشَتْ السِّجِلَّاتُ وَثَقُلَتْ الْبِطَاقَةُ، وَلَا يَثْقُلُ شَيْءٌ بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)) أخرجه الإمام أحمد.

الثاني: أن الموزون هو أعيان الأعمال، حيث تجسَّم أي: الأعمال وتصوَّر، فتصوّر الأعمال الصالحة بصورة حسنة نورانية، ثم تطرح في كفة النور وهي اليمنى، فتثقل بفضل الله.

وتصوّر الأعمال السيئة بصورة قبيحة ظلمانية، ثم تطرح في كفة الظلمة وهي الشمال، فتخف، وهذا في المؤمن، أما الكافر.. فتخف حسناته وتثقل سيئاته بعدل الله تعالى.(١)

(١) انظر المختصر المفيد (١٨٩)، والبيجوري (٤٠٣-٤٠٤).

....

الشرح

قال صاحب الجوهرة:

ومثــل هــذا الــوزنُ والميــزانُ فتــوزن الكتــبُ أو الأعيــانُ

وقيل: يُوزن الشخص نفسه؛ لأنه ورد أن رسول الله صلى الله عليه و سلم أمر بن مسعود أن يصعد شجرة فيأتيه بشيء منها، فنظر أصحابه إلى حموشة ساقيه – أي: دقة ساقيه – فضحكوا منها فقال النبي صلى الله عليه و سلم:((**مَاْ يُضْحِكُكُمْ؟! لَرِجْلُ عَبْدِ اللهِ فِي المِيْزَاْنِ أَثْقَلُ مِنْ أُحُدٍ**)) أخرجه ابن أبي شيبة.

وفي لفظ:((**مَاْ تَضْحَكُوْنَ؟ لَرِجْلُ عَبْدُ اللهِ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ القِيَاْمَةِ أَثْقَلُ مِنْ أُحُدٍ**)) أخرجه أبو يعلى.

وفي لفظ:((**وَالَّذَيْ نَفْسِيْ بِيَدِهِ لَعُبْدُ اللهِ فِيْ المَوَاْزِيْنِ يَوْمَ القِيَاْمَةِ أَثْقَلُ مِنْ أُحُدٍ**)) أخرجه الطبراني، والبزار، واللفظ للطبراني.

وفي رواية: عن ابن مسعود قال : لما قتلت أبا جهل أنا وابنا عفراء تغامز أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لقوة أبى جهل وضعف قوة ابن مسعود ودقة ساقيه فلحظ إليهم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ولحق كلامهم ثم قال:((**وَالَّذَيْ نَفْسِيْ بِيَدِهِ لَسَاقَا عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُوْدٍ يَوْمَ القِيَاْمَةِ أَثْقَلُ مِنْ أُحُدٍ**))، وفى لفظ: ((**أَشَدُّ وَأَعْظَمُ مِنْ أُحُدٍ**

....

الشرح

وَحِرَاءٍ)) أخرجه الدارقطنى فى الأفراد، وابن عساكر.

فدلَّ كل ذلك على أن الإنسان يُوزن.

❁ **فائدة الوزن**:

قد يتساءل الشخص، ما فائدة الوزن والله يعلم بحال الشخص، ولا لأحد معه حكم؟

فالجواب هو: جعله علامة لأهل السعادة والشقاوة، وتعريف العباد بما لهم وعليهم من الخير والشر، وإقامة الحجة عليهم.

❁ **فائدة**:

كل من حوسب.. وُزِنت أعماله، ومن لا.. فلا، ومن جملة من توزن أعماله.. الكفار، فتوزن سيئات الكافر غير الكفر، أما الكفر.. فلا فائدة من وزنه؛ لأن عذابه دائم، وقد ورد في كلام القرطبي ما يدل على أن الكفر يوزن، حيث قال:(فتُجمع له هذه الأمور وتوضع في ميزان الكافر، فيرجح الكفر بها)اهـ.[1]

---

(١) انظر البيجوري (٤٠٢).

....

الشرح

شبهة:

قد يورد البعض شبهة وهي: أن وزن أعمال المؤمن ظاهر؛ لوجود حسنات تقابل سيئات، أما وزن سيئات الكافر فغير ظاهر؛ لانعدام الحسنات المقابلة.

والجواب هو: أنه قد يكون منهم صلة الرحم والمواساة والعتق والوقف وغيرها مما لا يحتاج إلى نية منهم، فتُجعل هذه الأمور – إذا صدرت منهم – في مقابلة سيئاتهم، فيُخفف عنهم بذلك من عذاب الكفر، فتوزن أعمالهم لأجل ذلك، لا للنجاة من عذاب الكفر، بدليل أن أبا لهبجوزي بالتخفيف بسبب عتقه لجاريته التي بشرته بولادة الحبيب صلى الله عليه وسلم كما تقدم ذلك في رواية الإمام البخاري.[1]

وأما سيئاتهم فتوزن ليجازوا عليها بالعقاب زيادة على عذاب الكفر، وأما قول القائل:(ليس بعد الكفر ذنب).. فيراد به: ليس ذنباً بعد الكفر أعظم من الكفر، وإلا فالكافر المسيء ليس كالكافر المحسن.

---

(١) انظر البيجوري (٤٠٢)، وشرح الصاوي (٣٨٠-٣٨١).

والجزاء هو: عبارة عن مجازاة المحسن على إحسانه بـالثواب، والمسيء على إساءته بالعقاب، والثواب هو: الجنة وما أعدّه الله لعباده المتقين فيهـا ممـا لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

الشرح

وأما قوله تعالى: ﴿ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا ﴾ {الكهف: ١٠٥}.. فمعناه: لا نقيم لهـم وزنـاً نافعـاً، فَعَـنْ أَبِي هُرَيْـرَةَ ﷺ عَـنْ رَسُـولِ الله صَـلَّى الله عَلَيْـهِ وَسَلَّمَ قَالَ:((إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَـوْمَ الْقِيَامَـةِ لَا يَـزِنُ عِنْـدَ الله جَنَاحَ بَعُوضَةٍ وَقَالَ اقْرَءُوا ﴿ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا ﴾)) أخرجه البخاري ومسلم.

۞ الجزاء:

(والجـزاء هـو: عبـارة عـن مجـازاة المحسـن علـى إحسـانه بـالثواب، والمسيء على إساءته بالعقاب، والثواب هو: الجنة وما أعدّه الله لعباده المتقين فيها مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر)،

قال: صاحب الجوهرة:

والنـــار حـــق أوجـــدت كالجنّـــةْ   فـــلا تمـــل لجاحـــدٍ ذي جِنَّـــةْ

دار الخلـــود للسَّـــعيدِ والشـــقي   معـــذَّبٌ مـــنعَّمٌ مهـــما بقـــيٍ

وما ورد من بعض الألفاظ عن بعض نعيم الجنة كالعنب وغيره.. فهو من حيث تشابه الأسماء للتقريب إلى فهم عقول البشر.

....

الشرح

واختُلِف في الجنة هل هي واحدة أو أكثر إلى **ثلاثة أقوال**:

الأول: وهو قول ابن عباس، أنها سبع جنان متجاورات، أفضلها وأوسطها الفردوس، وهي أعلاها، والمجاورة لا تنافي العلو، إذ كم من مجاور هو أعلى من مجاوره، وسقف الجميع عرش الرحمن، ومنها تنفجر أنهار الجنة، وضعف نور الشمس بنسبة لنور العرش في الجنان كضعف نور النجوم بالنسبة لنور الشمس في الدنيا، ثم تليها جنة المأوى، فجنة الخلد، فجنة النعيم، فجنة عدن، فدرا السلام، فدار الجلال، وكلها متصلة بمقام الوسيلة لتنعيم أهل الجنة بمشاهدته صلى الله عليه وسلم لظهوره لهم منها؛ لأنها تشرف على أهل الجنة كما أن الشمس تشرق على أهل الدنيا.[1]

الثاني: أنها أربع جنان، وقد رجحه جماعة؛ لأن الله تعالى يقول ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾ {الرحمن: ٤٦}، ثم قال: ﴿ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴾ {الرحمن: ٦٢}، فالأوليان: جنة النعيم، وجنة المأوى.

والأخريات: جنة عدن، وجنة الفردوس.

الثالث: أنها جنة واحدة، وإلى هذا ذهب الجمهور، وإنما التعدد في

---

(١) انظر البيجوري (٤١٤).

....

الشرح

الاسم لشرفها؛ لأن كثرة الأسماء تدل على عظمة المسمى، ولتحقق معاني تلك الأسماء فيها، إذ يصدق على الجميع جنة عدن، - فالعدن الإقامة - والمأوى لأنها مأوى المؤمنين، وجنة الخلد، ودار السلام؛ لأن جميعها للخلود والسلامة من كل خوف وحزن، وجنة النعيم؛ لأنها كلها مشحونة بأصناف النعيم، فَعَنْ سَهْلِ بت سَعْدٍ ﵁ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:(**إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَيَتَرَاءَوْنَ الْغُرَفَ فِي الْجَنَّةِ كَمَا تَتَرَاءَوْنَ الْكَوْكَبَ فِي السَّمَاءِ**)) أخرجه البخاري ومسلم.

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﵁ أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:((**إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَيَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الْغُرَفِ مِنْ فَوْقِهِمْ كَمَا تَتَرَاءَوْنَ الْكَوْكَبَ الدُّرِّيَّ الْغَابِرَ مِنْ الْأُفُقِ مِنْ الْمَشْرِقِ أَوْ الْمَغْرِبِ لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ قَالُوا يَا رَسُولَ الله تِلْكَ مَنَازِلُ الْأَنْبِيَاءِ لَا يَبْلُغُهَا غَيْرُهُمْ قَالَ بَلَى وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ رِجَالٌ آمَنُوا بِالله وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ**)) أخرجه البخاري ومسلم.

وتراب الجنة المسك ، ففي حديث الإسراء والمعرج أنه صلى الله عليه وسلم قال فيه:((**ثُمَّ أُدْخِلْتُ الْجَنَّةَ فَإِذَا فِيهَا حَبَايِلُ اللُّؤْلُؤِ وَإِذَا تُرَابُهَا الْمِسْكُ**)) أخرجه البخاري ومسلم.

وأبواب الجنة الكبار ثمانية، **وهي**:

والعقاب هو: النار وما أعده الله فيها لعباده العاصين والكافرين من العذاب والنكال.

الشرح

باب الشهادة، وباب الصلاة، وباب الصيام، وباب الزكاة، وباب الحج، وباب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وباب الصلة، وباب الجهاد في سبيل الله.

ومن داخلها عشرة أبواب صغار.

(والعقاب هو: النار وما أعده الله فيها لعباده العاصين والكافرين من العذاب والنكال).

والنار سبع طبقات، أرضها من رصاص، وسقفها من نحاس، وحيطانها من كبيرت، ووقودها الناس والحجارة.

أعلاها: **جهنم**، وهي لعصاة المؤمنين، وتصير خراباً بخروجهم منها.

وتحتها **لظى**: وهي لليهود، قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ﴾ {المعارج: ١٥ – ١٦}.

ثم الحطمة: وهي للنصارى، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ﴾ {الهمزة: ٥ – ٦}.

....

الشرح

ثم السعير: قال تعالى: ﴿ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ {الملك: ١١}، وهي للصابئين، وهم فرقة من اليهود ازدادوا ضلالاً بعبادتهم للعجل، وقال مجاهد: هم بين اليهود والمجوس لا دين لهم.

وقيل: هم قوم عبدوا الملائكة، ويقرءون الزبور، ويصلون إلى القبلة، كما قاله أبو جعفر الرازي.

ثم سقر: وهي للمجوس عبّاد النار، قال تعالى: ﴿ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴾ {المدثر: ٢٦}.

ثم الجحيم: وهي لعبدت الأصنام، قال تعالى: ﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴾ {الحاقة: ٣٠ – ٣١}.

ثم الهاوية: وهي للمنافقين، وكل من اشتد كفره، كفرعون وهامان وقارون، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ {النساء: ١٤٥}.

وقد نظمها الشيخ محمد بن محمد السنباوي الأزهري الشهير بالأمير، والمتوفى سنة (١٢٣٢هـ) فقال:

جَهَـنَّمُ لِلعَـاصِي لَظّـى لِيَهُوْدِهَـا وَحُطْمَةُ دَارٌ لِلنَّصَارى أُوْلِي الصَّمَمْ

والحوض هو: نهر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وطوله مسافة شهر، وعرضه كذلك، ماؤه أشد بياضاً من اللبن، وطعمه أحلى من العسل، عليه

الشرح

سَعِيْرٌ عَذَابُ الصَّابِئِيْنَ وَدَارُهُمْ ... مَجُوْسٌ لَهُمْ سَقْرٌ حَجَيْمٌ لِذِي صَنَمْ
وَهَاوِيَةٌ دَارُ النِّفَاقَ - وُقِيْتَهَا - ... وأسأَلُ رَبَّ العَرْشِ أَمْناً مِنَ النِّقَمْ

قال الشيخ الصاوي في شرحه على الجوهرة:(هكذا ذكر الأشياخ – أي: هذا الترتيب – تبعاً لبعض الأحاديث في النار، ولكن آيات القرآن شاهدة بأن كلِّ اسم من تلك الأسماء يطلق على ما يَعمُّ الجميع؛ لأنه يذكر صفات الكفار بأي: وجه، ويعبِّر عن وعيدهم بأي: اسم من هذه الأسماء، فتدبّر) اهـ.(١)

والجنة والنار باقيتان لا يفنيان كما تقدم، فهما دار بقاء، وقد كفر الجهمية القائلين بفنائهما وفناء أهلهما؛ لمخالفتهم الكتاب والسنة.

الحوض:

(**والحوض هو: نهر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم**)، يكون على الأرض المبدّلة، وهي الأرض البيضاء كالفضة.

(و) هو كبير متسع (**طوله مسافة شهر**) أي: مسيرة شهر، (**وعرضه كذلك، ماؤه أشد بياضاً من اللبن، وطعمه أحلى من العسل، عليه**

(١) شرح الصاوي (٣٨٧-٣٨٨).

أكواز كعدد نجوم السماء، من شرب منه شربة.. لا يظمأ بعدها أبدا.

الشرح

أكواز) يسقى بها الناس **(كعدد نجوم السماء، من شرب منه شربة.. لا يظمأ بعدها أبدا)**

فَعَبْدُ الله بْنُ عَمْرٍو رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:((**حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ مَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنْ اللَّبَنِ وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنْ الْمِسْكِ وَكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ مَنْ شَرِبَ مِنْهَا فَلَا يَظْمَأُ أَبَدًا**)) أخرجه البخاري ومسلم.

وعَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ الله مَا آنِيَةُ الْحَوْضِ؟ قَالَ:((**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَآنِيَتُهُ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ وَكَوَاكِبِهَا فِي اللَّيْلَةِ الْمُظْلِمَةِ الْمُصْحِيَةِ آنِيَةُ الْجَنَّةِ مَنْ شَرِبَ مِنْهَا لَمْ يَظْمَأْ آخِرَ مَا عَلَيْهِ يَشْخَبُ فِيهِ مِيزَابَانِ مِنْ الْجَنَّةِ مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ عَرْضُهُ مِثْلُ طُولِهِ مَا بَيْنَ عَمَّانَ إِلَى أَيْلَةَ مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنْ اللَّبَنِ وَأَحْلَى مِنْ الْعَسَلِ**)) أخرجه مسلم وأحمد.

وقد ورد أن لكل نبي حوض ترده أمته، وإنما خُصِّصَ الحوض عند ذكره بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم لورود الأحاديث البالغة مبلغ التواتر، بخلاف غيره لوروده بالآحاد، فعَنْ سَمُرَةَ بن جندب رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:((**إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوْضًا وَإِنَّهُمْ يَتَبَاهَوْنَ أَيُّهُمْ أَكْثَرُ وَارِدَةً وَإِنِّي أَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ وَارِدَةً**)) أخرجه الترمذي، والطبراني.

....

الشرح

وحوضه صلى الله عليه وسلم يرد من ماء الكوثر حيث يصبُّ نهرالكوثر فيه، فعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: بَيْنَا رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ بَيْنَ أَظْهُرِنَا إِذْ أَغْفَى إِغْفَاءَةً، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مُتَبَسِّمًا، فَقُلْنَا: مَا أَضْحَكَكَ يَا رَسُولَ الله ؟ قَالَ:((**أُنْزِلَتْ عَلَيَّ آنِفًا سُورَةٌ فَقَرَأَ بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ** ﴿**إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ**﴾ {الكوثر: ١ – ٣})) ، ثُمَّ قَالَ:((**أَتَدْرُونَ مَا الْكَوْثَرُ؟**)) فَقُلْنَا: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ:((**فَإِنَّهُ نَهْرٌ وَعَدَنِيهِ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ هُوَ حَوْضٌ تَرِدُ عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ آنِيَتُهُ عَدَدُ النُّجُومِ**)) أخرجه مسلم.

وعن ابْنَ عُمَرَ رضي الله عنه قَالَ: لَمَّا أُنْزِلَتْ ﴿**إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ**﴾ قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:((**هُوَ نَهَرٌ فِي الْجَنَّةِ حَافَتَاهُ مِنْ ذَهَبٍ يَجْرِي عَلَى جَنَادِلِ الدُّرِّ وَالْيَاقُوتِ شَرَابُهُ أَحْلَى مِنْ الْعَسَلِ وَأَشَدُّ بَيَاضًا مِنْ اللَّبَنِ وَأَبْرَدُ مِنْ الثَّلْجِ وَأَطْيَبُ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ**)) أخرجه الإمام أحمد.

وللحوض لون كل شراب الجنة وطعم كل ثمارها.

ويرد عليه المؤمن فيشرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبدا، ويذاد أي يبعد أقواما عنه قد غيروا وبدلوا ونقضوا العهد.

....

الشرح

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَى الْمَقْبُرَةَ فَقَالَ:((**السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ وَدِدْتُ أَنَّا قَدْ رَأَيْنَا إِخْوَانَنَا**))، قَالُوا: أَوَلَسْنَا إِخْوَانَكَ يَا رَسُولَ اللهِ،قَالَ:((**أَنْتُمْ أَصْحَابِي وَإِخْوَانُنَا الَّذِينَ لَمْ يَأْتُوا بَعْدُ**))، فَقَالُوا: كَيْفَ تَعْرِفُ مَنْ لَمْ يَأْتِ بَعْدُ مِنْ أُمَّتِكَ يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَالَ:((**أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ رَجُلًا لَهُ خَيْلٌ غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ بَيْنَ ظَهْرَيْ خَيْلٍ دُهْمٍ بُهْمٍ أَلَا يَعْرِفُ خَيْلَهُ**))، قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ،قَالَ:((**فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ الْوُضُوءِ وَأَنَا فَرَطُهُمْ عَلَى الْحَوْضِ أَلَا لَيُذَادَنَّ رِجَالٌ عَنْ حَوْضِي كَمَا يُذَادُ الْبَعِيرُ الضَّالُّ أُنَادِيهِمْ أَلَا هَلُمَّ فَيُقَالُ إِنَّهُمْ قَدْ بَدَّلُوا بَعْدَكَ فَأَقُولُ سُحْقًا سُحْقًا**)) أخرجه البخاري، ومسلم، واللفظ له.

ونقل القرطبي: أن من خالف جماعة المسلمين كالخوارج، والرَّوافض، والمعتزلة والظلمة والفسقة المُعلِنة.. يُطردون عن الحوض.

قال صاحب الجوهرة:

إيماننـــا بحـــوضِ خـــير الرســـلِ   حـــتمٌ كـــما قـــد جاءنـــا في النقـــلِ
ينـــال شربـــاً منـــه أقـــوامٌ وفـــوا   بعهـــدهم وقـــل يـــذاد مـــن طغـــوا

وقد اختلف أهل العلم: هل يكون الحوض قبل الصراط أم بعده؟

....

الشرح

فذهب قوم إلى أنه بعد الصراط، وذهب الجمهور وصححه بعضهم إلى أنه قبل الصراط؛ لأن الناس يخرجون من قبورهم عطشى فيَرِدون الحوض للشرب منه، وقيل: له حوضان.[١]

وفي الحقيقة الواجب علينا اعتقاد ثبوته أي: الحوض، وجهل تقدمه على الصراط أو تأخره.. لا يضر في الاعتقاد.

تنبيه:

الإيمان بالحوض واجب، لكن لا يكفر من أنكره؛ بل يفسق، وقد نفته المعتزلة.[٢]

---

(١) انظر البيجوري (٤٢٦)، وشرح الصاوي (٣٩٣).

(٢) انظر البيجوري (٤٢٣).

الدرس الحادي والثلاثون

الصراط

الصراط هو: جسر منصوب على متن جهنم، ....


الشرح

الدرس الحادي والثلاثون

الصراط

(**الصراط هو جسر منصوب على متن جهنم**) يمر عليه الأولون والآخرون حتى الكفار، قال تعالى: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾ {مريم: ٧١ – ٧٢}، وذهب الحليمي إلى أن الكفار لا يمرُّون، ويجوز أنه قصد بهم من تُلقي بهم الملائكة في النار في الموقف.

وقد ورد أن كل من يمر عليه يكون ساكتاً لا يتكلم إلا الأنبياء، فيقولون (اللهم سلِّم سلّم)، ففي الحديث الطويل عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ وفيه قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:((**فَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ جَهَنَّمَ فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَجُوزُ مِنْ الرُّسُلِ بِأُمَّتِهِ وَلَا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ إِلَّا الرُّسُلُ وَكَلَامُ الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ الله مَّ سَلِّمْ سَلِّمْ**)) أخرجه البخاري ومسلم.

أحدُّ من السيف وأدق من الشعرة، ....

الشرح

وقد ورد أنه (**أحدُّ من السيف وأدق من الشعرة**)، وهو المشهور في وصفه، فقد قَالَ أَبُو سَعِيدٍ:(بَلَغَنِي أَنَّ الْجِسْرَ أَدَقُّ مِنْ الشَّعْرَةِ وَأَحَدُّ مِنْ السَّيْفِ) أخرجه مسلم، ونازع في ذلك العز بن عبد السلام والشيخ القرافي والبدر الزركشي، وقالوا: على فرض صحة ذلك فهو محمول على غير ظاهره، بأن يؤول بأنه كناية عن شدة المشقة، وحينئذ فلا ينافي ما ورد من الأحاديث الدالة على قيام الملائكة على جنبيه، وكون الكلاليب فيه، إذ كيف تقف الملائكة على جنبيه إن كان أحد من السيف وأدق من الشعرة.

وزاد القرافي: والصحيح أنه عريض، وفيه طريقان: يمنى ويسرى، فأهل السعادة يُسلك بهم ذات اليمين، وأهل الشقاوة يُسلك بهم ذات الشمال، وفيه طاقات، كل طاقة منها تنفذ إلى طبقة من طبقات جهنم.

وقال بعضهم: إنه يدق ويتسع بحسب ضيق النور وانتشاره، فعرض صراط كل أحد بقدر انتشار نوره، فإن نور كل إنسان لا يتعداه إلى غيره، فلا يمشي أحد في نور أحد، ومن هنا كان دقيقا في حق قوم وعريضا في حق آخرين.[1]

(١) انظر البيجوري (٤٠٧).

طوله ثلاثة آلاف سنة، ألف صعود، وألف استوى، وألف هبوط، تمر عليه الخلائق كلها، الأولون والآخرون وأول من يجوزه نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

الشرح

ويقف جبريل في أول الصراط، وميكائيل في وسطه، يسألان الناس عن عمرهم فيمّ أفنوه؟، وعن شبابهم فيمَ أبلوه؟ وعن علمهم ماذا عملوا به؟.[1]

و(**طوله**) أي: الصراط (**ثلاثة آلاف سنة، ألف صعود، وألف استوى، وألف هبوط، تمر عليه الخلائق كلها، الأولون والآخرون**) وهو المعتمد قال تعالى: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾ {مريم: ٧١ – ٧٢}

(**وأول من يجوزه نبينا محمد صلى الله عليه وسلم**)، وقد تقدم حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه وفيه قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:((**فَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ جَهَنَّمَ فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَجُوزُ مِنْ الرُّسُلِ بِأُمَّتِهِ وَلَا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ إِلَّا الرُّسُلُ وَكَلَامُ الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ اللهمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ**)) أخرجه البخاري ومسلم.

(١) انظر البيجوري (٤٠٨).

وكيفية مرور الناس فيه على قدر أعمالهم، فمنهم كالبرق الخاطف، ومنهم كالريح، ومنهم كالطير، ومنهم كالفرس، ومنهم كالجواد، ومنهم ماشياً، وحبواً على الركب ، والجنة دار الثواب، والنار دار العقاب.

الشرح

(**وكيفية مرور الناس فيه على قدر أعمالهم**)، فتفاوتهم في المرور بحسب تفاوتهم في الإعراض عن حرمات الله، فكل من أعرض عن الشهوات، وصان قلبه عن الخطرات.. كان أسرع مروراً عليه، فهم في مرورهم ينقسمون إلى أقسام:

(**فمنهم**) من يمر عليه كطرف العين، ومنهم (**كالبرق الخاطف، ومنهم كالريح، ومنهم كالطير، ومنهم كالفرس، ومنهم كالجواد، ومنهم ماشياً، و**) منهم من يجري، ومنهم من يمر (**حبواً على الركب و**) يكون مصيرهم إما (**الجنة**) التي هي (**دار الثواب**) كما تقدم، (**و**) إما (**النار**) التي هي (**دار العقاب**) كما تقدم أيضاً، فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:((**يُعْرَضُ النَّاسُ عَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ وَعَلَيْهِ حَسَكٌ وَكَلَالِيبُ وَخَطَاطِيفُ تَخْطَفُ النَّاسَ قَالَ فَيَمُرُّ النَّاسُ مِثْلَ الْبَرْقِ وَآخَرُونَ مِثْلَ الرِّيحِ وَآخَرُونَ مِثْلَ الْفَرَسِ الْمُجِدِّ وَآخَرُونَ يَسْعَوْنَ سَعْياً وَآخَرُونَ يَمْشُونَ مَشْياً وَآخَرُونَ يَحْبُونَ حَبْواً وَآخَرُونَ يَزْحَفُونَ زَحْفاً**

....

الشرح

فَأَمَّـا أَهْـلُ النَّـارِ فَـلَا يَمُوتُـونَ وَلَا يَحْيَـوْنَ وَأَمَّـا نَـاسٌ فَيُؤْخَـذُونَ بِـذُنُوبِهِمْ فَيُحْرَقُونَ فَيَكُونُونَ فَحْمًا ثُمَّ يَأْذَنُ اللهُ فِي الشَّفَاعَةِ)) أخرجه الإمام أحمد.

قال صاحب الجوهرة:

كـذا الصر ـاطُ، فالعبـاد مختلـفْ　　　مـــرورهم، فســـالم ومُنْتَلِـــفْ



الدرس الثاني والثلاثون
في معنى الإيمان بالقضاء والقدر

ومعنى الإيمان بالقضاء هو: اعتقاد أنه سبحانه وتعالى حَكَمَ قبل أن يخلق الخلق بما سيحدث في العالم من ابتداء إلى انتهاء، من خير وشر، وغيرها.

ومعنى الإيمان بالقدر: أنه سبحانه وتعالى قدَّر الأمور كلها،..........


الشرح

الدرس الثاني والثلاثون
في معنى الإيمان بالقضاء والقدر

والقضاء لغة: الحكم، (**ومعنى الإيمان بالقضاء**) شرعاً:(**هو اعتقاد أنه سبحانه وتعالى حَكَمَ قبل أن يخلق الخلق بما سيحدث في العالم من ابتداء إلى انتهاء، من خير وشر، وغيرها**) من الأمور التي تجري في الوجود.

وقد جرى المصنف رحمه الله تعالى على ما ذهب إليه الأشاعرة في تعريفهم للقضاء، وهو خلاف الماتريدية، فقد **عرّف الأشاعرة القضاء بأنه:**

إرادة الله الأشياء في الأزل على ما هي عليه فيما لا يزال على النحو الذي برزت في الوجود، فالقضاء عندهم من صفات الذات.

وقال الماتريدية في تعريف القضاء: هو إيجاد الله الأشياء مع زيادة الإحكام والإتقان، فهو راجع عندهم لصفات الأفعال.

(**ومعنى الإيمان بالقدر: أنه سبحانه وتعالى قدَّر الأمور كلها،**

فلا يحدث حادث في جميع الكائنات إلا بقدرته ومشيئته، فما شاء الله كان، وما لم يشاء لم يكن.

الشرح

فلا يحدث حادث في جميع الكائنات إلا بقدرته ومشيئته، فما شاء الله كان، وما لم يشاء لم يكن)، وجرى المصنف رحمه الله تعالى هنا أيضاً على ما جرى عليه الأشاعرة، فقد **عرف الأشاعرة القدر بقولهم**:

هو إيجاد الله الأشياء على قدر مخصوص ووجه معيَّن أراده تعالى، فهو عبارة عن الإيجاد عندهم، وهي من صفات الأفعال.

وقال الماتريدية: القدر هو تحديد الله أزلاً كل مخلوق بحدّه الذي يوجد عليه من حُسن وقبح، ونفع وضر، وغير ذلك، فهو علمه تعالى أزلاً بصفات المخلوقات، وهو عندهم راجع لصفة العلم وهي من صفات الذات.

قال الشيخ الصاوي في اختلافهم في القدر:(وقد يقال أن الخلاف لفظي، فمن نظر لمظهر الإيجاد.. قال: هو حادث، ومن نظر لمتعلق العلم والإرادة التنجيزي الأزلي.. قال: هو قديم.

فنقول في تعريفه الجامع لهما: هو إيجاد الله الأشياء على طِبْق العلم والإرادة) اهـ.[١]

---

(١) شرح الصاوي (٢٥٢).

....

الشرح

ومما تقدم من اختلاف التعاريف في القضاء والقدر.. **يتبين لنا:**

أن القدر عند الأشاعرة حادث، والقضاء قديم.

وعند الماتريدية العكس، فالقدر قديم، والقضاء حادث.

وقد نظم الشيخ عبدالبر بن عبدالله الأجهوري المتوفى سنة (١٠٧٠هـ) مذهب الأشاعرة ومن خالفهم فقال:

إرداة الله مع التعلُّقِ ... في أزلٍ قضاؤُهُ فحقِّقِ

والقَدَرُ الإيجادُ للأشيا على ... وجهٍ معيَّنٍ أراده علا

وبعضهم قد قال معنى الأولِ[1] ... العلم مع تعلُّقٍ في الأزلِ

والقدر الإيجادُ للأمورِ ... على وِفَاقِ عِلْمِهِ المذكورِ

وبعد هذا نعلم أن القضاء والقدر راجعان لما قدَّمناه من العلم والإرادة وتعلق القدرة، وأنه يجب على المكلف شرعاً أن يؤمن بأن الله تعالى علِم أزلاً بجميع أفعال العباد، وخصص بإرادته سبحانه أزلاً هذه الأفعال على وفق العلم، وأنه أوجدها – حين أوجدها فيما لا يزال – على القدر المخصوص والوجه المعيَّن الذي سبق العلم به وخصصته الإرادة؛ بل إن

---

(١) وهو القضاء.

....

الشرح

ذلك مما لا يتحقّق الإيمان إلا به، فَعَنْ عَلِيٍّ ﷺ وكرّم الله وجهه، عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ:((**لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى يُؤْمِنَ بِأَرْبَعٍ: حَتَّى يَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَأَنِّي رَسُولُ الله بَعَثَنِي بِالْحَقِّ وَحَتَّى يُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ وَحَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ**)) أخرجه أحمد والترمذي.

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:((**لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ حَتَّى يَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ وَأَنَّ مَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ**)) أخرجه الترمذي.

وقالت القدريَّة الأولى: أنه تعالى لم يقدّر الأمور أزلاً؛ بل أن الأمر يستأنفه الله علماً حال وقوعه، أي: أنهم نفَوا وأنكروا سبق علم الله تعالى بالأشياء قبل وقوعها، فبذلك كفروا، ولقّبوا بالقدرية لخوضهم في القدر حيث بالغوا في نفيه.

وهؤلاء انقرضوا قبل الإمام الشافعي رضي الله عنه أي: قبل انقضاء القرن الهجري الثاني.

وهناك فرقة أخرى تسمى بالقدرية الثانية، وهي أحدى فرق المعتزلة، وهم القائلون بأن العبد خالقٌ لأفعال نفسه الاختيارية، واتفقوا مع أهل السنة والجماعة في إثبات أن الله تعالى عالم بالعبد أزلاً قبل وقوع الأفعال

....

الشرح

منه، وهي فرقة باطلة بسبب الاعتقاد الأول.

شبهة:

قد ترد على قلب العبد شبهة، وهي: أن الإيمان بالقضاء والقدر يستدعي الرضا بهما، واستشكل بأنه يلزم من ذلك الرضا بالكفر والمعصية؛ لأن الله قضى بهما وقدَّرهما، مع أن الرضا بالكفر كفرٌ، وبالمعاصي معصية.

فالجواب: ما قاله السعد وهو: أن الكفر والمعاصي مقضيٌّ ومقدَّرٌ لا قضاء وقدر، والواجب الرضا به إنما هو القضاء والقدر، لا المقضي والمقدر.

وقد يُردُّ هذا بأنه لا معنى للرضا بالقضاء ووالقدر إلا الرضى بالمقضي والمقدر.

والجواب: هو ما حققه الخيالي في حاشيته من أن الكفر والمعاصي لهما جهتان:

- جهة كونهما مقضيين ومقدرين.
- وجهة كونهما مكتسب للعبد.

فيجب الرضاء بهما من الجهة الأولى لا من الثانية؛ لأن المقضي إن كان خيراً.. وجبت ملازمته ومحبته، وإن كان شراً.. وجب الإقلاع عنه وبغضه.

....

الشرح

شبهة أخرى:

وهناك شبهة أخرى كثيراً ما نسمعها، وهي قول القائل: أن الله تعالى قدّر عَليَّ المعصية، فلما يحاسبني عليها؟

والجواب: أنه سبق الحديث عن هذا عند ذكر الإرادة، ولزيادة الإيضاح وخطورة الشبهة نعيده هنا وهو:

أن الله علم منك فعل المعصية فقدَّرها لك بعد علمه، ولأنه أوجد فيك جزء اختيار كما تقدم، وهو الكسب، فإنه يحاسبك على كسبك واختيارك لها؛ لأن هناك أمور متعلقة بالإنسان لا اختيار له فيها، كيوم ولادته، ولونه، وطوله، وأمور له فيها جزء اختيار، ففيها يكون الثواب والعقاب، وإلا لكان الرد على هذه الشبهة بما يقابلها وهو: أن الله تعالى قدّر لك فعل الخير.. فلما يثيبك عليه وهو الذي قدَّره لك.

مسألة:

الإيمان بالقدر واجب، غير أنه لا يجوز الاحتجاج به قبل وقوعه بغرض التوصل إلى ما يريد الوقوع فيه، أو بعد الوقوع فيه ليتخلص من الحد ونحوه، بأن يقول ليتوصل إلى ما يريد: قدَّر الله عَليَّ الزنا، وغرضه

ويجب الإيمان بالجن، وهو التصديق بوجودهم، وهم أجسام نارية أودع الله فيهم قدرة التشكيل بصور مختلفة، ومنهم الصالح والطالح، والخبيث والطيب، مثل بني آدم، ومسكنهم الأرض.

الشرح

التوصل إلى الوقوع فيه، أو يقول بعد وقوعه في الزنا: قدّر الله عَليَّ ذلك، ليتخلَّص من الحد، وقد بيّنا هذا قريباً.

أما الاحتجاج بالقدر بعد الوقوع فيه؛ لدفع اللوم فقط.. فلا بأس به، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:((**احْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَى فَقَالَ مُوسَى أَنْتَ آدَمُ الَّذِي أَخْرَجْتَ ذُرِّيَّتَكَ مِنْ الْجَنَّةِ قَالَ آدَمُ أَنْتَ مُوسَى الَّذِي اصْطَفَاكَ الله بِرِسَالَاتِهِ وَكَلَامِهِ ثُمَّ تَلُومُنِي عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِّرَ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُخْلَقَ فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى**)) أخرجه البخاري ومسلم.

قال صاحب الجوهرة:

وواجب إيماننا بالقدرِ وبالقضا كما أتى في الخبرِ

الإيمان بالجن:

(**ويجب الإيمان بالجن، وهو التصديق بوجودهم، وهم أجسام نارية**)، أي: مخلوقة من النار، (**أودع الله فيهم قدرة التشكيل بصور مختلفة، ومنهم الصالح والطالح، والخبيث والطيب، مثل بني آدم**) لا يختلفون في ذلك، (**ومسكنهم الأرض**)، غير أننا لا نراهم، ومن ادّعى أنه

ويجب الإيمان بالعرش، والكرسي، ....

الشرح

يرى الجن على صورتهم الحقيقية.. فقد كفر، كما في التحفة والمغني والنهاية؛ لأنه مخالف لقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ {الأعراف: ٢٧}،[1] وقال القاضي حسين أنه يمكن للنبي ولمن خرقت له العادة رؤيتهم على حقيقتهم، وقال الإمام النووي بإمكان رؤيتهم مطلقاً.[2]

وفي الجَنَّةِ ينعكس الأمر، فنحن نراهم وهم لا يروننا.

العرش:

(**ويجب الإيمان بالعرش**)، وهو: جسم نوراني عُلوي، والأولى الإمساك عن القطع بتعيين حقيقته لعدم العلم بها، ويجب الإيمان بوجوده؛ لقوله تعالى ﴿وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَآ ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾ {الحاقة: ١٧}.

الكرسي:

(و) يجب الإيمان بـ(**الكرسي**)، وهو: جسم عظيم نوراني تحت العرش ملتصق به فوق السماء السابعة، وبينه وبين السماء السابعة مسيرة خمسمائة

---

(١) انظر مغني المحتاج (١/ ٣٨٥)، وتحفة المحتاج (٢/ ٤٧٠)، ونهاية المحتاج (٢/ ٣٠٨).

(٢) انظر شرح النووي على صحيح مسلم (٥/ ٢١).

واللوح، والقلم.

الشرح

عام، كما نُقل عن ابن عباس، والكرسي غير العرش خلافاً للحسن البصري والأولى الإمساك عن الجزم بتعيين حقيقته لعدم العلم بها.

اللوح:

(و) يجب الإيمان بـ(**ـاللوح**)، وهو: جسم نوراني، طوله خمسمائة عام، وعرضه كذلك، كتب فيه القلم بإذن الله ما كان وما يكون إلى يوم القيامة، وهو يكتب فيه الآن على التحقيق من أنه يقبل المحو والتغيير، مع الإمساك عن الجزم بحقيقته.

وليس اللوح معمولاً للملائكة الكاتبين كما يُتَوَهّم؛ بل القلم يكتب فيه بمجرد القدرة.

القلم:

(و) يجب الإيمان بـ(**ـالقلم**)، وهو: جسم نوراني خلقه الله وأمره بكتب ما كان وما يكون إلى يوم القيامة، وطوله مسيرة خمسمائة عام، وعرضه كذلك، والأولى الإمساك عن الجزم بتعيين حقيقته.[1]

قال صاحب الجوهرة:

والعرش والكرسي ثمَّ القلمُ   والكاتبون اللوحُ كلٌّ حِكَمُ

(١) انظر كل ذلك في البيجوري (٤١٠)، وشرح الصاوي (٣٨٥).

والله سبحانه وتعالى أعلم.. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وكل عبدٍ مصطفى، والحمد لله رب العالمين.

الشرح

(والله سبحانه وتعالى أعلم.. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وكل عبدٍ مصطفى، والحمد لله رب العالمين).

الخاتمة

وكانت البداية في هذا الشرح المبارك النافع إن شاء الله تعالى يوم الخميس العشرين من شهر جمادى الأولى سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة وألف من الهجرة (١٤٣٣هـ)، الموافق ١٢/ ٤/ ٢٠١٢م ببندر الشحر حرسها الله من كل سوء.

وكان الانتهاء منه مع تقطع في الكتابة صبيحة يوم السبت العشرين من شهر ربيع الثاني من عام أربعة وثلاثين وأربعمائة وألف من الهجرة (١٤٣٤هـ) الموافق الثاني من شهر مارس لعام ثلاثة عشر وألفين من الميلاد (٢/ ٣/ ٢٠١٣م)، بمدينة العلم والعلماء الغناء تريم حرسها الله من كل سوء.

ويوافق التاريخ الهجري للانتهاء من الكتاب ذكرى وفاة الإمام المجدد الحبيب علي بن محمد بن حسين الحبشي صاحب سيؤن نفعنا الله به وإني لأرجو أن تعمنا بركته ونوره ونظره.

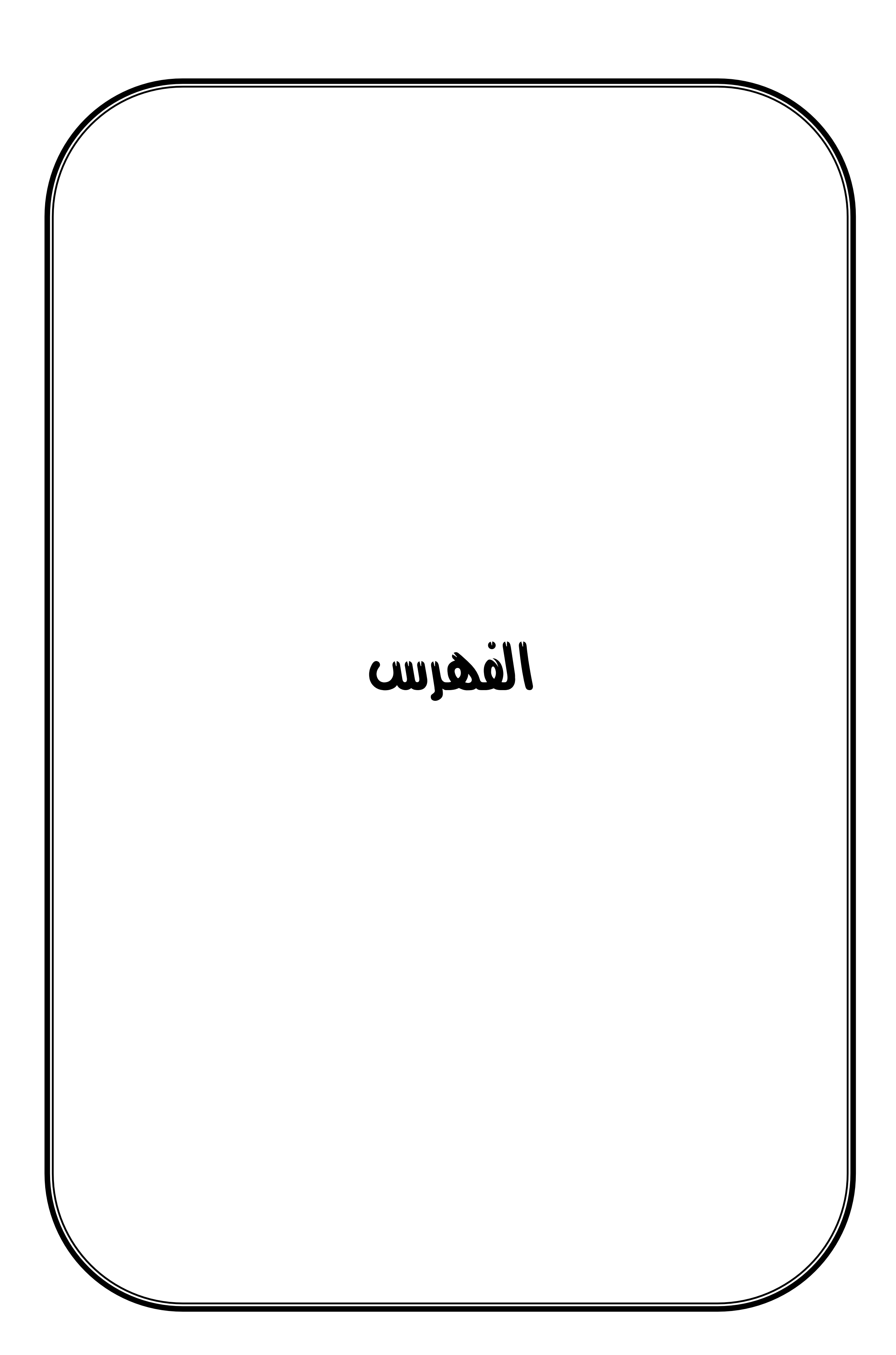
....

الشرح

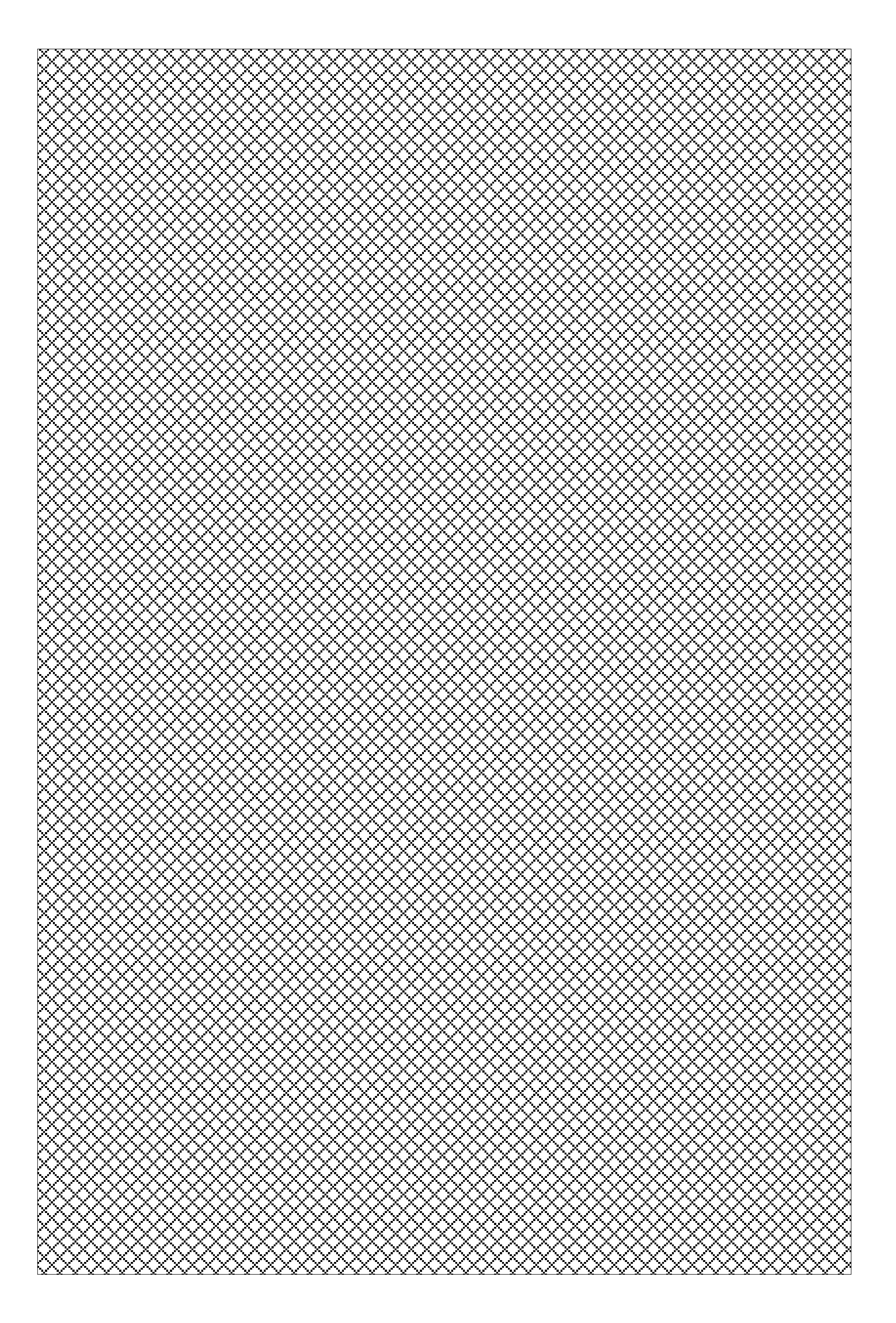
أسأل الله تعالى أن يبارك في هذا الشرح، وأن يعم به النفع والانتفاع، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، مقربا إلى الحبيب الرحيم صلى الله عليه وسلم، وسببا للفوز بجنات النعيم، وإدخال السرور على قلوب شيوخنا وأسلافنا، آمين اللهم آمين.

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه أجمعين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.





الفهرس



فهرس

الموضوع ..	الصفحة

الموضوع ..	الصفحة

الموضوع .. الصفحة

الموضوع ..	الصفحة

للتواصل مع المؤلف:

جوال: ٠٠٩٦٧٧٣٣٢٦٦٨٦١

بريد الكتروني: alwialaidaroos3@gmail.com

فيس بوك: https://www.facebook.com/alwi.alaidaroos